T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI (ARAPÇA)

EL-İNSANÜ BEYNE'L-KERÂMETİ VE'LİHÂNET'D-DÜNYEVİYYETİ Fİ'L-KUR'ÂNİ'L-KERÎM (DİRÂSETEN MEVDÛ'İYYETEN)

الإنسانُ بين الكرامةِ والإهانة الدنيويةِ في القرآنِ الكريمِ (دراسةٌ موضوعيةٌ)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

MHAMAD LAMİE ALBNI

DANIŞMAN: DOÇ. DR. DHUHA MOHAMMED SALIH

YALOVA
TEMMUZ 2023

T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI (ARAPÇA)

EL-İNSANÜ BEYNE'L-KERÂMETİ VE'LİHÂNET'D-DÜNYEVİYYETİ Fİ'L-KUR'ÂNİ'L-KERÎM (DİRÂSETEN MEVDÛ'İYYETEN)

الإنسانُ بين الكرامةِ والإهانة الدنيويةِ في القرآنِ الكريمِ (دراسةٌ موضوعية)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

MHAMAD LAMİE ALBNI
(207239061)

DANIŞMAN: DOÇ. DR. DHUHA MOHAMMED SALIH

YALOVA

TEMMUZ 2023

ETİK BEYAN

Yalova Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Tez Yazım Kuralları'na uygun olarak hazırladığım "**El-İnsanü Beyne'l-Kerâmeti ve'lİhâneti'd-Dünyeviyyeti fi'l-Kur'âni'l-Kerîm (Dirâseten Mevdû'iyyeten)**" başlıklı bu tez çalışmasında; tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi, tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu, tez çalışmasında yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi, kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı, bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu bildirir, aksinin tespiti halinde doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi taahhüt ve beyan ederim.

İmza

MHAMAD LAMİE ALBNI

أتعهد وأصرح بأني قد جهزت رسالتي هذه بعنوان: " الإنسانُ بين الكرامةِ والإهانة الدنيويةِ في القرآنِ الكريمِ (دراسةٌ موضوعيةٌ)"وفقًا لقواعد كتابة الرسالة الخاصة بمعهد الدراسات العليا في جامعة يالوفا، وأني قد حصلت على البيانات والمعلومات والوثائق الموجودة فيها في إطار القواعد الأكاديمية والأخلاقية، وقد قدّمت جميع المعلومات والوثائق والتقييمات والنتائج وفقًا للقواعد العلمية والأخلاقيات التي أشرت إليها، وعزوت كل ما نقلته فيها إلى مصادره ومراجعه المستفاد منها خلال دراسة الرسالة، دون القيام بإجراء أي تغيير في البيانات المنقولة، وأصرّح بأنّ العمل الذي قدّمته في هذه الرسالة أصلي، وأتحمّل كامل المسؤولية القانونية التي قد تنشأ في حالة ثبوت عكس ما صرحت به.

محمد لامع البني

ÖNSÖZ

الحمد لله الكريم المتعال، والصلاة والسلام على أكرم الخلق على الإطلاق، حبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، وعلى من سار على هديه واستن بسنته، إلى يوم التكريم من ذي الجلال والإكرام.

بفضل الله تعالى، وبمنه علي، أكرمني المولى الكريم، بإتمام بحثي المسمى "الإنسانُ بين الكرامةِ والإهانة الدنيويةِ في القرآنِ الكريمِ (دراسةٌ موضوعيةٌ)" فأسأله تعالى الكريم، أن يكرمني بقبوله، فأجده يوم القيامة شافعاً لي إنه سميع قريب مجيب.

وأن يكرم معي، كل من أكرمني وساندني على إتمامه، من الأساتذة وفي مقدمتهم الأستاذة الدكتورة ضحى محمد صالح التي قبلت كرماً منها واحساناً الإشراف على بحثى وبذل جهودها ليخرج بحثي على أفضل حال لينتفع به الناس، ويكون عملاً طيباً ترفع بها درجاتها عند الكريم المتعال، وكذلك فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان آيدن، وفضيلة الأستاذ الدكتور أيمن الدوري على قبولهما مناقشة الرسالة وتصحيح ما كان من خطأ فيها، وإعطاء التوجيهات والنصائح، لتكون الرسالة بأفضل حال نافعة لقارئها، كذلك رفيقة الدرب الفاضلة زوجتي الصابرة، وأخي في الله صاحب اللثام، وصديقي الأستاذ غسان زيدان، الّذين كان لهم اليد في الدعم والتشجيع على المثابرة، فجزاهم الله جميعاً عني خير الجزاء، وأن يجمعني معهم ومع أحبابنا في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

كذلك أتوجه بالشكر والامتنان لكلٍ من الجمهورية التركية حكومةً وشعبًا، على حسنِ ضيافتِهم لنا، وتسهيلِهم لدراستِنا وإقامتِنا على أرضهم التي أسأل الله تعالى أن يبارك فيها وبمن فيها ويحميَها من كيد أعدائها. كذلك الشكرُ لجامعة يلوفا إدارةً وموظفين على ما يبذلون من جهود مباركة في خدمة طلاب العلم في كل الأمور العلمية منها والإدارية.

وأخيراً أتوجه بخالص الدعاء لوالديَّ رحمهما الله تعالى، لما كان لهما من فضل عليّ من حثي على التمسك بتعاليم الإسلام، وتشجيعي على طلب العلم ومحبة العلماء، سائلاً المولى الكريم أن يتغمدهما برحمته، وأن يجمعني وإياهما في الفردوس الأعلى من الجنة.

تموز – 2023 محمد لامع البني

İÇİNDEKİLER

المحتويات

ETİK BEYAN i
ÖNSÖZ iii
İÇİNDEKİLER v
ÖZET viii
ABSTRACT x
الملخص: xii
1.مقدمة: 1
1.1 أهمية الدراسة: 2
1.2 مشكلة الدراسة: 2
1.3 أهداف الدراسة: 3
1.4 الدراسات السابقة: 3
1.5 منهجية الدراسة: 5
1.6 خطة الدراسة : 5
2. الفصل الأول: تعاريف ومقدمات ويتضمن ثلاثة مباحث: 9
2.1 المبحث الأول: في حد مفردات العنوان: 9
2.1.1 المطلب الأول: معنى القرآن لغة واصطلاحا: 9
2.1.2 المطلب الثاني: معنى تكريم الإنسان لغة واصطلاحاً: 10
2.1.3 المطلب الثالث: معنى الإهانة لغة واصطلاحاً: 12
2.1.4 المطلب الرابع: معنى الدنيا لغة واصطلاحاً: 13
2.2 المبحث الثاني: مفهوم الكرامة والإهانة الإنسانية الدنيوية 14
2.3 المبحث الثالث: مفهوم ومعنى اسمي الله الكريم و الأكرم: 24
2.3.1 المطلب الأول: فوائد وفضائل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته: 24
2.3.2 المطلب الثاني: الكريم والأكرم في النصوص القرآنية: 26
2.3.3 المطلب الثالث: صور من كرم الله تعالى من القرآن الكريم: 28
3. الفصل الثاني: الإنسان بين التكريم والإهانة بعلاقاته مع الله، ويتضمن ثلاثة مباحث: 32
3.1 المبحث الأول: التكريم في مرحلة خلق الإنسان الأول وزوجه وذريتهما. 32
3.1.1 المطلب الأول: تكريم الإعلان والخلق والخلافة: 32
3.1.2 المطلب الثاني: تكريم بدء الإيجاد والخلق والسجود: 35
3.1.3 المطلب الثالث: التكريم بإيداع مفاتيح المعرفة والإدراك في الإنسان(تكريم التعليم): 38
3.1.4 المطلب الرابع: تكريم الإيناس والإقامة والتنعيم والنصح والتحذير: 40

3.1.5 المطلب الخامس: تكريم التلطف بالخطاب والتوبة والمغفرة: 41
3.1.6 المطلب السادس: التكريم بتشريع النكاح وخلق الذرية. 43
3.2 المبحث الثاني: تكريم وإهانة الله تعالى للإنسان في التسخير والتكليف: 52
3.2.1 المطلب الأول: تكريم الله تعالى للإنسان بتسخير ما في الكون لخدمته. 52
3.2.2 المطلب الثاني: إهانة الله تعالى للكافرين بما جعله في الأصل منفعة لهم في حياتهم: 60
3.2.3 المطلب الثالث: تكريم الله تعالى للإنسان بإرسال الرسل لهدايته..... 74
3.2.4 المطلب الرابع: إهانة الله تعالى للكافرين لرفضهم دعوة المرسلين..... 78
3.2.5 المطلب الخامس: تكريم الله تعالى للإنسان بعنايته به..... 82
3.2.6 المطلب السادس: إهانة الله تعالى للإنسان بترك العناية به..... 88
4. الفصل الثالث: الإنسان(المسلم) بين التكريم والإهانة الدنيوية بعلاقاته مع نفسه وغيره ويتضمن مبحثين. ..96
4.1 المبحث الأول: تكريم وإهانة الإنسان لنفسه. 96
4.1.1 المطلب الأول: تكريم الإنسان لنفسه بالعلم والمعرفة..... 96
4.1.2 المطلب الثاني: إهانة الإنسان لنفسه بترك العلم والمعرفة: 100
4.1.3 المطلب الثالث: تكريم الإنسان لنفسه بالعبادة والطاعة:..... 103
4.1.4 المطلب الرابع: إهانة الإنسان لنفسه بترك العبادة والطاعة وفعل المعصية..... 105
4.2 المبحث الثاني: تكريم وإهانة الإنسان (المسلم) لغيره:..... 108
4.2.1 المطلب الأول: تكريم الإنسان (المسلم) بتكريم والديه:..... 109
4.2.2 المطلب الثاني: إهانة الإنسان (المسلم) بإهانة والديه. 113
4.2.3 المطلب الثالث: تكريم الإنسان(المسلم) بتكريمه للمرأة: 117
4.2.4 المطلب الرابع: إهانة الإنسان (المسلم) بإهانته للمرأة..... 130
الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات. 139
أهم النتائج:..... 144
نصائح وتوصيات:..... 141
المصادر والمراجع..... 143
ÖZGEÇMİŞ 155

EL-İNSANÜ BEYNE'L-KERÂMETİ VE'LİHÂNET'D-DÜNYEVİYYETİ Fİ'L-KUR'ÂNİ'L-KERÎM (DİRÂSETEN MEVDÛ'İYYETEN)

ÖZET

Bu araştırma, insan onurunun gerçekliğini doğrulamayı ve insanda kendi onur duygusunu oluşturmayı ve ona bağlılığını ve insanlığının özü olduğu için onu korumasını güçlendirmeyi amaçlamaktadır.İslam'da ilgi odağı insandır ve din onun için gelmiştir ve yaratıcısı tarafından sadece insanlığından dolayı onurlandırıldığı için ona hitap edilmektedir.Bu, Allah'ın insana karşı cömertliğinin, lütfunun ve lütfunun sonu olmadığına işaret eder, ancak bu şeref, insanın Rabbinin vahiylerine karşılık vermesi ve onun emir ve yasaklarına uymasıyla bağlantılıdır.Allah'a itaat ederse, şeref dairesinde kalır ve ondan yükselir, eğer yüz çevirirse, şerefi diğer aşağılayıcı dairelere bırakır.Bu şahsın izzet ve dünyevî zillet ayetlerini objektif bir çalışma içerisinde ele alan çalışmamızda bulacağımız Kur'an-ı Kerim bunu göstermiş ve buna işaret eden misaller vermiştir.

Anahtar Kelimeler: Kur'an - Insan - Dünya hayatı - Onurlandırma - Hakaret - Teshir

THE HUMAN BETWEEN HONOR AND WORLDLY HUMİLİATİON İN THE QURAN (OBJECTİVE RESEARCH)

ABSTRACT

This research aims to affirm the originality of human dignity, develop a sense of dignity in humans, strengthen their attachment to it, and protect it because it is the core of their humanity. The human being is the primary focus of attention in Islam; religion was established for his sake, and the human being is the one who is addressed by it. He is honored by his Creator just for his humanity, indicating that Allah Almighty's limitless generosity, favor, and benevolence towards humans knows no bounds. This honor, however, is linked to the degree of the human's response to his Lord's revelation, his compliance with His command, and prohibition. If the human is obedient to God, he remains within the circle of honor and grows within it; when a person turns away, he departs the circle of honor and goes into humiliation circles. The Holy Quran clarified this and provided examples that confirmed it, which we will uncover in our study of verses concerning the dignity and worldly humiliation of an individual as part of a subjective study and comparison

Keywords: Quran - Human being - Life - Humiliation – Exploitation.

الإنسانُ بين الكرامةِ والإهانة الدنيويةِ في القرآنِ الكريمِ

(دراسةٌ موضوعيةٌ)

الملخص:

تناول الباحث في هذه الدراسة كيفية تقلّب الإنسان بين التكريم والإهانة الدنيوية في القرآن الكريم، وبيَّن بعضها بعد استقراء الآيات الدالة عليهما في القرآن الكريم، وكان ذلك ضمن ثلاثة علاقات، علاقة الإنسان مع الله تعالى، و علاقة الإنسان مع نفسه، وعلاقة الإنسان مع الآخرين، وجاءت هذه الدراسة لتأكيد أصالة الكرامة الإنسانية، ولترسخ في الإنسان إحساسه بكرامته، ولتقوي تمسكه بها وصونه لها، لأنها جوهر إنسانيته، فالإنسان في الإسلام هو محور الاهتمام، ولأجله جاء الدين، وهو المخاطب به، فهو مكرم من خالقه لمجرد إنسانيته، وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرم الله تعالى ولفضله وإحسانه مع الإنسان، ولكنّ هذا التكريم مرتبط بمدى استجابة الإنسان لوحي ربه وامتثاله لأمره ونهيه، فإذا كان الإنسان لله طائعاً ظل في دائرة التكريم وازداد منه، وإن أعرض وتولى خرج من التكريم إلى دوائر أخرى مهينة، وقد بين القرآن الكريم ذلك وأعطي نماذج تدل عليه، وختم الباحث الدراسة بنتائج تدور حول مظاهر وأسباب تكريم الإنسان أو إهانته، ضمن العلاقات المذكورة، ثم ذكر التوصيات التي تهم المهتمين بكرامة الإنسان.

الكلمات المفتاحية: القرآن– الإنسان– الحياة الدنيا– التكريم – الإهانة– التسخير.

1.مقدمة:

الحمد لله الكريمِ المتعال، والصلاة والسلام على أكرم الخلق على الإطلاق، حبيبِنا وشفيعِنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، وعلى من سار على هديه واستن بسنته، إلى يوم التكريم من ذي الجلال والإكرام.

وبعد:

فقد جاء الإسلام ليؤكد على أصالة الكرامة الإنسانية وليرسخ في الإنسان إحساسه بكرامته وليقوي تمسكه بها وصونه لها لأنها جوهر إنسانيته، فالإنسان في الإسلام هو محور الاهتمام ولأجله جاء الدين وهو المخاطب به، فهو مكرم من خالقه لمجرد إنسانيته، وما أعظم الفرق بين هذا الإنسان – إنسان الإسلام- والإنسان كما تصوره الفلسفات المادية الوضعية .

وهذه قاعدة عامة في الإسلام، وهذا التكريم الإلهي الذي يعم البشرية قاطبة، مستمد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠، وقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

نعم للإنسان في الإسلام قيمة كبيرة، ومكانة رفيعة نوه بها القرآن الكريم، ونوهت بها السنة النبوية، وأشاد بها علماء الإسلام في كل اختصاص، وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرم الله تعالى ولفضله وإحسانه مع الإنسان، ولكنّ هذا التكريم مرتبط بمدي استجابة الإنسان لوحي ربه وامتثاله لأمره ونهيه، فإذا كان لله طائعاً ظل في دائرة التكريم، وازداد منه، وإن أعرض وتولى خرج من التكريم إلى دوائر أخرى مهينة، وقد بين القرآن الكريم ذلك وأعطي نماذج تدل عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: 1-3]، ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [التين: 4-6]، وآيات أخرى كثيرة تحكي هذا الأمر، سنجدها ضمن دراستنا هذه، والتي تعتني بدراسة آيات الكرامة والإهانة الدنيوية لهذا الإنسان، ضمن دراسة موضوعية.

فأسأل الله تعالى التوفيق والسداد والقبول، فإنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه وتعالى.

1.1 أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة بتجلي أهمية عناصرها، وأهمية العلاقة بين عناصرها:

أولا: أهمية عناصر الدراسة:

1- القرآن الكريم، الذي هو كلام الله عز وجل، ورسالته للإنسانية، والدراسة تحكي عن تدبر آياته.

2- الإنسان، وهو محور الكون، وهو أيضاً من أهم مخلوقات الله وأكرمها.

3- الحياة الدنيا، وقد يُنظر إليها نظرة سلبية مطلقة، وهذا من الأخطاء الجليّة، فهي مهمة جداً من جانب، ودنيئة جداً من جانب آخر، فمن جانب الأهمية هي:

أ: طريق الوصول إلى الآخرة، التي يسير عليها الناس بلا توقف قدراً من الله تعالى، وبالتالي لابد للوصول إلى إحدى النتيجتين، الجنة أو النار.

ب: أهمية حال الإنسان أثناء السير إلى الآخرة، إما أن تعليه الكرامة والرفعة والشرف، وإما أن تدنيه الإهانة والذل والوضاعة.

ثانيا: أهمية العلاقة بين عناصر الدراسة، والمقصود منها في بحثنا الكرامة أو الإهانة، فالقرآن ينقل لنا أن الله تعالى أكرم الإنسان كرامة مطلقة، ثم يأتي تخصيص لحالتين لا ثالث لهما، حالة استمرار الكرامة، وحالة تبدليها إلى إهانة، وهذه أهمية لا تخفى على أدنى من له مسكة عقل.

ثالثا: إفادة المهتمين بكرامة الإنسان من مؤسسات إنسانية وتربوية وغيرهما، من خلال صور التكريم والإهانة الخاصة بالإنسان في القرآن الكريم ، والذي هو منهج متكامل لا ريب فيه ، وبما أني أرى أكثر الناس غير مهتمين لهذه المسألة، أو غافلين عنها، كانت رغبتي في كتابة هذا الدراسة، فأسأل الله تعالى القبول والسداد، والنفع للناس، إنه سميع قريب مجيب.

1.2 مشكلة الدراسة:

أثناء قراءتي وتدبري لكتاب الله تعالى، وجدت أن القرآن الكريم يصف الإنسان بالمكرّم المطلق، ثم يذكر ألواناً للتكريم لاتعد ولا تحصى، ثم ينقلب بعض هذا التكريم في بعض الحالات إلى إهانة وإذلال، وتتحول ألوان تكريمه لتصبح أدوات

للإهانة والدمار، وبما أن قضية التكريم الإنساني وامتهان كرامة الإنسان من القضايا التي أصبح من الضرورة إظهارها والاعتناء بها لذلك تبادر لذهني أسئلة، أجبت عليها من خلال هذه الدراسة، ومنها:

1- ما أوجه التكريم التي أكرم الله تعالى بها الإنسان في الحياة الدنيا ؟

2- ما الأعمال القولية أو الفعلية، التي يستمر من خلالها تكريم الله تعالى للإنسان في الحياة الدنيا ؟

3- ما الأعمال القولية والفعلية، التي تبدل تكريم الله تعالى للإنسان إلى إهانة وإذلال في الحياة الدنيا ؟

1.3 أهداف الدراسة:

1- إظهار معاني الكرامة والإهانة ومفهومهما بشكل عام.

2- بيان أوجه وأسباب تكريم الله تعالى للإنسان في الحياة الدنيا.

3- بيان أوجه و أسباب إهانة الله تعالى للإنسان في الحياة الدنيا.

4- توضيح الأعمال القولية والفعلية التي يحافظ بها الإنسان على تكريم الله تعالى له في الحياة الدنيا .

5- توضيح الأعمال القولية والفعلية التي يبدل بسببها الله تعالى تكريم الإنسان إلى إذلال ومهانة في الحياة الدنيا.

1.4 الدراسات السابقة:

لم أجد فيما بحثت فيه من دراسات من خصص التكريم والإهانة الدنيوية في القرآن الكريم ببحث مستقل، إنما وجدت مقالات، أو مطالب في أبحاث يذكر الكتّاب فيها، شيئاً من التكريم أو الإهانة، بشكل عام، أو يذكر بعض مظاهر التكريم والإهانة لبعض الفئات الإنسانية، ومنها:

1- مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم. أ.د. الشاهد البوشيخي، 30صحيفة(اقتصر الكاتب فيه على ذكر بعض مظاهر التكريم فقط بشكل مجمل ضمن تكريم الخلق والتسخير، دون أي تفصيل، ودون أي نقل عن أئمة التفسير للمعاني المفصلة في ذلك ولم يذكر عن الإهانة شيئا).

2- مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم. د. علي الصلابي، مقالة 10 صفحات،(تكلم فيها الكاتب عن الأمور التي يظهر فيها التكريم الإلهي للإنسان، وذلك في ثمان نقاط شرحها بشكل مجمل دون تفصيل، مع ذكر بعض الأدلة القرآنية، دون التعرض لكلام أئمة التفسير، ولم يذكر عن الإهانة شيئا).

3- مظاهر التكريم الإلهي للنفس الإنسانية. أ: رامي سامي ضيف الله عباس د. عدنان مصطفى خطاطبة 26 صفحة،(ذكر الباحث فيه بعض مظاهر التكريم الإنساني في السماء ثم في الأرض، بشكل مجمل، ولم يذكر الكاتب تكريم الإنسان لنفسه أو لغيره، ولم يتعرض لمسألة الإهانة مطلقا) .

4- مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل .د. فتحي جوهر فرمزي. مقالة 40 صفحة،(ذكر فيها الكاتب بعض أحكام العقوبات والحدود يقارن بها بين التوراة والإنجيل والقرآن، ليخرج بنتيجة إلى وجود أحكام متشددة في الكتب المحرفة لأنها من صنع البشر، كما يذكر عدم المساواة بين الرجل والمرأة فيها، مما يظهر وضوح التحريف، ثم يذكر كيف كُرم الإنسان في العقوبات وعدالتها ومساواتها في القرآن الكريم،) .

5- تكريم الإنسان في الإسلام، مولودي كلثوم،(تناولت فيه الباحثة، الآيات الواردة في التكريم، كما ذكرت صوراً عن التكريم بشكل مجمل، وذكرت شبهات حول تكريم الإنسان، ضمن مسألتي الجهاد والرق).

6- المهانون، مقالة د.بدر عبد الحميد هميسة 10صفحات،(اقتصر فيها الباحث على ذكر بعض الذين أهانهم الله كأصحاب المعاصي والسيئات، و المخالفين لتعاليم الإسلام، و المتكبرين على الحق وغيرهم، بشكل عام غير مفصل) .

التقت هذه الدراسات مع دراستنا في جزء من المسائل المجملة دون التفصيلية، بالإضافة إلا أن دراستنا تميزت بما يلي:

أولا- فصلت دراستنا مظاهر التكريم ضمن ثلاثة محاور:

1- التكريم من الله للإنسان من بداية الخلق والإيجاد بشكل مفصل لكل مرحلة سواء لأول مخلوق ووصولا للذرية، ثم تسخير الله للكون لخدمة الإنسان، سواء التسخير السماوي والأرضي بأدق التفاصيل .

2- تكريم الإنسان لنفسه، بالعلم والمعرفة والطاعة بشكل مفصل.

3- تكريم الإنسان لغيره.

ثانيا: عززت هذه المحاور بالآيات القرآنية مع أقوال المفسرين، وهذا ما تميزت به الدراسة عن غيرها.

ثالثا: أتبعت كل محور من المحاور بقلب هذا التكريم إلى إهانة على سبيل المقابلة في حال عدم تحقق الأعمال والأقوال التي تحافظ على هذه الكرامة حسب التوجيهات القرآنية، وهذا الذي لم يقم به باحث قبلي.

1.5 منهجية الدراسة:

1- جمع النصوص القرآنية المتعلقة بتكريم أو إهانة الإنسان في الحياة الدنيا، ودراستها دراسة موضوعية حسب متطلبات الدراسة العلمية.

2- اعتمد الباحث على منهجين للدراسة:

أ- المنهج الوصفي: من خلال جمع آيات القرآن الكريم الخاصة بموضوع الكرامة والإهانة الدنيوية للإنسان، وتفسيرها، وبيان أحكامها.

ب- المنهج الاستقرائي الاستنباطي: ظهر ذلك خلال استقراء النصوص القرآنية المرتبطة بالتكريم أو الإهانة الإنسانية الدنيوية، واستنباط المحاور والقواعد التي تخدم الدراسة.

3- قام الباحث بعزو الآيات إلى سورها، مراعياً رسم المصحف، كما خرّج الأحاديث النبوية الشريفة من كتب السنة من مصادرها الأصلية، وتوثيق المصادر في الهامش حسب التوثيق العلمي المعتمد.

1.6 خطة الدراسة :

تتضمن الدراسة : ملخص الدراسة- الكلمات المفتاحية - المقدمة (أهمية الدراسة، ومشكلتها، والهدف منها، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة، والخطة)، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

الفصل الأول: تعاريف ومقدمات، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في حد مفردات العنوان.

المطلب الأول: معنى القرآن لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: معنى تكريم الإنسان لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: معنى الإهانة لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: معنى الدنيا لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مفهوم الكرامة و الإهانة الإنسانية الدنيوية.

المبحث الثالث: مفهوم معنى اسمي الله الكريم والأكرم.

المطلب الأول: فوائد وفضائل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته.

المطلب الثاني: الكريم والأكرم في النصوص القرآنية.

المطلب الثالث: صور من كرم الله تعالى من القرآن الكريم.

الفصل الثالث: الإنسان بين التكريم والإهانة بعلاقاته مع الله، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التكريم في مرحلة خلق الإنسان الأول وزوجه وذريتهما .

المطلب الأول: تكريم الخلق والإيجاد في المكان والزمان.

المطلب الثالث: تكريم الإعلان والخلافة.

المطلب الرابع: تكريم بدء الإيجاد والخلق والسجود.

المطلب الثالث: التكريم بإيداع مفاتيح المعرفة والإدراك في الإنسان(تكريم التعليم).

المطلب الرابع: تكريم الإيناس و الإقامة والتنعيم والنصح والتحذير.

المطلب الخامس: تكريم التلطف بالخطاب والتوبة والمغفرة.

المطلب السادس: التكريم بتشريع النكاح وخلق الذرية.

المبحث الثاني: تكريم وإهانة الله تعالى للإنسان في التسخير والتكليف.

المطلب الأول: تكريم الله تعالى للإنسان بتسخير ما في الكون لخدمته.

المطلب الثاني: إهانة الله تعالى للكافرين بما جعله في الأصل منفعة لهم في حياتهم.

المطلب الثالث: تكريم الله تعالى للإنسان بإرسال الرسل لهدايته.

المطلب الرابع: إهانة الله تعالى للكافرين لرفضهم دعوة المرسلين.

المطلب الخامس: تكريم الله تعالى للإنسان بعنايته به.

المطلب السادس: إهانة الله تعالى للإنسان بترك العناية به.

الفصل الثالث: الإنسان (المسلم) بين التكريم والإهانة الدنيوية بعلاقاته مع نفسه وغيره ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: تكريم وإهانة الإنسان لنفسه.

المطلب الأول: تكريم الإنسان لنفسه بالعلم والمعرفة.

المطلب الثاني: إهانة الإنسان لنفسه بترك العلم والمعرفة.

المطلب الثالث: تكريم الإنسان لنفسه بالعبادة والطاعة .

المطلب الرابع: إهانة الإنسان لنفسه بترك العبادة والطاعة.

المبحث الثاني: تكريم وإهانة الإنسان (المسلم) لغيره.

المطلب الأول: تكريم الإنسان (المسلم) بتكريمه لوالديه .

المطلب الثاني: إهانة الإنسان(المسلم) بإهانته والديه .

المطلب الرابع: تكريم الإنسان(المسلم) بتكريمه للمرأة.

المطلب الرابع: إهانة الإنسان (المسلم) بإهانته للمرأة.

الخاتمة.

2. الفصل الأول: تعاريف ومقدمات ويتضمن ثلاثة مباحث:

2.1 المبحث الأول: في حد مفردات العنوان:

وأقدم لفظ القرآن على غيره لشرفه وحقه في التقدم

2.1.1 المطلب الأول: معنى القرآن لغة واصطلاحا:

أولا : معنى القرآن لغة:

قَالَ أَبُو إِسْحَاق الزّجاج: «مَعْنَى القُرآن مَعْنَى الْجَمْعِ، وَسُمِّيَ قُرْآناً لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، أَي جَمْعَه وقِراءَته، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أَي قِراءَتَهُ.

وَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنه كَانَ يَقُولُ: القُران اسْمٌ، وَلَيْسَ بِمَهْمُوزٍ، وَلَمْ يُؤْخذ مِنْ قَرأْت، ولكنَّه اسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِثْلُ التَّوْرَاةِ والإِنجيل »[1].

ثانيا: معنى القرآن اصطلاحا:

لم يتفق العلماء على تعريف اصطلاحي واحد للقرآن الكريم[2].

---

[1] الهروي، محمد بن أحمد، (ت 370هـ)، ***تهذيب اللغة***، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى،1422هـ- 2001م، (9/ 209) – ينظر: الأنباري، محمد بن القاسم، (ت 328هـ)، ***الزاهر في معاني كلمات الناس***، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط: الأولى، 1412 هـ -1992، (1/ 71)– ابن سيده علي بن إسماعيل، (ت: 458هـ)، ***المحكم والمحيط الأعظم***، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، (469/6) – ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت 711هـ)، ***لسان العرب***، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ،بيروت ط: الثالثة - 1414 هـ، (1/ 128)- ابن الأثير، المبارك بن محمد، (ت 606هـ)، ***النهاية في غريب الحديث والأثر***، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية ، بيروت، 1399هـ - 1979م، (30/4)- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت 502هـ)، ***المفردات في غريب القرآن***، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط الأولى - 1412 هـ (ص668)- ابن منظور، ***لسان العرب***، (1/ 128- 129).

[2] الدراز محمد بن عبد الله، (ت 1377هـ)، ***النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم***، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م، (ص41).

والتعريف الأكثر استخداما: «هو الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سوره»[3].

2.1.2 المطلب الثاني: معنى تكريم الإنسان لغة واصطلاحاً:

أولا: معنى تكريم الإنسان لغة:

قال ابن فارس: « (كَرَمَ) الْكَافُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ بَابَانِ

أَحَدُهُمَا شَرَفٌ فِي الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ أَوْ شَرَفٌ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ. يُقَالُ رَجُلٌ كَرِيمٌ، وَفَرَسٌ كَرِيمٌ، وَنَبَاتٌ كَرِيمٌ. وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ، إِذَا أَتَى بِأَوْلَادٍ كِرَامٍ. وَاسْتَكْرَمَ: اتَّخَذَ عِلْقًا كَرِيمًا. وَكَرُمَ السَّحَابُ: أَتَى بِالْغَيْثِ. وَأَرْضٌ مَكْرَمَةٌ لِلنَّبَاتِ، إِذَا كَانَتْ جَيِّدَةَ النَّبَاتِ، وَالْكَرَمُ فِي الْخُلْقِ يُقَالُ هُوَ الصَّفْحُ عَنْ ذَنْبِ الْمُذْنِبِ، وَأَمَّا الْكَرْمُ فَالْعِنَبُ أَيْضًا لِأَنَّهُ مُجْتَمِعُ الشُّعَبِ مَنْظُومُ الْحَبِّ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الْكَرْمُ، وَهِيَ الْقِلَادَةُ»[4].

قال الخليل بن أحمد: «كرم: الكَرَم: شرف الرجل، والكَرامةُ: اسم للإكرام»[5].

وقد جمع الزبيدي لمعنى الكريم نيفا وثلاثين قولا «قال الزبيدي:... فهَذِه نَيْفٌ وثلاثُون قَولاً فِي مَعْنَى الكَرِيم، وَلَم أَرَه مَجْمُوعًا فِي كِتابٍ»[6].

---

[3] ينظر: الزّرقاني، محمد عبد العظيم، (ت 1367هـ)، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط الثالثة.، (1/ 19)-الدراز، ***النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*** (ص43)- محمد خازر المجالي، ***الوجيز في علوم الكتاب العزيز***، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الأردن ط: الثانية، 1426هـ-2005م (ص 13) – أبو شهبة، ***المدخل لدراسة القرآن الكريم***، (ص21) وزاد عليه المكتوب في المصاحف من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس»- محمد بكر إسماعيل، ***دراسات في علوم القرآن***، (ص 10)- مساعد بن سليمان الطيار، ***المحرر في علوم القرآن***، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: الثانية، 1429 هـ – 2008 م (ص 22) .

[4] ابن فارس أحمد بن فارس، (ت 395هـ)، ***معجم مقاييس ابن فارس***، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ – 1979م (5/171- 172)- ينظر: ابن منظور، ***لسان العرب***، (12/ 510)- ينظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت 817هـ)، ***القاموس المحيط***، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م، (ص1153-1154).

[5] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت 170هـ)، ***الفراهيدي، كتاب العين***، ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، 1424هـ ،2003م (ص268)- ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، (ت 666هـ)، ***مختار الصحاح***، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت ،صيدا ط الخامسة، 1420هـ – 1999م، (5/ 368)- ينظر: ابن منظور، ***لسان العرب***، (12/ 510).

[6] الزبيدي، ، محمّد بن محمّد، (ت 1205هـ)، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، دار الهداية بدون طبعة (33/ 348).

قَالَ الْأَخْفَشُ: «وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، بِفَتْحِ الرَّاءِ أَيْ مِنْ إِكْرَامٍ وَهُوَ مَصْدَرٌ كَالْمُخْرَجِ وَالْمُدْخَلِ»[7].

قال ابن منظور: «وَقَوْلُهُ: هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ؛ أَيْ فضَّلْت»[8].

والذي يبدو لي من خلال التأمل في المعاني المتعددة للتكريم، أن التكريم هو صفة رفيعة، تتعدى بالخير والنفع للغير، فالفاعل كريم، والغير مكرَّم، والخير والنفع بكل أشكالهما هي المكرمات، ولا يوجد مشابِهٌ لكرم الله فهو الكريم المطلق، ويتجلى هذا الإكرام في الإنسان فهو المكرَّم، وأما أنواع التكريم فهي موضوع بحثنا والله الموفق.

ثانيا: معنى تكريم الإنسان اصطلاحاً:

قال الطّبريّ: «تكريم الإنسان (بني آدم) هو تسليط الله عزّ وجلّ إيّاهم على غيرهم من الخلق، وتسخيره سائر الخلق لهم»[9].

وقال الراغب الأصفهاني: «الإِكْرَامُ والتَّكْرِيمُ: أن يوصل إلى الإنسان إكرام، أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كَرِيماً، أي: شريفاً»[10].

وقال القرطبيّ: «تكريم الإنسان هو ما جعله الله له من الشّرف والفضل وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال و يَدْخُلُ فِيهَ خَلْقُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فِي امْتِدَادِ الْقَامَةِ وَحُسْنِ الصُّورَةِ »[11].

وقال ابن كثير: «تكريم الله للإنسان بخلقه له على أحسن الهيئات وأكملها يمشي قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية»[12].

---

[7] الرازي، ***مختار الصحاح***، (ص268)- ينظر: ابن منظور، ***لسان العرب***، (12/ 512).

[8] ابن منظور، ***لسان العرب***، (12/ 512).

[9] الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ)، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، تحقيق: د. عبد الله التركي ود. عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط الأولى، 1422 هـ، (5/15).

[10] الراغب الأصفهاني، ***المفردات في غريب القرآن***، (ص707).

[11] ا لقرطبي، محمد بن أحمد، (ت 671هـ)، ***الجامع لأحكام القرآن***، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ،القاهرة ط الثانية، 1384 هـ - 1964 م (293/10).

[12] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت 774 هـ)، ***تفسير القرآن العظيم***، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1419هـ، (97/5).

وقال أبو حيّان: «تكريم بني آدم: جعلهم ذوي كرم بمعنى الشّرف والمحاسن الجمّة، كما تقول: ثوب كريم وفرس كريم أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال (في شيء)، وقال رحمه الله وما جاء عن أهل التّفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكروها هو على سبيل التّمثيل لا الحصر في ذلك»[13].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكرامة في لزوم الاستقامة، واللهُ تعالى لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم:﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]»[14].

والذي يبدو لي من المعاني السابقة، أخذ تكريم الإنسان في معنى تشريفه وتفضيله وتعظيم شأنه، وغير ذلك من المعاني المحتملة لأنواع التكريم الخاصة بالإنسان، لأن صاحب التكريم هو الله تعالى وصفة الكرم عنده صفة مطلقة.

2.1.3 المطلب الثالث: معنى الإهانة لغة واصطلاحاً:

أولا: معنى الإهانة لغة:

قال الخليل بن أحمد: «هون: الهُونُ: الخِزْيُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ؛ أَي ذِي الْخِزْيِ.

والهُونُ والهَوانُ: نَقِيضُ العِزِّ، هانَ يَهُونُ هَواناً، وَهُوَ هَيْنٌ وأَهْوَنُ.

وَالضَّمُّ مِنَ الإهانة الاستخفافِ بِالشَّيْءِ وَالِاسْتِحْقَارِ، وَالِاسْمُ الهَوانُ »[15].

قال العسكري: «الإهانة أن يجعله صغيرَ الأمر لا يبالي به، والشاهد قولك استهان به أي لم يبال به، ولم يلتفت إليه»

---

[13] ابن حيان، محمد بن يوسف، (ت 745هـ)، ***البحر المحيط في التفسير***، تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر ،بيروت ط: الأولى، 1420هـ، (7-84).

[14] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، (ت 728هـ)، ***التحفة العراقية في الأعمال القلبية***، المطبعة السلفية، القاهرة ط: الثانية، (ص 49).

[15] الفراهيدي، ***كتاب العين***، (4/ 92).

[16]، قال الحميري: «أهانه الله تعالى فهان. قال عز وجل: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]» [17]، وقال محمد حسن: «أي من يهنهُ اللهُ لكفره أو فسقه» [18].

ثانيا: معنى الإهانة اصطلاحاً:

«كُلُّ قَوْلٍ أو فِعْلٍ يَشْتَمِلُ على الانْتِقاصِ والتَّحْقِيرِ بِحَسَبِ ما تَعارَفَ عليه النَّاسُ»[19].

ولابد من شرح مختصر للتعريف:

«تُعْتَبَرُ الإهانة مَدْلُولًا لعُقوبَة: فتَكون الإهانة عُقُوبَةً مُقَرَّرَةً، سَواءٌ أكانت بِالقَوْل أم بِالفِعْل، فَأَخْذُ الجِزْيَةِ مِن الكُفَّارِ تكون مع الإهانة لَهُم، وكإِهانَةِ مَن يَعْتَدِي على غَيْرِهِ بِشَتْمٍ مَثَلًا، وتَخْتَلِفُ الإهانة كَعُقُوبَةٍ بِاخْتِلافِ مِقْدارِ الإهانة، وبِاخْتِلافِ قَدْرِ المهانِ»[20].

والذي يبدو لي مما سبق، تقسيم إهانة الإنسان إلى قسمين:

1- إهانة الكافر وتكون بكل أنواع الإهانات القولية والفعلية على سبيل الانتقاص والاحتقار والسخرية.

2- إهانة العصاة من المؤمنين وتكون بأنواع خاصة من الإهانات القولية والفعلية على سبيل تكفير الذنوب، والتحذير والإرشاد والتنبيه.

2.1.4 المطلب الرابع: معنى الدنيا لغة واصطلاحاً:

أولا: الدنيا لغة:

قال الخليل بن أحمد: «دنأ، دنو: دَنُؤَ يَدْنُؤُ دَناءةً فهو دَنِيءٌ، أي حقيرٌ قريبٌ من اللُّؤْم. والدُّنُوُّ، غير مهموز، دَنَا فهو

---

[16] العسكري، الحسن بن عبد الله، (ت نحو 395هـ)، ***معجم الفروق اللغوية***، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي بـ «قم» ط: الأولى، 1412هـ، (ص32).

[17] الحميري، نشوان بن سعيد اليمني، (ت 573هـ)، ***شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم***، تحقيق: د حسين العمري، مطهر الإرياني ، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط: الأولى، 1420هـ - 1999م،(10/ 7006).

[18] محمد حسن حسن جبل، (ت1436هـ)، ***المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم***، مكتبة الآداب، القاهرة ط: الأولى، 2010 م، (4/ 2326).

[19] ***موسوعة المصطلحات الإسلامية موقع إلكتروني*** https:--cutt.us-yYrJZ . تمت الزيارة بتاريخ 12-09-2022.

[20] ينظر: المصدر السابق .

دانٍ ودَنِيٌّ، وسُمِّيَت الدُّنيا لأنَّها دَنَتْ وتأخَّرَتِ الآخِرةُ، وكذلك السَّماءُ الدُّنيا هي القُرْبَى إلينا» [21].

وقيل: «الدنيا اسم لهذه الحياة (سميت بذلك) لبعد الآخرة عنها، والحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان: الحياة الدنيا والحياة الآخرة» [22].

ثانيا: الدنيا اصطلاحاً:

الدنيا أو الحياة الدنيا: «هي ذلك الحيز المكاني والزماني منذ خلق الله الكون وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهي بالنسبة للآدمي أو جنس الإنسان تمتد منذ خلق الله آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة، أما بالنسبة للأفراد أو الأشخاص فهي لا تعدو تلك الفترة الزمنية التي تمتد من لحظة الميلاد إلى لحظة الوفاة»[23].

2.2 المبحث الثاني: مفهوم الكرامة والإهانة الإنسانية الدنيوية.

لقد أصبح مصطلح (الكرامة والإهانة الدنيوية الإنسانية)، من أهم المصطلحات تداولاً في مؤسسات المجتمع المدني بكل مستوياته ووسائله، ومن أهم ما ينادى به – وإن كان شكلياً – في منظمة حقوق الإنسان العالمية، التي تدعو وبإلحاح لوقف الانتهاكات التي يتعرض لها الإنسان في العالم.

ولقد امتلأت مناهج التربية والتعليم في شتى بقاع العالم بهذا المصطلح، الذي يعد اليوم أساس التنمية الشاملة للمجتمعات، فلا تنمية من دون حفظ حقوق الإنسان وكرامته ودفع إهانته وإذلاله.

والناظر بعمق لما تعيشه المجتمعات– خاصة العربية– من كوارث على كافة الأصعدة (الدينية والأخلاقية و السياسية والثقافية والاقتصادية....) يعلم أنما هي نتيجة إهانة وإذلال الإنسان، والتي حولته إلى مجرد آلة أو هيكل لا حول له ولا قوة.

وبحسب ما نؤمن به نحن المسلمون، فإنه لا طريق للخروج من هذه الكوارث والمآزق، إلا بالعودة إلى ما قرره وحدده هذا الدين القويم، الذي اختاره خالق هذا الكون ليكون دستوراً لكرامة الإنسانية وسعادتها إلى قيام الساعة، ومن مفردات

---

[21] الفراهيدي، ***كتاب العين***، (8/ 75).

[22] ينظر: ابن منظور، ***لسان العرب***، (272/14). .

[23] ***نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم*** – ﷺ عدد من المختصين، بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط: الرابعة – أحمد رضا بن إبراهيم، (ت1372هـ)، ***معجم متن اللغة***، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377 – 1380 هـ، (460/2). .

هذا الدستور العظيم، مفهوم التكريم والإهانة للإنسان.

فحسب الرؤية الإسلامية، إن ضابط تكريم الإنسان وإهانته، قد وضع لهذا المخلوق من قَبِلِ وجوده العيني، حيث حُدد في علم الله الأزلي، وهذا الضابط هو أن من حقق شهادة الربوبية واعترف بمطلق ألوهية الخالق ووحدانيته فهو المكرم المفضل، ومن لم يحقق ذلك فهو المهان المذلل، والسبب الجوهري في إهانته، أنه قد نقض العهد الذي أَخذه الله منه وهو في عالم الذر، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، قال ابن كثير:« يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠][24]، وفي الصحيحين، قال ابن شهاب: « يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَوْلُودٍ مُتَوَفًّى، وَإِنْ كَانَ لِغَيَّةٍ[25]، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ، يَدَّعِي أَبَوَاهُ الإِسْلَامَ، أَوْ أَبُوهُ خَاصَّةً، وَإِنْ كَانَتْ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ الإِسْلَامِ ،..[26]، وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء»[27]، وقال أبو جعفر الطحاوي: «.... قال حدّث الأسود بن سريع وكان أوّل من قصّ في هذا المسجد قال: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات فتناول أصحابه الذّرّيّة بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتدّ ذلك عليه، فقال:.. أما إنّه

---

[24] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (3/ 451).

[25] لغية أي لزنا، ابن الملقن، عمر بن علي، (٧٢٣ – ٨٠٤ هـ)، ***التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق***: دار الفلاح، جمعة فتحي دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟(97/10).

[26] البخاري، محمد بن إسماعيل، (256 هـ)، ***صحيح البخاري***، تحقيق: جماعة من العلماء، ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311هـ ، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام(رقم1358)،(2/ 94)- مسلم بن الحجاج، (ت 261 هـ)، ***صحيح مسلم***، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374 هـ – 1955 م، كتاب القدر، باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفّار وأطفال المسلمين (رقم 22)،(4/ 2047).

[27] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصّفات الّتي يعرف بها في الدّنيا أهل الجنّة وأهل النّار (رقم63)،(4/ 2197).

ليست تولد نسمة إلّا ولدت على الفطرة فما يزال عليها حتّى يبين عنها لسانها فأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها»[28]،قال ابن عاشور: «وحاصل المعنى: أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، وجعل في فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلى إدراك ذلك، وتحصيل إدراكه إذا جرد نفسه من العوارض التي تدخل على فطرته فتفسدها.. وإن ذلك لما جعل في الفطرة عند التكوين كانت عقول البشر منساقة إليه، فلا يغفل عنه أحد منهم فيعتذر يوم القيامة، إذا سئل عن الإشراك، بعذر الغفلة، فهذا إبطال للاعتذار بالغفلة[29].

ثم تقرر ضابط التكريم بعد وجوده العيني، وازداد بالتفضيل بقوله تعالى :﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، قال ابن كثير: «ويخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين: ٤ أي يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه.. ، وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله .. وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»[30]،كما تقرر أيضا ضابط الإهانة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج ١٨]، قال الواحدي :« في رواية عطاء: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ١٨] يريد: من تهاون بعبادة الله يعني أن تهاونه بعبادة الله (من إهانة الله) إياه وطرده ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، يريد أن مصيره إلى النار وليس إلى الكرامة كما يُكْرم أولياؤه»[31]، قال ابن القيم: «فإنهم لما هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه أهانهم الله فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم الله، ومن ذا يكرم من أهانه الله؟ أو يهن من

---

[28] الطحاوي، أحمد بن محمد، (ت 321هـ)، ***شرح مشكل الآثار***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ،1415 هـ، 1494م، (4/ 13).

[29] ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، (المتوفى : 1393هـ)، ***ابن عاشور، التحرير والتنوير***، الدار التونسية للنشر، تونس 1984هـ، (9/ 168).

[30] ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (5/ 89) .

[31] الواحدي علي بن أحمد، (ت 468هـ)، ***التفسير البسيط***، أصل تحقيقه في 15، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، 1430هـ، (15/ 328).

أكرمه الله؟»[32]، ثم توالت الآيات القرآنية لتبدأ بتفصيل هذا المفهوم –وهو موضوع بحثنا– وأذكر هنا بعضها على سبيل الإجمال فمنها:

أولا: أن الإيمان بوحدانية الخالق وألوهيته هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولكن هذه الحقيقة الفطرية الراسخة في الوجود الإنساني، لا تتحقق بالنسبة لكل فرد إلا بالاختيار والجهد الإرادي الحر، لذلك جاء الأمر بها من الله تعالى لرسوله وأمته، فقال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، قال الطبري: «فأقم وجهك يا محمد أنت وأمتك للدين حنفاء لله، منيبين إليه»[33]، والإقامة لا تكون إلا بالإرادة والاختيار.

والإسلام يعتبر الإنسان بوجوده، موجوداً فطريًّا مكرماً، ولو تزعزعت تلك الفطرة فيه نتيجة الغفلة والنسيان والذنوب، مادام يعود إلى أصل فطرته مستغفراً تائباً آيباً إلى الله تعالى، وهذا هو مقتضى قول الباري عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، والأديان والرسالات والتشريعات السماوية، جاءت لتظهير هذه الحقيقة المغروسة والموجودة في جوهر الوجود الإنساني، ولكن الذين ابتعدوا عن النهج الإلهي، وتمردوا على الغاية التي خلقوا من أجلها، فإنهم لم يعودوا في أحسن تقويم، و إنما وصفهم الباري بوصف آخر ، قال تعالى :﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، قال القرطبي :«يعني: الكافر من ولد آدم»[34]، وقال أبو الحسن الماوردي: «بعد الكفر، قاله مجاهد وأبو العالية ، ويكون أسفل السافلين محمولاً على الدرك الأسفل من النار»[35].

إذن من كتب الله عليه الهوان، نزع الكرامة عن نفسه وفي بيته وفي أهله وفي عمله وفي من حوله؛ لأنه اختار لنفسه هذه الحياة، وارتضى لنفسه هذه المعيشة، وقال تعالى:﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، قال ابن كثير: «قال ابن عباس: فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ لا يضل في الدنيا ولا

---

[32] ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، ***الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي***، دار المعرفة ،المغرب ط: الأولى، 1418هـ - 1997م، (ص70).

[33] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (20/ 100).

[34] القرطبي، مكي بن أبي طالب، (ت 437هـ)، ***الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه***، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة ط: الأولى، 1429هـ - 2008م، (6/ 4038).

[35] الماوردي، علي بن محمد، (ت 450هـ)، ***النكت والعيون***، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، (6/ 302).

يشقى في الآخرة، ومن أعرض عن ذكري أي خالف أمري، وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، فإن له معيشة ضنكا، أي ضنكا في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة»[36]، وإن أخف التكاليف، هو ذكر الله اللساني وهل يوجد إهانة وذل أعظم من أن يحرم الإنسان نفسه من ذكر الله تعالى، وأي معيشة هذه والحيوانات والنباتات والجمادات... التي لم تكرم بالعقول تسبح بحمده، وأنى لنا أن نفقه تسبيحهم لولا أن أكرمنا الله فأخبرنا بذلك بقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤]، قال ابن القيم: وكان من دعاء بعض السلف: «اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك»[37]، وأي انحراف عن هذه الفطرة يُعدُّ تعدياً على كرامة الإنسان؛ لأن مفهوم الفطرة وعلاقتها بالعبودية الإنسانية لله تعالى تجعل من ولاية الإنسان على نفسه محددة بالفطرة أولاً، وبالشريعة الإسلامية ثانياً، فمثلاً: إن الانتحار أو الإضرار بالنفس والجسد كيفما كان نوعه، والشذوذ الجنسي، وغيرها من الانحرافات لا يمكن اعتبارها من الحقوق الإنسانية المحترمة، لأنها مخالفة للفطرة الإنسانية، لذلك لا بد من تصحيح هذه النظرة الخاطئة التي تنبني عليها حقوق وهمية، تضر بالفطرة الإنسانية، وتخالف المفهوم الحقيقي لوجود الإنسان، بل إنّ هذه المخالفة للفطرة والشريعة، تؤدي بالإنسان إلى الخروج عن الصفة الإنسانية، وهذا ما تشير إليه الآية القرآنية ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وهذا ما يؤكد أهمية الكرامة الإنسانية، وأن الأساس الذي يلزم على الإنسان – مهما كانت أحواله – أن يتمسك به ويحميه، ولا يرض أي تعدّ عليه.

ولا تقتصر الكرامة الإنسانية على زمن معين، فهي ترافق الإنسان في كل مراحل وجوده في الدنيا والبرزخ والآخرة، لذلك نرى التوجيهات الإسلامية تنصّ على ضرورة حفظ كرامة الإنسان في كل المراحل، فمثلا في الحياة البرزخية، يكره دخول المقابر بالنّعال فقد زجر النّبيّ ﷺ عن المشي بين القبور بالنّعال، فمن أراد دخول المقابر فإنّه يستحبّ له أن يخلع

---

[36] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (5/ 283).

[37] ابن قيم، ***الجواب الكافي***، (ص59).

نعليه[38]،وكذلك النّهي عن الجلوس على القبور[39]، وهناك العديد من الآداب المتعلقة بهذا الأمر، يمكن العودة إليها في كتب شروح الحديث، والكتب الفقهية والأخلاقية.

ثانيا- أن الأصل في خلق الإنسان هو تكريمه وتفضيله على كثير من المخلوقات، قال الله تعالى:﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠]،كما اختاره ليكون خليفة له في الأرض فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فإذا أراد أن الإنسان أن يحافظ على هذا الأصل(التكريم والتفضيل) فعليه أن يعتقد ويؤمن بالحكمة الإلهية لوجوده، والتي بينها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويقوم بالأعمال التي تبرهن على صحة هذه العقيدة وهذا الإيمان، لأجل تحقيق غاية هذا الوجود، وإذا أراد أن يرتقي بهذه الكرامة وهذا التفضيل، فعليه أن يرتقي بالعمل بهذه العقيدة وهذا الإيمان على أعلى مستوى، ليحقق أفضل نتيجة بينها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]، إذن إن أعلى مقام للإنسان عندما يكرمه الله بعبوديته، فيترجم العبد ذلك بالسجود لله، والخضوع لأمره والتذلل بين يديه، يفعل ذلك اعترافاً بحق الله، ورجاء لفضله ورحمته، وخوفاً من عقابه، وهذا سلوك من عرف الله تعالى حق المعرفة، كما أخبرنا بذلك الله تعالى بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣- ٦٤]، قال البغوي: «قوله عزّ وجلّ: وعباد الرّحمن، يعني أفاضل العباد، وقيل: هذه الإضافة للتّخصيص والتّفضيل، وإلّا فالخلق كلّهم عباد الله، وروي عن الحسن البصريّ أنّه

---

[38] ابن حنبل أحمد، (ت241 هـ)، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة ط: الأولى، 1412 هـ - 2001م لحديث بشير ابن الخصاصية – رضي الله عنه –، قال: فبصر برجل يمشي بين المقابر في نعليه، فقال – ﷺ –: "ويحك يا صاحب السّبتيّتين، ألق سبتيّتيك مرّتين أو ثلاثا، فنظر الرّجل، فلمّا رأى رسول الله – ﷺ – خلع نعليه»، (رقم20787)،(34/ 382)، قال المحققون :إسناده صحيح.

[39] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، وممّا ورد فيه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر»(رقم971)،(2/ 667).

كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم، ثمّ قرأ والّذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً، قال: هذا وصف ليلهم، والمعنى يبيتون لربّهم بالليّل في الصّلاة، سجّدا، على وجوههم، وقياما على أقدامهم»[40].

وإرادة الإنسان ورغبته المرتبطة بالعمل بما أمر الله تعالى، هي الأساس في مشروع تحقيق كرامة الإنسان، أي أن الرغبة المجردة لا تحقق ما يسعى إليه الإنسان، وإنما هو بحاجة دائماً إلى إرادة وعزم وتصميم لمحاصرة وضبط أهوائه وشهواته، من أجل التدرج في مدارج الكمال الإنساني والتي توصله إلى أعلى درجات التكريم، فكرامة الإنسان لا تتحصل بدون عمل، وإنما هي بحاجة إلى علم وتربية وعمل واخلاص ومراقبة لله تعالى، واتصال دائم به، قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال البغوي: «فاتبعوني يحببكم الله، فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم، أي: اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله، فحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته، وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى: ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»[41].

وبمقدار ما يتخلى الإنسان عن نزعاته ونزواته الشريرة، يرتقي في مدارج الكمال، ويقترب من الصورة التي أرادها الله سبحانه وتعالى له، ولا أجد مثالا أفضل ولا أكرم من حادثة الفوز على النفس وشهواتها، ومن ثم الارتقاء في مدارج الكمال من قصة سيدنا أبي بكر مع سيدنا مسطح بن أثاثة في حادثة الإفك المشهورة، قالت عائشة : «فقال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبداً، بعد الذي قال لعائشة قالت: فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر: إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبدا»[42].

لذلك نجد الآيات القرآنية الكريمة تمتدح الإنسان الذي لا يخضع إلى شياطين الإنس والجن، بل إنها تصف هؤلاء

---

(40) البغوي، الحسين بن مسعود، (المتوفى : 510هـ)، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط : الأولى ، 1420هـ، (3/454-455).

(41) البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 429).

(42) البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين فيما لا يملك، وفي المعصية وفي الغضب، (رقم 6679)،(8/ 138) – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (رقم 2770)،(4/ 2129).

بالمتقين أصحاب البصيرة النافذة، قال جل وعلا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠- ٢٠١]، قال الطبري: «فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه، فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم من زلة عن ابن عباس: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، يقول: إذا هم منتهون عن المعصية، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان»[43].

- إن فريق الكفر والطغيان يقدم ثمناً لمعتقده ،كما أن فريق الطهر والإيمان يقدم ثمناً لمعتقده، وإن ثمن الذل والهوان هو الأكبر بلا شك، وإن بعض العقول الهشة لتظن وهماً أن للكرامة ثمناً كبيراً لا تستطيع تحمله وأداءه، فتختار الذل والمهانة هرباً من التكاليف التي تظن أنها لا تتحملها، فتعيش عيشة فارغة، مخيفة مضطربة، تخاف من ظلها، ومن كل صوت عليها، قال تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]، قال الطبري: «يقول جل ثناؤه: ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المنافقون: ٤]، يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كل صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم»[44].

وقد ذكر لنا الله تعالى في كتابه الكريم أسباب ذل اليهود لنحذر من الوقوع فيها، و لئلا نقع فيما وقعوا فيه، فالمقدمات المتشابهة ستؤدي إلى النتائج نفسها، إذن فالكلام عن اليهود يعنينا، حتى نعرف موطن الخلل فنصلحه، ومنبع الشر فنتقيه، قال الله تعالى:﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآية أربعة أسباب لذل اليهود:

1- يكفرون بآيات الله، وهذا نقيض ما نقلته في البند الأول من شرح عوامل الكرامة، قال الرازي: المعنى «جعلت الذلة

---

[43] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (10/ 650-651)

[44] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (22/ 653) .

ملصقة بهم»[45]، ونستطيع حسب الواقع أن نحمل معنى الذلة على جميع الأقوال، بل على كل قول يحمل في طياته الإهانة والإذلال لهؤلاء المغضوب عليهم، والله تعالى أعلم.

2- يقتلون الأنبياء بغير حق، وذلك لكبرهم وبغيهم وحسدهم، فكان جزاؤهم الذلة والصغار والمسكنة مع ذل الآخرة، وذلك الحاصل لهم بسبب أنهم كانوا يعصون الله تعالى ويعتدون على شرعه[46].

وحتى وإن كان زمن الأنبياء قد انتهى، فإن العلة ما زالت قائمة، لأن المتأخرين منهم راضين بذلك، فهم معهم بالحكم سواء »[47].

وفي عصرنا الحالي، كل قتل وكل حرب يقوم بها كل مجرم على المسلمين في أي بقعة من الأرض؛ فيلزم من عامة المسلمين ألا يتركوا نصرتهم؛ إيثارًا للدنيا وجبنًا وخوفًا من المذلة على أيدي الظالمين؛ فإن الله عز وجل لن يكرم ولن يعز أناسًا هذا حالهم، فكيف يكرم أناسًا لا يكرمون دينه وأتباع دينه؟! فلينظر كل واحد ماذا قدم لهذه الأمة المظلومة والتي يُضيَّق على أتباعها في بلاد كثيرة.

3- المعصية، فالمعاصي بكافة أشكالها تؤدي إلى الذل والإهانة وغيرها من أنواع العقوبات العاجلة والآجلة، وتجاوز الحدود المشروعة، يؤدي إلى الانتقال من صغير الذنوب إلى كبيرها؛ لأن هؤلاء اليهود حين تهاونوا بالمعاصي، هانت على أنفسهم الفضائل، وانكسرت أمام شهواتهم كل القيم العليا فجحدوا بآيات الله، وقتلوا من جاءهم بالهدى ودين الحق تقتيلا فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، قال أبو زهرة: «أي أن الذي أورث في قلوبهم الجحود بالحق، والتمادي في الباطل، هو ارتكاسهم في المعاصي، وتعودهم الاعتداء على الناس، فإن المعاصي تنكت نكتا سوداء في القلب، فإذا استمر الشخص عليها وضعت عليه أغلفة من الظلمة تمنع أن يصل الحق إليه، فعمى القلب عن الحق وصم»[48].

4- الاعتداء، قال تعالى: ﴿وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، قال البغوي: « يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي»

---

[45] ينظر: الرازي، محمد بن عمر، (ت 606هـ)، ***مفاتيح الغيب***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة - 1420هـ (8/ 328).

[46] ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (2/ 90).

[47] ينظر: الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (8/ 330).

[48] أبو زهرة محمد بن أحمد، (ت 1394هـ)، ***زهرة التفاسير***، دار الفكر العربي، بدون طبعة (3/ 1365).

[49]ومن أهم ما ارتكبوا من محارم أنهم: ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وأنهم ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩، وأنك ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠ – ٨١]، والمعتدي كثيرًا ما يعتدي ويظلم غيره لأنه تأخذه العزة بالإثم، يريد أن يكرم نفسه على حساب الآخرين، فيأتيه الإذلال من الله تعالى.

ثالثا: من خلال الاستقراء العميق لمعاني ومواضيع الآيات القرآنية، يكاد أن لا يوجد موضوع قرآني إلا وفي ظاهره أو باطنه شيء من الكرامة أو الإهانة الإنسانية، لأن الإنسان هو محور القرآن الكريم، بل هو محور الرسالات السماوية فالآيات القرآنية هي إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان الذي من أجله تم ارسال الرسل، وإنزال الكتب والصُّحف، وإنّ الله عز وجل الذي جعل آدمَ خليفةً في الأرض، سخر له ما في العالم لنفعه ولإصلاح أمره، وقد اقتضت حكمة الله تعالى بالإنسان أن ييسر له سبل الهداية للتي هي أقوم، وأن يطمئنه منذ استقراره في الأرض أنه لن يهينه ويذله ويدعه ضحية لوساوس الشيطان، والشهوات، ولن يسلمه للجهالة والتيه والضلال، قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، وقد بين لهم طريق الحق، بإنزال الشرائع عليهم لجلب المصالح لهم، ودرء المفاسد عنهم، فتدلهم على الخير، وتهديهم إلى سواء السبيل، وترشدهم إلى البر، وتسيرهم إلى الطريق القويم، وتبين لهم طريق الخير، وتحذّرهم من الانحراف والشرّ.

فإذا ساروا على ما يرضي الله تعالى أصبحوا أولياءه، وحازوا على معيته، وتكفل سبحانه وتعالى بنصرتهم والدفاع عنهم، ليرفع عنهم الشدائد والكربات، ثم ينتقلوا بعد ذلك إلى جنته ودار مثوبته.

مما سبق فإني أعتقد أن من أهم أسس وقواعد الكرامة الإنسانية، هو ما ذكرت من مبادئ والتي ترتكز على حتمية رفض الظلم والوقوف في وجه الظالمين، والجد والعمل لتحقيق مفهوم العدالة في الحياة الإنسانية.

---

[49] البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(1/ 124).

2.3 المبحث الثالث: مفهوم ومعنى اسمي الله الكريم و الأكرم:

2.3.1 المطلب الأول: فوائد وفضائل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته:

إن لمعرفة العبد ولعلمه بأسماء وصفات الله تعالى فوائد وفضائل لاتعد ولا تحصى، منها :

1- ازدياد الإيمان بالله تعالى، والفوز بمحبته وخشيته، والحصول على السعادة في الدنيا قبل الآخرة.

2- الوصول إلى شيء من معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأسمائه، وكيفية سؤاله ودعائه بها، وتعميق حبه سبحانه والأدب معه من خلالها، وإصلاح القلوب وتزكية النفوس من معانيها، والفوز بالجنة بإحصائها، قال الله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال الشوكاني: «هذه الآية مشتملة على الإخبار من الله سبحانه بما له من الأسماء على الجملة دون التفصيل، والحسنى تأنيث الأحسن أي التي هي أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مسمّى وأشرف مدلول، ثم أمرهم بأن يدعوه بها عند الحاجة فإنه إذا دعي بأحسن أسمائه كان ذلك من أسباب الإجابة»[50].

قال الأصبهاني في تفسير أسماء الله عز وجل: «قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته فإذا عرفه الناس عبدوه، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، فينبغي على المسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته»[51]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة»[52]، وتحقيق

---

[50] الشوكاني، محمد بن علي، (ت 1250هـ)، ***فتح القدير***، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى ، 1414 هـ (2/ 305) .

[51] قوام السنة، إسماعيل بن محمد، (ت 535هـ)، ***الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة***، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي دار الراية، السعودية، الرياض، ط: الثانية، 1419هـ – 1999م، (1/ 133).

[52] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا (رقم 7392)،(3/ 198)، واختلف أهل العلم في المراد من قوله ﷺ: من أحصاها دخل الجنة وذلك لأن الإحصاء في اللغة يشمل العد والحفظ، ورجح النووي في شرحه على مسلم، أن المراد بها الحفظ، قال بعدما ذكر الخلاف: قال البخاري وغيره من المحققين: معناه: حفظها، وهو الأظهر؛ لأنه جاء مفسّرا في الرواية الأخرى من حفظها، النووي، يحي بن شرف، (ت 676هـ)، ***المنهاج شرح، صحيح مسلم بن الحجاج***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، 1392هـ، (17/ 5).

وقيل معناه: العمل بها لا عدها وحفظها؛ لأن ذلك قد يقع للكافر والمنافق.

محبته سبحانه وتعالى تكون، بتمام شكره سبحانه ظاهرا وباطنا، وإفراده وحده بالعبادة، فلا يفعل العبد إلا ما يرضي الله سبحانه، ويجاهد نفسه في ترك ما يسخطه، ويبادر إلى التوبة عند الوقوع فيما لا يرضيه عز وجل، وإن عدم معرفة أسماء وصفات الله جل وعلا أو إنكارها فإن ذلك سيؤدي إلى الجهل بالله والبعد عنه، والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، قال ابن القيم : «فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات، شأنه عجب، وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت له السعادة، وهو مستلق على فراشه، غير تعب، ولا مكدود، ولا مشتت عن وطنه، ولا مشرد عن سكنه»[53].

وأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا مجال للعقل والاجتهاد فيها، كما أن معرفة كنه العلاقة بين الله تعالى وبين عباده ، من خلال أسمائه وصفاته ،فإذا عرف العبد أنّ من أسماء الله تعالى الكريم، عظم فيه رجاؤه، وقوي فيه أمله، فإنه سبحانه الكريم المتفضل، لا يحرم سائله إذا رفع إليه يديه بالطلب مفتقرا إليه، متعرّضا لفضله، وإن كان العبد لا يستوجب العطاء، ولا يستحق العفو، فهو تعالى يتفضّل عليه، «فعن سلمان، عن النّبيّ ﷺ، قال: «إنّ ربّكم حييّ كريم، يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه، فيردّهما صفرا أو قال: خائبتين»[54]، وقال ابن القيم: «وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته وأفعاله دالة عليها...بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة ، .. فإنه إن أعطى فبفضله ورحمته ونعمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته.

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله، أو نعموا ... فبفضله، وهو الكريم الواسع»[55].

وقيل معناه: عدّها والعمل بها، فالذي يقصد بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها كالرحيم والكريم والعفو ونحوها، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها، فبهذا يحصل له الإحصاء العملي.

وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان بها والعمل بها.

[53] ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751 ه)، ***طريق الهجرتين وباب السعادتين***، الدار السلفية، القاهرة، مصر ط: الثانية، 1394ه (ص215).

[54] ابن ماجه، محمد بن يزيد، (209 – 273 ه)، ***سنن ابن ماجه***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمّد كامل قره بللي، عبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، 1430 ه – 2009م باب رفع اليدين في الدعاء،(رقم 3865) (5/ 33)- أبو داود سليمان بن الأشعث، (275 ه)، ***سنن أبي داود***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي دار الرسالة العالمية ط: الأولى، 1430 ه – 2009م، باب الدعاء،(رقم 1488)،(2/ 610).

[55] ينظر: ابن قيم، ***طريق الهجرتين***، (ص318).

وقد حكى ابن العربي رحمه الله في معنى (الكريم) ستّة عشر قولا، أذكرها باختصار:

الذي يعطي لا لعوض، وبغير سبب، ولا يحتاج إلى الوسيلة، ولا يبالي من أعطى ولا من يحسن له، أكان مؤمنا أو كافراً، مقرّاً أو جاحداً، ويستبشر بقبول عطائه ويسرّ به، وهو الذي يعطي ويثني، كما فعل بأوليائه، حبّب إليهم الإيمان وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ثمّ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات: ٧- ٨]، وهو الذي يعمّ عطاؤه المحتاجين والطائعين وغيرهم، وهو الذي يعطي قبل السّؤال، قال الله الكريم:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، كما يعطي بالتّعرّض، وقد قال تعالى لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، فعرّض ولم يسأل وأعطاه مناه، وهو الذي إذا قدر عفى، وإذا وعد وفّى، وترفع إليه كلّ حاجة صغيرة كانت أو كبيرة، لا يضيّع من توسّل إليه ولا يترك من التجأ إليه، وزاد القرطبي أنّه الذي أعطى وزاد على المنى»[56]، ويحكى أنّ الجنيد سمع رجلا يقرأ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤]، فقال: سبحان الله! أعطى وأثنى، المعنى: أنّه الذي وهب الصّبر وأعطاه، ثمّ مدحه به وأثنى[57].

2.3.2 المطلب الثاني: الكريم والأكرم في النصوص القرآنية:

ورد اسمه (الكريم والأكرم) على سبيل الإطلاق مرادا منها العلمية ودالا على كمال الوصفية في كثير من النصوص القرآنية وجاءا بلفظ حقيقي وبلفظ كنائي أو معنوي فمنها :

1- جاء في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، قال المفسرون: «ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، مع تنبيهه أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء، بل حقيق بالشكر والطاعة، لذلك كان من الواجب ، أن يظهر على العبد أثر النعمة التي أنعم الله بها عليه»[58].

2- وكما في قوله تعالى:﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، قال يحي بن

---

[56] ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، (ت 671هـ)، ***الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى و صفاته***، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط: الاولى، 1426هـ_2005م، (2/ 269 – 270).

[57] المصدر السابق،(2/ 269 – 270).

[58] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (18/ 75)- ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (8/ 339) - ينظر: ابن عاشور، ***ابن عاشور، التحرير والتنوير،*** (30/ 175)- أبوداود، ***سنن أبي داود***، باب في غسل الثوب وفي الخلقان عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: «ألك مال؟» قال: نعم، قال: «من أي المال؟» قال: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق، قال: «فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك، وكرامته (رقم 4063)،(6/ 168).

سلام: «وبعضهم يقرؤها: الْكَرِيمُ، بالرّفع يقول: اللَّهُ الْكَرِيمُ»[59]، وقال الطبري: «ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحقّ، ربّ العرش الكريم، لا إله إلا هو»[60]، «وقرأ ابن محيصن وروي عن ابن كثير" الكريم" بالرفع نعتا لله»[61].

3- و كما في قوله :﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، قال ابن كثير: «أي: هو غني عن العباد وعبادتهم، ﴿كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، أي: كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد[62]. وقال البغوي: «ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعمة الموجودة ، وصيد النعمة المفقودة، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، عن شكره، ﴿كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، بالإفضال على من يكفر نعمه»[63]، فكان لزاما على العبد أن يتخلق بالحياء منه سبحانه ويتأدب معه جل وعلا لأن هذا الكرم الواسع يجب أن يورث في قلب العبد المؤمن حياء وانكسارا، وخوفا ورجاء، وبعدا عما يغضبه سبحانه وتعالى.

4- أمّا الأكرم فورد في قوله تعالى:﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، وهي من أوائل السور التي نزلت في بداية البعثة ،فعرّف الله سبحانه نبيه على نفسه بصفة الخالق أولاً ثم بصفة الأكرم ليعلم ﷺ أن اختياره واصطفاءه لرسالته ونبوته ، وتعليمه القرآن ابتداء إحسان منه إليه، وتفضل عليه، إذ ذكر في موضع المنة والفضل والكرم.

ولأن الكرم كان من أهم المآثر عند العرب ، والله سبحانه وتعالى لا مثيل له في كرمه.

قال الزمخشري : «الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم، ..فما لكرمه غاية ولا أمد، ..ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره ودليل إلا أمر القلم والخط، لكفى به»[64].

---

[59] يحي بن سلام، (ت 200هـ)، ***تفسير يحيى بن سلام***، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م (1/ 420).

[60] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (17/ 134).

[61] القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***،(12/ 157).

[62] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (6/ 174)- مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظّلم يقول الله تعالى: «يا عبادي إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا (رقم 55)،(4/ 1994).

[63] البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(3/ 506).

[64] ينظر:الزمخشري، ، محمود بن عمرو بن أحمد، (ت 538هـ)، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، دار الكتاب العربي ،بيروت ط: الثالثة، 1407 هـ، (4/ 776).

وقد جاء اسمي الكريم و الأكرم أيضاً في كثير من النصوص النبوية، لتشرح لنا تفصيلات عن كرم الله تعالى، الذي لا حدود لكرمه وفضله وإنعامه جل وعلا تنظر في بابها من كتب الحديث وشرحها.

2.3.3 المطلب الثالث: صور من كرم الله تعالى من القرآن الكريم:

أخبرنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن ألوان متعددة من كرمه الفياض وإحسانه المنهال في آيات لاتعد و لا تحصى ، و لا عجب في ذلك فهو الكريم الذي لا يشابهه أحد ، فمن هذا الكرم أنه يجازي الحسنة بعشرة أمثالها ، ولا يجازي السيئة إلا بمثلها، يقول المعطي الكريم: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ولنتمعن إلى ما يبلغه كرم الكريم في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وباب كرمه عز وجل مفتّح، ومع التقوى والعمل الصالح لله سبحانه تضاعف الأجور أضعافا كثيرة، وجاءت هذه المضاعفة في القرآن للمؤمنين الطائعين لأوامر الله تعالى في سبعة عشرة موضعا[65] ،بألفاظ متنوعة(عظيماً- كريماً —كبيراً-حسناً) كلها تدل على كرم فياض من الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، ومنها ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقد تصل الزيادة، إلى أن يوفى العباد أجورهم بغير حساب، وذلك في الدنيا والآخرة وجاء في القرآن في سبعة مواضع[66]، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، ويعطي من يخصهم بفضله إلى ما لا نهاية فيزيدهم على السبعمائة، مع ما يكرمهم به من أرزاق واسعة، وصدور منشرحة، وعيش طيب، فإذا كان هذا عطاؤه في الدنيا، فسيكون عطاؤه لأوليائه في دار كرامته بما لا يخطر على البال ولا يحصيه كتاب، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٤٠]، وهو سبحانه الكريم الذي وعد التائبين الآيبين إليه، بما لا يخطر لهم على بال، بأن يبدل سيئاتهم حسنات، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣]،

---

[65] (النساء:40)،(النساء:67)،(النساء:74)،(النساء:95)،(النساء:114)،(النساء:146)،(النساء:162)،(الإسراء:9)،(الكهف:2) (الأحزاب:29)،(الأحزاب:35)،(الأحزاب:44)،(الفتح:10)،(الفتح:16)،(الفتح:29)،(الطلاق5)،(المزمل:20).

[66] (البقرة:212)،(آل عمران27)،(آل عمران:37)،(النور:38)،(ص:39)،(الزمر:10)،(غافر:40).

فحري بالعبد أن يعلم أن الإكرام بالنعمة اختبار، يستوجب الشكر والطاعة والخضوع لله جل وعلا، وهذا ليس أمرا سهلا، ولا يوفق إليه إلا القليل كما قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، أما الكثير من الخلق فأعرضوا ولم يعترفوا بالمنعم الكريم ، قال تعالى يصفهم:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، لا كما يظن الكثير من الناس أن النعمة دليل حب الله للعبد ورضاه عنه، يقول الله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٦]، فالله جل وعلا يختبر عباده بالخير والشر، فالخير يستلزم الشكر والشر يستلزم الصبر عليه، وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال : «قال: فيلقى العبد، فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسوّدك، وأزوّجك، وأسخّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنّك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنساك كما نسيتني»[67]، وهذا الأمر يستلزم من العبد، أن يحرص على أن يكون ممن أكرمهم ربهم ولم يهنهم، فليس ثمة إلا مكرم ومهان ، قال تعالى : ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، فالإكرام الحقيقي هو إكرام الله للعبد بالتوفيق للطاعة واليقين والإيمان والهدى والتقوى، ولو كان فقيرا أو مسكينا، ولذا كان الرّسل أكرم الخلق لطاعتهم صلوات الله عليهم أجمعين فإنّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، ويروي لنا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: قيل يا رسول الله: من أكرم النّاس؟ قال: «أتقاهم» فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فيوسف نبيّ الله، ابن نبيّ الله، ابن نبيّ الله، ابن خليل الله» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا»[68]، فهذه في الحقيقة هي الكرامة، التي ستكون الطريق الموصلة إلى رضوان الله وجنانه، وأما ما يظنه الكثير من الناس تكريما للفجار والكفار، من أموال ومكانة و ذكر بين الناس، فهذا تكريم زائف لا خير فيه، وهذا ما أخبرنا به الله جل وعلا، فهم في جهنم يعذبون بأنواع العذاب الأليم، وأثناء عذابهم يقال لهم إهانة بهم واستخفافاً، ذوقوا العذاب الأليم، يامن توهمتم بالكرامة والعزة والرفعة في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧ – ٤٨]، قال الطّبريّ رحمه الله: «فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويذلّ بالعتل إلى سواء

---

[67] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الزّهد والرّقائق (رقم 2968)،(4/ 2279).

[68] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتّخذ الله إبراهيم خليلا} (النساء: 125)،(رقم 3353)،(4/ 140)

الجحيم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]؟ قيل: إنّ قوله ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، غير وصف من يقال ذلك له بالعزّة والكرم، ولكنّه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدّنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية؛ لأنّه كان في الدّنيا يقول: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، فقيل له في الآخرة إذ عذّب بما عذّب به في النّار، ذق هذا الهوان اليوم، فإنّك كنت تزعم إنّك أنت العزيز الكريم، وإنّك أنت الذّليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدّعي من العزّ والكرم؟! هلّا تمتنع من العذاب بعزّتك؟![69]، وكذلك يخبرنا الله تعالى عن المهان الحقيقي، وهو من أهانه الله تعالى بالكفر والفسوق والعصيان، ولو كان غنياً ووجيهاً، وصاحب مال كثير، وعدد من الأولاد كثير، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]،وقد ثبت عن النبي ﷺ في الإخبار عن كرم الله تعالى وعفوه، ما يعبر به عن اسم الله الكريم، أحاديث كثيرة تنظر في أبوابها من كتب السنة وشروحها.

[69] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (21/ 61).

3. الفصل الثاني: الإنسان بين التكريم والإهانة بعلاقاته مع الله، ويتضمن ثلاثة مباحث:

3.1 المبحث الأول: التكريم في مرحلة خلق الإنسان الأول وزوجه وذريتهما.

إن تكريم الله تعالى للإنسان ملازم له في كل مراحل خلقه وإيجاده، وذلك من أول لحظة أعلن الله تعالى فيها في الملأ الأعلى المكرم عنده بإرادته على خلق جديد، حتى دخول هذا الإنسان إلى دار الكرامة، التي سيكرم فيها، بكرامات لا وصف لها خالدا مخلدا فيها أبدا.

والذي يوجد في القرآن الكريم من أن آدم عليه السلام خلق من تراب، أو من صلصال، أو من طين، فإنما هي مراحل في خلقه، وهذا التفصيل والاعتناء من الله في ذكر تفصيلات مراحل الخلق فيه تكريم لأن الاعتناء بتفاصيل أمر فيه تكريم الاعتناء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤]، وقد كان الله تعالى قادراً سبحانه أن يوجد أبانا آدم عليه السلام بكلمة "كن" ، لكنه تعالى شاء أن يخلقه في أطوار ، ولا شك أن في ذلك حكما جليلة لا يمكن حصرها، منها إظهار عظيم قدرته، وعجيب صنعه. وفي كل طور من هذه الأطوار يظهر لنا بالتأمل والتدبر التكريم الإلهي لهذا المخلوق وأجملها مع شيء من التفصيل في النقاط التالية:

3.1.1 المطلب الأول: تكريم الإعلان والخلق والخلافة:

أولا: تكريم الإعلان:

لما أراد الله جل وعلا خلق آدم عليه السلام، أعلن في العالم السماوي المكرم عنده (الملائكة) عن إرادته لخلق جديد فقال للملائكة: – تكرمة له وتعظيماً لأمره وتشريفاً له– ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، وقد ذكر هذا الإعلان في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض– القرآن الكريم– وهذا تكريم آخر.

ثانيا: تكريم الخلق والإيجاد في المكان والزمان:

1- تكريم الخلق والإيجاد في المكان:

أكرم الله تعالى الإنسان بأن خلقه و أوجده في أفضل الأمكنة ألا وهي جنته سبحانه وتعالى، قال تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: ٣٦]، وقوله تعالى: (اهبطوا) يدلّ على أنّ آدم عليه السلام وحواء لم يكونا في الأرض، بل كانا في الجنة في السماء، والهبوط بمعنى النزول من الأعلى إلى الأسفل. وفي الحديث الشريف دلالة صريحة وواضحة على أنّ آدم عليه السلام قد خلق في الجنة فعن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك»[70]، قال ابن أبي زيد المالكي: «وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم وهي التي أهبط منها آدم عليه السلام نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه»[71]، وهذه الجنة هي جنة الخلد التي أعدها الله تعالى دار كرامة لأوليائه في الآخرة، هذا ما عليه جمهور الأمة والمحققون من أهل العلم[72].

---

[70] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقا لا يتمالك (رقم 2611)،(4/ 2016).

[71] النفزي، عبد الله بن أبي زيد، (ت 386هـ)، ***متن الرسالة***، دار الفكر، دون طبعة، (ص7).

[72] قال الواحدي النيسابوري في تفسيره (الجنّة) جنة الخلد من قبل أن التعريف فيها بالألف واللام يجعلها كالعلم على جنة الخلد، فلا يجوز العدول عنها بغير دلالة، ألا ترى أنك لو قلت: نسأل الله الجنة، لم يكن ذلك إلى جنة الخلد»(1/ 300)- تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، (ت نحو 505هـ)، ***غرائب التفسير وعجائب التأويل***، دار القبلة للثقافة الإسلامية ،جدة، مؤسسة علوم القرآن، بدون طبعة، (1- 134) – قال الرازي في تفسيره: القول الثالث: وهو قول جمهور أصحابنا: أن هذه الجنة هي دار الثواب والدليل عليه أن الألف واللام في لفظ الجنة لا يفيدان العموم لأن سكنى جميع الجنان محال، فلا بد من صرفها إلى المعهود السابق والجنة التي هي المعهودة المعلومة بين المسلمين هي دار الثواب، فوجب صرف اللفظ إليها(3/ 452)- ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم*** (1/ 145)- ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، ***حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح*** مطبعة المدني، القاهرة (ص 26) – ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، ***مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*** دار الكتب العلمية ،بيروت دون طبعة (1/ 14)- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ) ***البداية والنهاية*** تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ط: الأولى، 1418 هـ - 1997 م سنة النشر: 1424 هـ / 2003 م، (1/ 175).

2- تكريم الخلق والإيجاد في الزمان:

خلق الله آدم عليه السلام في أفضل الأيام، وهو يوم الجمعة[73]، وقد خلق في أفضل ساعات هذا اليوم، وهي بعد العصر[74]، فعن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل»[75].

مما سبق يتضح لنا أن الله تعالى اختار أفضل الأمكنة وأفضل الأزمنة عنده لخلق هذا الإنسان ليكسب بذلك تكريما من الله تعالى وفضلا.

ثالثا: تكريم الخلافة:

ومن بنود الإعلان أن هذا المخلوق سيكون خليفة لله في أرضه، وهذه الخلافة تعكس أسمى مراتب التكريم الإلهي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

---

[73] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، فعن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن الأعرج، أنه سمع أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» (رقم 854)،(2/ 585).

[74] وهذا أرجح الأقوال، وهو قول عبد الله بن سلام وأبي هريرة والإمام أحمد وخلق، وحجة هذا القول في حديث أبي سعيد وأبي هريرة أن النبي – ﷺ– قال: «إنّ في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه، وهي بعد العصر» – ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (13/ 117) – الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، (ت 405 هـ)، ***المستدرك على الصحيحين*** مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت ط: الأولى، 1411هـ ، 1990م، كتاب الجمعة (1/ 414).- ينظر: القاضي عياض بن موسى، (ت 544هـ)، ***شرح صحيح مسلم، المسمّى إكمال المعلم بفوائد مسلم***، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط: الأولى، 1419 هـ - 1998م:

قال القاضي عياض: «وذهب آخرون إلى أنها من وقت خروج الإمام إلى تمام الصلاة، وذهب آخرون إلى أنها في وقت الصلاة نفسها من حين تقام إلى حين تتم، والصلاة على وجهها. وقيل: هي من حين يجلس الإمام على المنبر ويحرم البيع إلى انقضاء الصلاة، (وقيل: من حين يقوم الإمام يخطب إلى حين انقضاء الصلاة) (2)، وقيل: آخر ساعة من يوم الجمعة. وقد رويت في هذا كله آثار عن النبي ﷺ مفسرة لكل قول من هذه الأقاويل (3). وذكر مسلم منها حديث أبي موسى الأشعري من حين يجلس الإمام، وقيل: هي عند الزوال، وقيل: من عند الزوال»(3/ 244).- ولمن أراد بالتوسعة في المسألة ينظر: ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، ***زاد المعاد في هدي خير العباد*** مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط: السابعة والعشرون ، 1415هـ -1994م (378/1).

[75] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام ،رقم(2789)،(2149/4).

وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وهذه الوظيفة تدل على ما يملكه الإنسان من استعدادات هائلة تؤهله لتحمل هذه الأمانة العظمى، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]

3.1.2 المطلب الثاني: تكريم بدء الإيجاد والخلق والسجود:

أولا: تكريم بدء الإيجاد والخلق:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن خلقه للإنسان الأول آدم عليه السلام ضمن مراحل مفصلة، هذا التفصيل لا يكون إلا لتبيان أهمية هذا المخلوق والذي يعطيه صفة التكريم لاهتمام الخالق جل وعلا به، والملاحظ أن الله تعالى عندما يذكر المراحل ينسبها لنفسه الكريمة أي أنه هو من يباشر كل مرحلة سبحانه وتعالى، وهذا يبين أيضا مدى التكريم من الله تعالى لهذا المخلوق، وسأذكر هذه المراحل على سبيل الإجمال .

1: مرحلة التراب:

باشر الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من التراب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقد باشر ذلك بيديه الكريمتين تكريما وتشريفا لهذا المخلوق، وهذا لا يكون لو كان خلقه من العدم، فالملائكة والجن مخلوقون من العدم، ولا يقال فيهم إنه خلقهم بيده وهذا تمييز لآدم عليه السلام، وتكريم له، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وتأتي هذه المباشرة مفسرة في حديث رسول الله ﷺ بقوله: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض»[(76)]، وفي كتاب الله آيات عدة ذكرت هذا المعنى في مكانها المناسب[(77)].

2: مرحلة الطين:

يذكر الله سبحانه وتعالى لنا مرحلة الطين، بقوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]،ومرة أخرى ينسب الله لنفسه تحويل التراب إلى طين، وهذا أيضا تكريم واضح للمباشرة الإلهية به، وهناك آيات عدة ذكرت هذا

[(76)] الترمذي، محمد بن عيسى، (ت 279هـ)، ***سنن الترمذي***، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ، (جـ 1، 2)،ومحمد فؤاد عبد الباقي، (جـ 3)،وإبراهيم عطوة عوض، (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية، 1395 هـ - 1975م، باب: ومن سورة البقرة (5/ 204)،(رقم 2955) .

[(77)] (الكهف:37)،(الحج:5)،(الروم:20)،(ص:11)،(غافر:67).

المعنى[78].أما السلالة من طين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٢]، فهي ما يسل من الشيء وما يستخرج منه(أي صفوته) وهذا تكريم أيضا[79].

3: مرحلة الطين اللازب:

يذكر الله سبحانه وتعالى لنا مرحلة الطين اللازب بقوله: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ١١]، وعن ابن عباس، في قوله: ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ١١]، قال: «هو الطين الحر الجيد اللزج»[80].ومرة أخرى ينسب الله لنفسه تحويل الطين إلى طين لازب، وهذا أيضا تكريم واضح.

4: مرحلة الحمأ المسنون:

يذكر الله سبحانه وتعالى لنا مرحلة الحمأ المسنون بقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦]

أي بعد أن مزج الخالق تبارك وتعالى، عنصري التراب والماء صار المزيج طيناً لازباً لاصقاً، ثم بعد ذلك صار هذا الطين حمأً أسوداً (مسنوناً) مصقولاً و مصورا[81]، وهناك آيات عدة ذكرت هذا المعنى[82].

5: مرحلة الصلصال كالفخار:

بعد أن صار الطين حمأ مسنونا في صورة آدم عليه السلام، صار صلصالا كالفخار قال الله تعالى:﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، والصلصال هو: الطين اليابس الذي له صلصلة؛ أي يصوت من يبسه إذا ضربه شيء[83]، ما دام لم تمسه النار، فإذا مسّته النار فهو حينئذ فخّار، وهذا قول أكثر المفسرين[84].

وهذا الصلصال يشبه الفخار إلا أنه ليس بالفخّار؛ لأن الله لم يدخل آدم عليه السلام النار، حتى يكون فخاراً،

---

[78] (ص:76)،(الأعراف:12)،(السجدة:7)،(الأنعام:2)،(السجدة :8)

[79] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (18/17)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (264/23)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (178/3) .

[80] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (19/ 511).

[81] ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت 911هـ)، ***الدر المنثور***، دار الفكر ،بيروت، بدون طبعة، (5/ 77).

[82] ينظر:(الحجر:28)،(الحجر:33).

[83] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (14/ 57) – مفردات القرآن ص(488).

[84] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (22/ 191)- النحاس، أحمد بن محمد، (ت 338 هـ)، ***معاني القرآن***، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ط: الأولى، (2/ 254)- ينظر: ابن أبي زمنين محمد بن عبد الله، (ت 399هـ)، ***تفسير القرآن العزيز***، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، مطبعة الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط: الأولى، 1423هـ - 2002م، (383/2).

والحاصل أن الله سبحانه وتعالى لما مزج عنصري التراب والماء صار طيناً، فلمّا أنتن الطين صار حمأً مسنوناً مصوراً على هيئته، فلمّا يبس صار صلصالاً، وإلى هذه المرحلة لم تظهر على آدم عليه السلام علامة الحياة.

6: التسوية ونفخ الروح:

يذكر الله سبحانه وتعالى لنا مرحلة التسوية ونفخ الروح بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: ٧١-٧٢]، قال الطبري: والتسوية: هي التصوير وتعديل الصورة [85]، وقال الثعلبي: جمع الخلق وإتمامه[86]، وقد أضاف سبحانه وتعالى الروح إلى ذاته، تكريماً وتشريفاً[87]، وللإشعار بأن هذه الروح لا يملكها إلا هو تعالى، وأن مردّ كنهها وكيفيه هذا النفخ، مما استأثر سبحانه به، ولا سبيل لأحد إلى معرفته[88]، قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ثانيا: تكريم السجود لآدم عليه السلام:

وقد أمر الله سبحانه وتعالى ملائكته قبل خلق آدم عليه السلام أن يسجدوا لهذا المخلوق بعد أن تدبّ الروح في

---

[85] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، جامع البيان (20/ 144)- السمعاني، منصور بن محمد، (ت 489هـ)، ***تفسير القرآن***، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: الأولى، 1418هـ- 1997م (4/ 454).

[86] ينظر: الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، (ت 427 هـ)، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1436 هـ - 2015م، (465/15)- الواحدي علي بن أحمد، (ت 468هـ)، ***الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ (ص 591).

[87] ينظر: القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (10/ 24) – ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، ***الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة***، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة (ص154).

قال ابن القيم في كتاب الروح: «المضاف إلى الله سبحانه نوعان صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته وصفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه والثّاني إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرّسول والروح فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه لكنّها إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا يتميّز به المضاف عن غيره كبيت الله وإن كانت البيوت كلها ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه لكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الإضافة العامّة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده فالإضافة العامّة تقتضي الإيجاد والخاصة تقتضي الاختيار والله يخلق ما يشاء ويختار ممّا خلقه كما قال تعالى {وربك يخلق ما يشاء ويختار} وإضافة الرّوح إليه من هذه الإضافة الخاصّة لا من العامّة ولا من باب إضافة الصّفات فتأمل هذا الموضع فإنّه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من النّاس فإن قيل فما تقولون في قوله تعالى {ونفخت فيه من روحي} فأضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى».

[88] ينظر: السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت 911هـ)، ***إتمام الدراية لقراء النقاية***، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1405هـ، (ص 156).

جسده، قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص: ٧١ – ٧٢]، وفي الآية دليل على الوجوب ،لأن الفاء تفيد التعقيب وتمنع التراخي[89]، ليكرم هذا المخلوق باستقبال فخم من العالم المكرم عند الله تعالى، وبمجرد حصول النفخة الروحية التي منشأها السماء واتحادها مع الجسد الذي منشأه الأرض، يحصل التمييز لهذا الكائن الذي لم يحصل لكائن آخر من قبل، فقد كان الخلق قبله على نحو (كن فيكون) وهذا يدلّ على علوّ مكانة الرّوح الّتي حلّت في الإنسان، وأنّ لها منزلة سامية، لذلك كان السجود لآدم عليه السلام سجود تحية وتكريم لهذا الخلق العظيم الذي خلقه الله تعالى لا سجود عبادة[90] ،وهو في الوقت نفسه سجود طاعة لله عز وجل وامتثالا لأمره سبحانه وتعالى.

3.1.3 المطلب الثالث: التكريم بإيداع مفاتيح المعرفة والإدراك في الإنسان(تكريم التعليم):

ويستمر التكريم من الله تعالى للإنسان بإيداع مفاتيح المعرفة، من عقل وبصر وسمع وادراك وتمييز، فهذه المفاتيح المعرفيّة تسمو بالإنسان إلى الطّاعة والخضوع لله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وتجرّده عن التّبعية المطلقة والتقليد الأعمى.

فالنّظر والتفكّر والتعقّل، والاستدلال بالأدلّة التي نصبها الله لمعرفته، من أوجب الواجبات بعد الإيمان الفطري الجبلّي بالله تعالى، وإلى هذا ذهب البخاريّ رحمه الله تعالى، حيث بوّب في كتابه (باب العلم قبل القول والعمل لقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة[91]) .

وكان أول شيء جرى فيه من الروح عقله وبصره وسمعه وخياشيمه، فعطس فلقاه الله معلماً له أن قل الحمد لله، وهذا تكريم التعليم، فقالها فقال الله عز وجل له: يرحمك ربك وهذا أيضاً تكريم الدعاء له، وأي كرامة أعلى وأشرف وأعظم من أن يخاطب الله بجلالته وعظمته مخلوقاً، يتكلم معه يعلمه يدعو له و يوجهه مباشرة من دون واسطة؟؟.

ومن هنا تبدأ مرحلة التعليم الرباني لآدم عليه السلام بشكل تفصيلي، فيقول الله تعالى لآدم عليه السلام، اذهب إلى

---

[89] النعماني، عمر بن علي، (ت 775هـ)، ***اللباب في علوم الكتاب***، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط: الأولى، 1419 هـ -1998م،(455/11).

[90] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(1/ 497) – البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(3/ 57).

[91] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (1/ 24).

أولئك النفر من الملائكة فقل لهم السلام عليكم، وانظر ما يقولون. فجاء فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله، فجاء إلى ربه فقال: ماذا قالوا لك؟ – وهو أعلم بما قالوا له – قال: يا رب، لما سلمت عليهم قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، قال: يا آدم، هذه تحيتك وتحية ذريتك[92]. ثم

يعلمه الله تعالى بعض أسرار الكون التي تلزمه، ليستطيع أن يستمر هو وذريته في الحياة التي قدرها الله له ، قال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وللعلماء في الأسماء التي علمها الله لآدم عليه السلام أقوال[93]،والذي يهمنا أن هذا التعليم للأسماء له حكم كثيرة، منها أن يقوم آدم بالخلافة على أتم وجهها، كما أنه تمييز لآدم عليه السلام على الملائكة الذين استفهموا من الله سبب خلق آدم عليه السلام، يقول الله تعالى لهم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، ثم يخاطب الله تعالى آدم عليه السلام بقوله: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، فهذا التعليم لآدم عليه السلام، هو محض موهبة وفضل من الله عز وجل، منّ به على أبينا الأول آدم عليه السلام، الذي هو أصل الإنسانية ذكوراً وإناثاً، ثم من بعده كان إشعاراً بهذه النعمة نفسها على آخر صفوة خلقه كذلك محمد ﷺ حين قال له:﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا

---

[92] ينظر: الترمذي، ***سنن الترمذي***، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب (94)،(5/ 453)، قال المحقق: حسن صحيح – ينظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر، (ت 807هـ)، ***مجمع الزوائد ومنبع الفوائد***، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة1414 هـ، 1994 م (8/ 197)، قال المحقق: رواه أبو يعلى، وفيه إسماعيل بن رافع قال البخاري: ثقة مقارب الحديث، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح.

[93] أقوال العلماء في الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم: 1- ذهب بعض العلماء إلى أنها : أسماء ذريته ، وأسماء الملائكة ، دون أسماء سائر أجناس الخلق . ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (1/ 518). 2- وقال البعض أراد بها الألفاظ والمعاني ، ومفرداتها ومركباتها ، وحقائقها ، وذوات الأشياء في أنفسها. ينظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت 502هـ)، ***تفسير الراغب الأصفهاني***، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، ط: الأولى جزء 2، 3: من أول سورة آل عمران وحتى الآية 113سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشّدي 1420 هـ - 1999 م دار الوطن ،الرياض ط الأولى: 1424 هـ - 2003م، (1/ 144).

3- وذهب بعض العلماء إلى أن الصحيح : أنه علمه أسماء الأشياء كلها : ذواتها وأفعالها ؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية . يعني أسماء الذوات والأفعال، المكبر والمصغر- ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (1/ 131).

4- قال ابن عاشور ولذلك كان إظهار عجز الملائكة عن لحاق هذا الشأو، بعدم تعليمهم لشيء من الأسماء، ولو كانت المزية والتفاضل في تعليم آدم جميع ما سيكون من الأسماء في اللغات، لكفى في إظهار عجز الملائكة عدم تعليمهم لجمهرة الأسماء، وإنما علم آدم أسماء الموجودات يومئذ كلها، ليكون إنباؤه الملائكة بها أبهر لهم في فضيلته". ينظر: ابن عاشور، ***ابن عاشور، التحرير والتنوير***، (1/ 411).

لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٢ – ٥]، وقد جاء هذا التعليم بعد صفة الأكرم نفسها التي منها صدر التكريم للإنسان الأول، ومظهر هذا التكريم الأول هنا هو تعليم الإنسان ما لم يعلم، وهذا التعليم هو الذي ميز الله به آدم عليه السلام عن ما سواه بأن أودع فيه القابلية للتعلم، وهذا يعني منة أخرى أنه جعل له فؤاداً أو قلباً أو عقلاً يستقبل به هذه المعلومات، ويحصل له بها التعلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]، وهو ما يتوصل إليه الإنسان من خلال وسائل المعرفة وأدواتها التي زوده الله بها، ولقد أكد الباري على أن ما وهبه للإنسان من قدرات يستطيع من خلالها الوصول إلى المعرفة التي تمكنه من تحقيق الخلافة في الأرض، ولتحثه وتذكره على ضرورة صلته الدائمة بالله تعالى وشكره له، وهنا تظهر لنا مكرمات عدة منها خطاب الله له وحواره مع الملائكة وإظهار العلم الذي علمه الله له وهذا هو جزء من التكريم بإيداع مفاتيح المعرفة والإدراك.

3.1.4 المطلب الرابع: تكريم الإيناس والإقامة والتنعيم والنصح والتحذير:

أولا: تكريم الإيناس:

من المتفق عليه أن الله تعالى خلق البشرية من آدم عليه السلام[94]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، و الراجح قول جمهور المفسرين أنه سبحانه وتعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام[95]، وهذا تكريم له ولها حيث منحه أنثى من نفس تكوينه، تكون زوجة له يأنس بها من وحدته ووحشته، ويعيش معها ويرتبط معها بعلاقة تملؤها المودة والرحمة، وليكون منهما تناسل البشرية عن طريق الزواج، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

---

(94) ينظر: الشوكاني، ***فتح القدير***، (1/ 479).

(95) ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (6/ 340) – ابن المنذر، محمد بن إبراهيم، (ت 319 ه)، ***كتاب تفسير القرآن***، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد دار المآثر، المدينة النبوية، ط: الأولى 1423 ه، 2002م، (2/ 547)- تفسير ابن أبي حاتم (3/ 853)- الواحدي، ***التفسير البسيط***، (6/ 282)- الراغب الأصفهاني، ***تفسير الراغب الأصفهاني***،(3/ 1074)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 561)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (9/ 477)- سلطان العلماء، عبد العزيز بن عبد السلام، (ت 660ه)، ***تفسير القرآن***، تحقيق: الدكتور عبد الله الوهبي، دار ابن حزم، بيروت ط: الأولى، 1416ه- 1996م (1/ 301)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (5/ 2). الرأي الثاني: خلقت من تراب يرى بعض العلماء أنّ حواء خلقت من جنس آدم .ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي، (ت 1354ه)، ***تفسير القرآن الحكيم، (تفسير المنار)***، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990م، (4/ 271).

وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

ثانيا: تكريم الإقامة والتنعيم:

ثم يأتي تكريم الإقامة في الجنة لآدم عليه السلام مع زوجه، والسماح لهما بالتنعم بما في الجنة من أصناف لا تعدّ و لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ويفصّل الله تعالى شيئاً من التنعيم فيقول: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩]، وعده الله في الجنة الشبع والاكتساء، وألا يصيبه فيها عطش ولا حر[96] .

ثالثا: تكريم النصح والتحذير:

وقد نهى الله تعالى آدم عليه السلام وزوجته عن الاقتراب من شجرة من أشجار الجنة على سبيل الاختبار والتكليف، قال تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، كما سبق تحذير الله تعالى لآدم عليه السلام من عدوه إبليس بأنه يريد أن يخرجه وزوجه من هذا النعيم، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٧]، كما صرح الله تعالى بتلك العداوة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فإبليس طرد من الجنة، وبالتأكيد لن يريدَ لآدم عليه السلام إلا الشرّ، وقد سبق أن توعّد إبليسُ بإغواء آدم عليه السلام وذريته حتى يوم القيامة، فهذا النصح والتحذير هو محض تكريم لأدم وزوجه وذريته[97]..،

3.1.5 المطلب الخامس: تكريم التلطف بالخطاب والتوبة والمغفرة:

وبعيداً عن تحليل وتفسير معصية أبينا وأمنا عليهما السلام لأمر الله بالأكل من الشجرة ،فإن ذلك كان بسبب وسوسة إبليس، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢٠ – ١٢١]، ثم يأتي مباشرة بعد المعصية،

---

[96] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (16/ 188)- الواحدي، ***التفسير الوسيط***، (3/ 224)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*** (3/ 92) – ينظر: القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (11/ 253).

[97] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(16/ 185) - ابن عاشور، ***ابن عاشور، التحرير والتنوير***، (16/ 320).

خطاب العتاب اللطيف من المكرم الرحمن الرحيم، فيعترف آدم عليه السلام وزوجه بما فعلا، ليعود الكرم الرباني مرة أخرى فيعلم آدم عليه السلام كيف يطلب التوبة والمغفرة منه، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، فلقى الله آدم كلمات توبة، فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً، فتاب الله عليه بقيله إياها وقبوله إياها من ربه، ثم يعلمهما الله تعالى أيضا كيف يطلبان منه أن يتجاوز عنها، ويغفر لهما ،قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣][98]، وهذا أيضاً تكريم آخر.

ثم يأتي الكرم الرباني كالعادة من الكريم الغفور التواب الرحيم: قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢، وتوبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك، ويتوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح[99].

وبعد هذه التوبة من الله تعالى، يهبط الله تعالى آدم عليه السلام وحواء وإبليس من الجنة، بعد أن اكتملت تهيئة آدم عليه السلام للنزول إلى الأرض، لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الخلافة في الأرض، والتي أخبر الله تعالى بها ملائكته قبل خلق آدم عليه السلام، كما أخبرهم أنه سيكون في الأرض ذرية يخلف بعضهم بعضا.

والحاصل: أن وجود آدم عليه السلام مع الملائكة، كانت تهيئةً له وتعليماً، لأن التمكين في الأرض يكون بالعلم، ،كما أن العلم هو الملاذ الآمن له من عدوه إبليس الذي عرَّفه له الله تعالى، وهو طريق معرفة الهداية التي أكرمه الله بها قال الله تعالى : ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]

إن هذه الفترة التي سكن فيها آدم عليه السلام الجنة، كانت تجربة مصغرة لحياته في الدنيا ففيها أوامر (افعل) ونواهي (لا تفعل)، وكل ذلك تحضير للمنة الكبرى التي هي الخلافة، التي من أجلها خُلق آدم ومن أجلها ما كان من بعده لذريته، وهو أيضا من تكريم الله عز وجل لهم جميعا.

---

[98] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (1/ 587) – ابن أبي زمنين، ***تفسير القرآن العزيز***، (1/ 135)– الثعلبي، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، (3/ 244).

[99] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(1/ 587)– الواحدي، ***التفسير البسيط***، (2/ 409).

3.1.6 المطلب السادس: التكريم بتشريع النكاح وخلق الذرية.

أهبط آدم وزوجه من الجنة إلى الأرض بأمر الله تعالى بعد المعصية وقبول توبتهما، وإن هذا الإنزال إلى الأرض لم يكن إهانة لهما، بل جزاءً ونعمةً بآن واحد، لأسباب كثيرة منها:

1- أن هبوط آدم عليه السلام وزوجته ليكونا خليفة لله في أرضه، يعبدا الله تعالى هما وذريتهما بتكليف من الله تعالى فهذا تكريم لهما لا إهانة لهما .

2- إن الله جل وعلا اجتبى آدم كما أخبرنا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]، قال ابن عاشور :« والاجتباء: الاصطفاء، والهداية: الإرشاد إلى النفع، والمراد بها إذا ذكرت مع الاجتباء في القرآن النبوءة كما قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٨٧]، وقوله ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ١٢١]»[100]، يعني أن آدم عليه السلام عندما أهبطه الله جعله أول نبي ،وهذا تكريم وتشريف له أيضاً فعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رجلا قال: يا رسول الله، أنبيا كان آدم عليه السلام؟ قال: «نعم، معلم مكلم»[101]، و قال ابن القيم: «كان إخراجهم من الجنة تنكيلا لهم، وإتماما لنعمته عليهم، مع ما في ذلك من محبوبات الرب تعالى، فإنه يحب إجابة الدعوات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، ومغفرة الزلات، وتكفير السيئات، ودفع البليات، وإعزاز من يستحق العز، وإذلال من يستحق الذل»[102].

وقد أنزل الله تعالى معهما إبليس إلى الأرض، حاملا لواء المعصية والشر، ليضم إليه من استطاع من بني آدم عن طريق التزيين والاغواء، لتكتمل عناصر الابتلاء والامتحان، قال تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦، وقال أيضا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

---

[100] ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (16/ 328).

[101] الحاكم النيسابوري، ***المستدرك على الصحيحين***، كتاب التفسير، من سورة البقرة (رقم3039)،(2/ 288)، قال الذهبي على شرط مسلم- البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت 458 هـ)، ***الأسماء والصفات للبيهقي***، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1413 هـ - 1993م، (1/ 517)- وفي رواية عند الإمام أحمد وغيره(نبي مكلم) ابن حنبل، ***مسند أحمد***، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (رقم21546)،(35/ 432).

[102] ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت ٧٥١هـ)، ***شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل***، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، (ص243).

أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧، ولتبدأ مرحلة جديدة للإنسان ، وهي مرحلة خلق الذرية، التي أحاط الله سبحانه وتعالى فيها عباده بكرامات متعددة، سأوردها فيما يلي :

أولا: التكريم بتشريع النكاح من أجل التناسل:

جعل الله تعالى التناسل وسيلة لبقاء النوع الإنساني على الأرض، عن طريق الزواج بين الذكر والأنثى، وجعل الغريزة الجنسية فطرة إنسانية، ووضع لهذه الغريزة ضوابط شرعية _ النكاح الشرعي _ الذي من ثمراته النسل المحبب إلى النفس ، والمرغب فيه، قال تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم: ١ – ٦]، وقد فصّل الله تعالى بأدق التفاصيل التوجيه الصحيح لعقد هذا النكاح ، ونجد ذلك في كل التشريعات التي أنزلها الله على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام جميعا، ويكفينا أن نستقرأ أحكام الأحوال الشخصية في شريعتنا الإسلامية، لنرى مدى التكريم الإلهي للبشرية في تفاصيل هذه القضية التي هي النواة في تشكيل المجتمع، فعلى سبيل المثال:

1- حرص الإسلام على أن يبنى الزواج على أساس من التقوى، قال تعالى :﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٢]، وشرع لذلك الحدود والضوابط التي تصون الأعراض، وتحفظ العلاقة بين الرجل والمرأة، ومن ذلك:

أ- حث الشارع على اختيار الزوجة الصالحة، واختيار الزوج الصالح، صاحب الخلق والدين[103]، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[104]، فحسن اختيار المرأة هدفه اسعاد الرجل، وذات الدين مقصد من تهذَّب بالفطرة، فأحبّ أن تعاونه زوجته في دينه، ورغب في صحبة أهل الخير، وهدفه أيضا تربية أولاده تربية صالحة، فعنها يرثون كثيراً من الصفات والعادات، وفي أحضانها تتشكل سلوكيات الطفل، وتتربى ملكاته ويتلقى لغته، ويكتسب كثيراً من تقاليده وعاداته، ويتعرف على دينه،

---

[103] ينظر: ***الموسوعة الفقهية الكويتية*** صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ط: (من 1404 - 1427 هـ) الأجزاء 1 - 23: ط الثانية، دار السلاسل – الكويت الأجزاء 24 - 38: ط الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر-الأجزاء 39 - 45: ط الثانية، طبع الوزارة، ما يستحب في الزوجة من أوصاف (41/ 227)، ما يستحب في الزوج من أوصاف(41/231).

[104] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين(رقم 5090) (7/ 8)- مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، (رقم 1466)،(2/ 1086).

فمن أجل هذا عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه، وحث الشارع أن يتحرى الرجل المرأة الودود الولود، فعن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيا شديدا، ويقول: تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة»[105]، كما وضع للمرأة ضوابط في اختيار زوجها، فعندما يجتمع الخلق والدين عند الرجل، فقد اجتمع له الخير من كل أطرافه فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[106].

ب- فرض شروطاً لصحة العقد، وسن مستحبات له، فمثلاً اشتراط دوام العقد لأن الزواج المؤقت لا يحقق الهدف المرجو من النكاح، واشتراط شهادة الشهود بعدا عن شبهة الزنا والريبة، وأن تكون المعقود عليها محلا للعقد ليست من المحرمات، واشتراط الولي، ورضا المرأة ؛ فالبكر تستأذن والثيب تستأمر، ومن الاحتياط في الزواج ندب الشارع إلى النظر إلى المخطوبة الذي هو أدعى إلى الطمأنينة والرضا، والأمر بالمعاشرة بالمعروف من غير ضرر أو إيذاء[107]، ثم إن الله تعالى جعل أمر القيام على هذه المؤسسة – الأسرة- وتدبير أمورها، وإدارة شؤونها، والسير بها نحو الهدف المنشود، بيد الرجل بما منحه الله في تكوينه العضلي والعقلي، إذ أنه أقدر على تحمل أعباء الحياة وتكاليفها، وبعد هذا كله قدّس الله تبارك وتعالى هذا الرباط وسماه ميثاقاً، ووصفه بأنه غليظ، قال الله تعالى:﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، قال الطبري: «والميثاق الغليظ هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح، من عهد على إمساكها بمعروف، أو تسريحها بإحسان، فأقر به الرجل؛ لأن الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجال في نسائهم»[108]، وقال الزمخشري: «ووصفه بالغلظ لقوّته وعظمه»[109]، وهذه التوجيهات والتفصيلات التي وجه إليها التشريع، ماهي إلا مكرمات للبشرية، لأنها تحفظ أسر المجتمعات ، وتحميها من التفكك والانهيار، ثم جعل من نتائج هذا العقد المكرم المودة والرحمة، وهذا أيضاً من تكريم الله تعالى، لأنه هو الذي غرس ذلك في قلبيهما، قال تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ

---

[105] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه رقم(12613)،(20/ 63)- أبو داود، ***سنن أبي داود***، باب في تزويج الأبكار، (رقم2050)،(3/ 395).

[106] ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، باب الأكفاء (رقم 1967)،(1/ 632)- الترمذي، ***سنن الترمذي***، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه (رقم1084)،(3/ 386) ولفظه إذا خطب إليكم ....الحديث.

[107] ينظر: ***الموسوعة الفقهية الكويتية***، خصائص عقد النكاح، (41/ 219)، الشروط في عقد النكاح، (305/41)، ما يسن في النكاح، (220/41).

[108] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (6/ 546)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(2/ 187).

[109] الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (1/ 492).

لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]،حيث جعل بين الزوج والزوجة المودة والرحمة على عدم القرابة والرحم، وبعد ما بينهما؛ فصارا لما ذكرنا في المودة والرحمة كالقريبين وذوي الرحمين وأقرب القريب، ولولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل، ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل[110].

ثانيا: التكريم في خلق الذرية:

وبعد أن يتم هذا الميثاق الغليظ ضمن التوجيهات الربانية، سيكون من أهم نتائجه ظهور الذرية، والتي اعتنى بها الله تعالى في القرآن من جوانب مختلفة، فجعل طلب منح الذرية الطيبة من أكرم الأدعية التي يدعوا بها عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وجاء في آية أخرى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، كما جعل منح هذه الذرية من أكرم العطايا التي تدخل السرور إلى قلب الإنسان، قال تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]،كما ذكر البشارة بالمولود في آية أخرى ؛ فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٦٩]، وورد في قصة زكريا عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩،كما اعتنى سبحانه وتعالى بتفاصيل خلق هذه الذرية في مراحلها المتعددة اعتناء دقيقاً، وهذا الاعتناء الدقيق لا يمكن أن يكون إلا تكريماً لهذا المخلوق – الذي سوف يظهر من هذا الحدث– ،وهو الإنسان في مرحلة الخلق والتكوين الثانية (الذرية) ، وقد أمر الله تعالى الإنسان أن يفكر ويتفكر في خلقه وتكوينه، وهذا من تكريم الله تعالى للإنسان بأن يرشده لما فيه مصلحة له، فقال تعالى:﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، قال ابن عاشور: «الفاء لتفريع الأمر بالنظر في الخلقة الأولى، والنظر: نظر العقل، وهو التفكر المؤدي إلى علم شيء بالاستدلال»[111]، لذلك كان علينا أن ننظر في مراحل خلقنا التي ذكرها الله تعالى في كتابه ،وقد ذكرت من قبل أن القرآن الكريم تحدّث عن مراحل تدرج خلق الإنسان الأوّل (آدم عليه السلام) ، كذلك تدرّج في الحديث عن خلق ذرية هذا الإنسان، فمن الآيات التي تشير

---

[110] ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد، (ت 333هـ)، ***تأويلات أهل السنة***، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، (8/ 261)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (7/ 162).

[111] ينظر: ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (30/ 261).

إلى هذه المراحل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥]، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤]، وقد استفاض العلماء قديماً وحديثاً بالكلام والشرح التفصيلي لهذه المراحل يظهرون بذلك عجائب قدرة الله تعالى في هذا المخلوق ، وما ذلك إلا اهتماماً واضحاً من الله تعالى بهذا المخلوق تكريماً وتشريفاً له فمثلاً:

1- يذكر الله تعالى لنا طور النطفة في اثني عشر آية [112].

2- ويذكر لنا مرحلة العلقة في خمس آيات[113].

3- ويذكر لنا مرحلة المضغة في ثلاث آيات [114].

ويذكر أن هذا الطور يمر بمرحلتين:

أ- المضغة غير المخلّقة.

ب- المضغة المخلّقة.

4- ويذكر لنا مرحلة تحول المضغة إلى هيكل عظمي، في قوله تعالى :﴿فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا﴾ [المؤمنون: ١٤].

5- ويذكر لنا مرحلة كساء العظام باللحم في قوله تعالى: ﴿فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا﴾ [المؤمنون: ١٤]

فهذه الآية تشير إلى أن العظام تتشكّل أولا، ثم يلتفّ حولها اللحم والعضلات كأنه كساء لها، وهذا التصوير الدقيق يشير إلى عظمة القرآن ودقته.

6- ويذكر لنا مرحلة نفخ الروح، وتكون هذه النفخة بعد مرحلة العلقة نحو أربعة أشهر، فقد قال النبي ﷺ :«إن

---

[112] (النحل: 4)،(الكهف: 37)،(الحج: 5)،(المؤمنون: 13، 14)،(فاطر: 11)،(يس: 77)،(غافر: 67)،(النجم: 46)،(القيامة: 37)،(الإنسان: 2)،(عبس: 19).

[113] (الحج: 5)،(غافر: 67)،(المؤمنون: 14)،(القيامة: 38)،(العلق: 1، 2).

[114] ينظر:(المؤمنون: 14)،(الحج: 5).

أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد.. »[115].

وبعد مرحلة النفخ تأتي مرحلة تكوين السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقدّم سبحانه السمع قبل البصر، وقد ثبت علميّاً أن السمع يتكوّن قبل البصر، ثم بعد ذلك يستمرّ نمو الإنسان في بطن أمه يوماً بعد يوم إلى أن يكتمل نموه ويصير طفلاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧]، وقال تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ يعنى خلقاً غير المخلوقات التي خلقها من قبل وهو أحسنهم تقويماً وأكملهم استعداداً وأجلهم كرامة وأعلاهم رتبة وأخصهم فضيلة فلهذا أثنى على نفسه عند خليقته بقوله ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤][116] حيث جعله حيواناً بعد أن كان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره – بل كل عضو من أعضائه، بل كل جزء من أجزائه – عجائب فطرية، وغرائب حكمته، لا تدرك بوصف الواصف، ولا تبلغ بشرح الشارح، وهنا يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدّم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكوّن أولا في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور العظام، وتمام الهيكل العظمي للجنين وهي الحقيقة التي سجلها النص القرآني، فسبحان العليم الخبير!

كما يعدّ خلق ذرية الإنسان الأول وزوجه من آيات الله العظيمة، خاصة إذا علمنا أن خلق الذرية قد تم ضمن أطوار ،وكل طور من هذه الأطوار يعدّ آية في ذاته، كما أن إخبار الله سبحانه عن هذه الأطوار والمراحل في القرآن الكريم يعتبر من الإعجاز العلمي، لا سيما وأن العلم الحديث لم يتوصّل إلى هذه الأطوار إلا منذ سنوات قليلة.

ومن خلال التتبع للآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع ،نجد أن القرآن الكريم حدد مراحل الخلق الأساسية في ستة أطوار قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا

---

[115] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه(رقم 4091)،(7/ 169)- الترمذي، ***سنن الترمذي***، أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أنّ الأعمال بالخواتيم (رقم 2137)،(4/ 14).

[116] ينظر: الخلوتي، حقي بن مصطفى، (ت 1127هـ)، ***روح البيان***، إسماعيل دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت (6/ 72).

ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤]، وقد بينها أيضا رسول الله ﷺ : «فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: إن الله وكل في الرحم ملكاً، فيقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يخلقها قال: يا رب أذكر، يا رب أنثى، يا رب شقي أم سعيد، فما الرزق، فما الأجل، فيكتب كذلك في بطن أمه»[117].

ومن خلال التدبر في الآية القرآنية والحديث الشريف، يظهر لنا بعض مظاهر تكريم الله تعالى لذرية آدم منها:

أ- الإهتمام الدقيق والكبير من الله تعالى بمراحل التكوين الأول للذرية ،وفي أكثر من موضع في كتابه الكريم[118]،كما فصل لنا مراحل التكوين الأول لآدم عليه السلام، وهذا تكريم واضح منه سبحانه وتعالى.

ب- تسخير الله تعالى لهذا المخلوق ملكا، يتابع نموه مرحلة بعد مرحلة، متلقيا أوامر الله تعالى فيما يمليه عليه، من نفخ للروح، وجنسه، ورزقه، وأجله، وشقي هو أم سعيد، كل ذلك بمباشرة من الله تعالى لكل مولود من ذرية آدم، ويكفيهم هذا من التكريم والتشريف.

1 – التكريم في مرحلة ما قبل الولادة (الجنين):

ويستمر تكريم الله لذرية آدم ضمن مراحل الخلق، لنجد التكريم واضحاً من خلال حفظه ورعايته وهو في بطن أمه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٣]، ووصفه بأنه مكين، لأنه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا[119].وقد أثبت العلم الحديث عظم حماية الله تعالى للجنين في بطنه أمه، حيث ذكروا: «وقد خلق الله له غشاء يحتوي هذا الغشاء على سائل يحمي الجنين من الصدمات، ويحتوي على مواد غذائية يحتاج إليها الجنين، ويحافظ غشاء الجنين على درجة حرارة ملائمة لنمو الجنين، بالإضافة الى حماية الحبل السري من الصدمات الخارجية..... »[120].

---

[117] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب أحاديث الأنبياء (رقم3333)،(4/ 133).

[118] ينظر:(النحل: 4) (الكهف: 37) (الحج: 5) (المؤمنون: 13,12، 14)،((فاطر: 11)،(يس: 77)،(غافر: 67)،(النجم: 46) (القيامة: 37-38)،(الإنسان: 2)،(عبس: 19)،(العلق: 1، 2).

[119] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (17/ 20) – البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (5/ 411)- ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (18/ 23).

[120] ينظر: ***مقالة غشاء الجنين*** Fetal membraneموقع الطبي https:--cutt.us-f2uuf

تمت الزيارة بتاريخ 24-10-2022

و لو تأملنا جيدا في الأحكام الشرعية الخاصة بالجنين لرأينا مكرمات كثيرة له، تبدأ من قبل تكونه، حتى مرحلة ولادته ،سأذكر بعضها على سبيل الإجمال لكثرتها وكثرة تفصيلاتها منها:

أ- اختيار الأبوين الصالحين له.

ب- تحصينه بالدعاء من أول لحظة قد يقدر فيها بدء تكوينه، فعن ابن عباس يبلغ النبي ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره»[121].

ج- فُرض له حق البقاء والحفاظ على حياته وهو جنين، فحرّم إجهاضه وإسقاطه بعد نفخ الرّوح فيه، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ولو كان هذا الإسقاط أو الإجهاض باتفاق الزوجين، وحرّم قتله خشية الفقر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، وقد أكد على ذلك النبي ﷺ ، حينما بايع الصحابة، كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدراً وهو أحد النقباء ليلة العقبة: أن رسول الله ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم . .. »[122].

د- تأدية الرعاية الصحية له، فأوجب تأخير تنفيذ العقوبة الشرعية على الأم الحامل أو المرضع في حال ارتكابها جناية، إذا كانت العقوبة تضر بحملها أو رضيعها؛ كما ثبت ذلك في قصة المرأة الغامدية التي حملت من الزنا؛ فقال لها الرسول الكريم الرؤوف الرحيم ﷺ:«حتى تضعي ما في بطنك.... إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار، فقال: إلي رضاعه يا نبي الله، قال: فرجمها »[123]. و رخص في تأخير تأدية بعض الفرائض إذا كان فعلها في وقتها يضر بالجنين، فمثلاً أباح لأمّه الحامل الإفطار في رمضان، إذا كان صيامها سيضر بالجنين، فعن أنس بن مالك، رجل من بني عبد الله بن كعب قال: أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ، فأتيت رسول الله ﷺ، فوجدته يتغدى، فقال: «ادن فكل»، فقلت: إني صائم، فقال: ادن أحدثك عن الصوم، أو الصيام، إن الله تعالى وضع عن

---

[121] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع (رقم141)،(1/ 40). مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب النكاح، باب ما يقوله الرجل إذا أتى أهله، (رقم1434)،(2/ 1058) بلفظ: فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبدا" .

[122] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، (رقم 18)،(1 /18).

[123] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى (رقم 1695)،(3/ 1322).

المسافر الصوم، وشطر الصلاة، وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام»[124].

هـ- أوجب الحفاظ على حقوق الجنين المالية؛ فقد أوجب الإسلام الدّية في قتل الجنين وكذلك أوجب له حقوقه المالية من ميراث أو وصية ونحوهما مما فصله العلماء ودوّنوه في كتب الفقه والأحكام، وهذا كله من تكريم الله سبحانه وتعالى للجنين .

2 - التكريم في مرحلة ما بعد الولادة إلى البلوغ :

فإذا ظهر هذا المولود المكرم إلى هذه الدنيا، بدأت مكرمات جديدة تناسب المرحلة الجديدة، وهي مرحلة ما بعد الولادة إلى البلوغ، ولو تأملنا جيداً في الأحكام الشرعية الخاصة بالمولود لرأينا مكرمات كثيرة له تبدأ من أول لحظة من خروجه، سأذكر بعضها على سبيل الإجمال لكثرتها وكثرة تفصيلاتها، منها:

أ- تكريم التحصين بالدعاء عند الوضع، كما فعلت أم السيدة مريم، قال الله تعالى حكاية عنها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦، فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلا[125].

ب- أن يطرق سمعه حال قدومه إلى الدنيا ألفاظ الآذان المشتملة على تمجيد الله وتعظيمه وتوحيده؛ فعن أبي رافع رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أذن الحسن بن عليّ حين ولدته فاطمة رضي الله عنها بالصلاة»[126].

ج- أن يعقّ عن المولود في اليوم السابع من ولادته؛ ويسمى ويحلق شعر رأسه، عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه، ويسمى»[127].

---

[124] الترمذي، ***سنن الترمذي***، أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع، (رقم715)،(3/ 85).

[125] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (5/ 339).

[126] أبو داود، ***سنن أبي داود***، أبواب النوم، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه، (رقم 5105)،(7/ 431)- الترمذي، ***سنن الترمذي***، أبواب الأضاحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب الأذان في أذن المولود(رقم 1514)،(4/ 97) قال الألباني : حديث حسن.

[127] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، ومن حديث سمرة بن جندب (رقم 20139)،(33/ 318)- البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة، (رقم 5471)،(7/ 84) عن محمد بن سيرين، حدثنا سلمان بن عامر الضبي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دما، و أميطوا عنه الأذى- ينظر: ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، أبواب الذبائح باب العقيقة، (رقم3165)،(4/ 336).

د- التحنيك، والرضاعة، ،والختان؛ والحضانة والنفقة والعلاج والتربية، وأكرم التربية، التربية الإيمانية [128].

هـ- حق إبداء الرأي والمناقشة والحوار، ونجد ذلك مبيناً في قصة الفضل بن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقد كان غلاماً صغيراً[129].

و- الانتساب إلى أبويه، والمحافظة على حياته، وتحريم الطرق التي تحول دون استمرار مسيرة البشرية من تعقيم الرجال والنساء، واستئصال للأرحام، والإجهاض بغير ضرورة طبية؛ والميراث والعدل والمساواة والتعليم الديني والدنيوي، ولكل مكرمة تفصيلات ذكرت في مكانها في كتب الفقه والأحكام، وهذا كله من تكريم الله سبحانه وتعالى للطفل.

وأستطيع أن أقول: أن الله تعالى كرم الإنسان من قبل خلقه، وذلك بالإعلان في الملأ الأعلى المكرم عنده بإرادته على خلقه، ثم توالت المكرمات من أول لحظة من خلقه، وذلك بخلقه في أكرم الأزمنة والأمكنة، ثم ليكرم في كل مراحل خلقه وخلق ذريته، ثم ليكون في الأرض مكرماً بكونه خليفة له، وقد زود بكل مكرمة تساعده على إقامة هذه الخلافة على أتم وجهها.

3.2 المبحث الثاني: تكريم وإهانة الله تعالى للإنسان في التسخير والتكليف:

3.2.1 المطلب الأول: تكريم الله تعالى للإنسان بتسخير ما في الكون لخدمته.

بعد أن خلق الله تعالى الإنسان، أكرمه بالنّعم العظيمة الّتي لا تعدّ ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ومن هذه النّعم تسخير ما في السّماء و الأرض وبينهما، والمراد بهذا التّسخير، هو تمكين الله عزّ وجلّ الإنسان من أن يستخدم ما خلقه الله له في مجالات حياته المختلفة، ليشعر بجليل نعم الله عز وجل عليه، فيشكر المنعم الكريم، ويتجه إلى أن يعبده بكل ذلك الذي سخر له، ويحسن تسخير ذلك في عمارة أرضه وفي نفع عباده، ليحقق بذلك واجب الخلافة التي كلفه الله بها في الأرض.

وكرامات التسخير في القرآن الكريم تبتدأ بالذرة وتنتهي بالأفلاك، ليرى العاقل نظاماً معجزاً لا يستطيع الإحاطة به، ولكن يستطيع أن يعلم أن كل ذلك قد سخر من أجله، وخدمة لمصالحه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ

---

[128] أبو داود، ***سنن أبي داود***، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة قال رسول الله صلى الله عليه: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» (رقم 495)،(1/ 367)، قال المحقق اسناده حسن.

[129] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم فعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقدح، فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: «يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ»، قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحدا يا رسول الله، فأعطاه إياه، (رقم 2351)،(3/ 109).

فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢ – ١٤]، قال أبو منصور الماتريدي: «وجعل بني آدم هم المقصودون بخلق جميع الخلائق ونحوه، وكرمهم حيث جعلهم بحيث يتهيأ لهم استعمال السماء والأرض، واستعمال الشمس والقمر، واستعمال البحار والبراري، وجميع الصعاب والشدائد في حوائجهم ومنافعهم ما لا يتهيأ لغيرهم من الخلائق ذلك؛ فذلك تفضيلهم»[130].

والنتيجة التي لاشك فيها أن الله العليم بخلقه الحكيم في تدبير أمره لم يخلق السماء والأرض وما بينهما، وسخر كل ذلك لخدمة الإنسان إلا لحكم عظيمة، فهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦]، ليظهر التكريم لهذا الإنسان في أسمى تجلياته وكماله، وسأذكر شيئا يسيراً عن هذا التسخير من دون أن أفصل فيه لأن آيات التسخير والتكريم كثيرة وفوائدها جمَّة.

أولا: التكريم بتسخير السماء:

تسخير السماء ينقسم إلى أربعة أقسام : تسخير السماء نفسها، وتسخير ما فيها، وتسخير ما بينها وبين الأرض، وتسخير ما ينزل منها:

1- التكريم بتسخير السماء نفسها:

جعل الله تعالى السماء للأرض كالسقف للبيت، وحفظ سبحانه وتعالى هذا السقف من أي خلل يصيبه، وهذا من كرم الله تعالى على الإنسان الذي بفضل هذا الحفظ سيعيش على الأرض مطمئنا بتماسك السقف الذي يعلوه، ولولا ذلك الحفظ من الله تعالى، لعاش خائفاً مضطرباً، لا يغمض له جفن، ولا يطمئن له بال، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، قال البغوي: «سقفا محفوظا، من أن تسقط»[131] ،وقال تعالى:﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥]، قال ابن كثير:« قسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم»[132]، وقال تعالى : ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الحج: ٦٥]، قال

---

[130] الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي (ت 333هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ط: الأولى، 1426 هـ - 2005م، (7- 86).

[131] البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (3/ 287).

[132] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (7/ 398).

الطبري: «ومعنى قوله: ﴿أَن تَقَعَ﴾ [الحج: ٦٥]، أن لا تقع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]، بمعنى: أنه بهم لذو رأفة ورحمة؛ فمن رأفته بهم، ورحمته لهم، أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك»[133].

2- التكريم بتسخير ما في السماء:

ومن تكريم الله للإنسان أن سخر له ما في السماء من أبراج ومجرات لم يعرف الإنسان إلى يومنا هذا إلا اليسير منها، من شمس وقمر، وليل ونهار ونجوم وكواكب، وجعل في نظامها البديع ما ينفع الإنسان، من تعاقب اللّيل والنّهار ليسكنوا في الليل ويعملوا في النهار من أجل معيشتهم، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون، والعبادات، والمعاملات، والإيجارات، وغير ذلك، واختلاف في الفصول، ودرجات الحرارة ،وغيرها[134] ،آيات معجزات ، قال تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، كما أكرمه بضوء الشمس ودفئها، وكذلك ما يمكنه من أن يستفيد به من ضوء القمر والنجوم، من دون أن يدفع مقابل ذلك أي ثمن، كما استطاع أن يعرف السّنين والحساب بدوران هذه الأفلاك حول نفسها من ناحية، وحول بعضها من ناحية أخرى[135]، فإنه لو كان الوقت كله نوعاً واحداً وقدراً متساوياً لما عرف شيئا من ذلك، قال تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، وخلق الله عزّ وجلّ النّجوم والكواكب وأشار إلى عظمتها بقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، فمواقع النّجوم لها فوائد كثيرة منها:

- أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده، قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وهذه كلّها نعم في السّماء خلقها الله وسخّرها للإنسان تكريماً له، وقد أفاض الرازي في شرح تسخير الله تعالى الكون للإنسان فقال :« إن انخساف القمر

---

[133] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (16/ 624) - ينظر: مقاتل بن سليمان، (ت 150هـ)، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ،بيروت ط: الأولى - 1423 هـ (3/ 136)- ينظر: ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (17/ 323).

[134] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (14/ 184) - الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (4/ 183).

[135] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (12/ 119) - الواحدي، ***التفسير البسيط***، (11/ 125)- الزمخشري ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (2/ 329)- ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (11/ 94).

نفس ظل الأرض، لأنه لا معنى لانخسافه إلا زوال النور عن جوهره عند توسط الأرض بينه وبين الشمس، ثم نقول: وانخساف القمر مستدير لأنا نحس بالمقدار المنخسف منه مستديراً، وإذا ثبت ذلك وجب أن تكون الأرض مستديرة لأن امتداد الظل يكون على شكل الفصل المشترك بين القطعة المستضيئة بإشراق الشمس عليها، وبين القطعة المظلمة منها .. ثم إن هذا الكلام غير مختص بجانب واحد من جوانب الأرض، لأن المناظر الموجبة للكسوف تنفق في جميع أجزاء فلك البروج مع أن شكل الخسوف أبداً على الاستدارة، فإذن الأرض مستديرة الشكل من كل الجوانب»[136].

3- التكريم بتسخير ما بين السماء والأرض:

وسخر الله تعالى بكرمه للإنسان كذلك تكريماً له ما بين السماء والأرض، من مخلوقات كثيرة، أذهلت عقول المتقدمين والمتأخرين من البشر، ولكن حظ المتأخرين كان أكبر لتقدم العلم والمعرفة، فمعرفة أسرار الكون وما يحمله من إعجاز، يظهر مدى عمق وسعة الكرم الإلهي للإنسان، ويمكن أن أذكر شيئاً يسيراً جداً من هذه المكرمات :

أ- الرياح:

فالرياح هي الوسيط في تلقيح الأشجار والنخيل والنباتات والزهور، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]، وهي التي تقوم بتحريك المياه الراكدة سواء في البحيرات أو الأنهار، وهي التي تستخدم في توليد الطاقة ،وتقوم بتحريك السحب التي تحمل الأمطار، قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، يقول الطبري: « ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وفي تصريفه الرياح لكم شمالا مرة، وجنوبا أخرى، وصبا أحيانا، ودبورا أخرى لمنافعكم»[137]، وهي التي تحرك السفن لينتفع الناس بحركتها النفع الكثير[138]، وهذا جزء يسير من مكرمات الله تعالى، لهذه النعمة، ونجد اليوم في العلوم الحديثة، فوائد لم تخطر على بال المتقدمين تطلب من محالها.

ب- السحاب:

وتسخير السحاب هو بعثه من مكان لآخر محملا بالماء، ليصيب الله تعالى بهذا الماء ما يشاء، ليكون تكريماً لهم

---

(136) الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (4- 164).

(137) الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (21/ 74) – القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (2/ 197).

(138) ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (3/ 11) – ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (1/ 344).

وبشارة[139]، قال تعالى :﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

ج- الغلاف الجوي:

وهو من أسرار الله التكريمية لهذا الإنسان، والذي لم يكتشف تفاصيله الدقيقة إلا في العصور المتأخرة، ومازالت الأبحاث قائمة على معرفة تفاصيل أدق لهذا الإعجاز التكريمي، ومن هذه المكرمات، أن هذا الغلاف يزود الكائنات الحية الموجودة على سطح الكرة الأرضية بالهواء اللازم للتنفّس من أجل استمرار الحياة، لاحتوائه على المكوّنات الأساسية اللازمة للحياة كالأوكسجين، والنيتروجين، وثاني أوكسيد الكربون، بالإضافة إلى غازات ومركّبات كيميائية أخرى تدخل في معظم أنشطة الإنسان سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

و هو واسطة اتصال بين الأرض والفضاء الخارجي، فالغلاف نافذ للأشعة الضوئيّة والحراريّة الصادرة من الشمس وبشكل منظم، بحيث لا تحجب الأرض عن النافع منها، مما يوفر لها الحماية والدفء، ولكنه يمنع وصول الأشعة الضارّة إلى سطح الأرض كالأشعة البنفسجية، وهو حافظ لكوكب الأرض من التغيّرات الكبيرة والمفاجئة التي قد تحدث نتيجة ارتفاع درجات الحرارة، كما أنّه يمنع نفاذ كل الإشعاع الأرضي إلى الفضاء الخارجي، فلولا وجود الغلاف الجوي لتجاوز المدى اليومي لدرجة الحرارة على سطح الأرض حوالي 200 درجة مئوية[140].

وهو الذي يحمي سطح الأرض من الانفجارات الفضائية، التي تحدث خارجه، فلا تتأثر إلا بالشيء القليل منها، ويظهر ذلك جلياً في الشهب المحترقة على سطحه، كما واستفاد منه الإنسان للتنقّل من مكان إلى آخر كطريق سريع داعم للطرق الأرضية، وهو وسط ناقل للأصوات، فلولا وجوده لساد هدوء مخيف على سطح الأرض، ويسهم في توزيع بخار الماء في الأماكن المختلفة من العالم، كما أن حركة الغلاف الجوي تسهم في تكوّن السحب والغيوم، وحدوث

---

(139) ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (18/ 521) - الواحدي، ***التفسير البسيط***، (18/ 521) – البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (3/ 582).

(140) ينظر: نادية أبو رميس، ***مقالة في أهمية الغلاف الجوي*** https:--cutt.us-9Zmkf

تمت الزيارة بتاريخ 24-12-2022

الأمطار، وتجانس مكوّنات الهواء، وهبوب الرياح، وأخيرا يعطي السماء اللون الأزرق الجميل في أثناء النهار، والذي ينعكس على المسطحات المائيّة التي تظهر باللون الأزرق[141].

4- التكريم بتسخير ما ينزل من السماء:

ومن تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان تسخير النعم التي تنزل من السماء، كإنزال الماء على هيئات متعددة مطراً وبرداً وثلجاً، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣]، وسأذكر بعض مكرماته في التسخير الأرضي.

ثانيا: التكريم بتسخير الأرض وما فيها:

أما الأرض فقد وضعها الله للأنام، وكل شيء فيها بمقدار، ومما نص عليه القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن الله تعالى أكرم الإنسان بأن سخر له ما في الأرض، من الجبال والبحار والأنهار والنباتات والحيوانات والثروات .. ليستفيد منها في حياته، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠]، قال الطبري: « من دابة، وشجر، وماء، وبحر، وفلك، وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم، ومصالحكم، لغذائكم، وأقواتكم، وأرزاقكم، وملاذكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه»[142]، ولما كان من التطويل عرض جميع الآيات الكريمة التي تتحدث عن مظاهر نعم الله تعالى على الإنسان في هذه الأرض، فسأذكر بعضها على سبيل الإجمال :

1- التكريم بتسخير الحيوان لخدمة للإنسان :

صرّح القرآن الكريم بأنّ الله تعالى خلق الحيوان لخدمة للإنسان، وحرض القرآن العظيم العقول إلى التأمل والتفكر في شأنها، وهي أصناف من الحيوانات متعددة، منها الأنعام وغيرها، خلقها الله عز وجل مسخرة له، ثم ذلّلها له فيركب بعضها، ويتغذى على بعضها، ويشرب من لبن بعضها، وجعلها قابلة للترويض فاهمة لمراد المستخدم، وغير ذلك من المنافع وهذا كله من تكريم الله تعالى له، أن كان هو صاحب السلطة عليها، والمنتفع منها، على الرغم من أن هذه

---

(141) ينظر: المصدر السابق.

(142) الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (18/ 566).

البهائم تملك من القوة الجسمية والعضلية أضعاف ما يملكه الإنسان؛ إلا أن سنة التسخير قد سلبها المقاومة والتمرد على إرادة الإنسان وتدبيره، وهذا ما يوجب أداء حق الشكر لله سبحانه وتعالى، ولو ترك أمر تذليل هذه المخلوقات للإنسان لعجز عن تذليل ذبابة كما عجز عن خلقها، ولكنها المشيئة الإلهية وقدرته سبحانه في الخلق والتذليل والتسخير، قال القاسمي: «والسر في إفراده هذه النعمة، والتذكير بها دون غيرها من نعمه وآلائه، أن بها حياة العرب وقوام معاشهم، إذ منها طعامهم وشرابهم ولباسهم وأثاثهم وخباؤهم وركوبهم وجمالهم، فلولا تفضله تعالى عليهم بتذليلها لهم، لما قامت لهم قائمة، لأن أرضهم ليست بذات زرع، وما هم بأهل صناعة مشهورة، ولا جزيرتهم متحضرة متمدنة »[143]، ففي حق الأنعام مثلا، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١ – ٧٢]، حيث ذكر لنا القرآن بعض أوجه الاستفادة من هذا التسخير، كاتخاذ جلودها بيوتاً، وأصوافها لباساً، وتحمل له ما يعجز على حمله إلى الأماكن القريبة والبعيدة، ويتخذ بعضها لزينته، وكذلك الجانب الجمالي الذي لا يقل أهمية عن الجوانب النفعية المادية، قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥ – ٨] قال القرطبي: «وجمال الأنعام والدواب من جمال الخلقة، وهو مرئي بالأبصار موافق للبصائر، ومن جمالها كثرتها وقول الناس إذا رأوها هذه نعم فلان، قاله السدي، ولأنها إذا راحت توفر حسنها وعظم شأنها وتعلقت القلوب بها، لأنها إذ ذاك أعظم ما تكون أسمنة وضروعا»[144].

2- التكريم بتذليل السهول والجبال لخدمة الإنسان:

ومن المكرمات أيضاً، أن سهَّل له الأرض، وجعلها صالحة للحياة، بالإقامة عليها فيسَّر له بناء البيوت والقصور عليها، والسير فيها، بأن جعلها لينة ولم يجعلها خشنة، كما يسر له فتح الطرقات ليتنقل عليها من مكان إلى آخر، كما يسر عليه قطع الجبال والبناء فيها، والاستفادة من أحجارها[145]، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ

---

[143] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت ١٣٣٢ هـ) ***محاسن التأويل***، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الأولى ١٤١٨ هـ، (241/7).

[144] القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (10/ 71).

[145] ينظر: الشوكاني، ***فتح القدير***، (5/ 312).

وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤]، قال البغوي:« كانوا ينقبون في الجبال البيت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبل» [146].

3- التكريم بتزويد الأرض بالماء لمصلحة الإنسان .

بعد أن يكرم الله الإنسان فينزل له الماء من السماء على هيئات متعددة، يكمل الله كرمه على الإنسان، فيحفظ له هذا الماء بأشكال متعددة، فيجعل منه البحار والأنهار والينابيع وغيرها، ويوزعها سبحانه في الأرض بحكمته رحمة منه وفضلا، ليستخدمها الإنسان في حياته، يشرب هو والمخلوقات الأخرى منها، يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨ – ٦٩]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل: ١٠]، وينمو بهذا الماء الزرع الذي يغذي الإنسان وغيره من المخلوقات، قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]، كما جعل الله تعالى مما يعيش في هذا الماء مصدراً للطعام، ومصدراً لاستخراج أنواع من ما يستخدم في صناعاته، كالحلي مثلاً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤]، وجعل من بعض أنواع هذا الماء(البحار والأنهار) طريقاً للتنقل بين البلدان بواسطة السفن وما شابهها، التي جعلها طافية على الماء تجري عليه بأمر الله تعالى، وليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لتبادل التجارات بكافة أنواعها، التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم [147] قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

---

[146] البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (2/ 207).

[147] ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت 1376هـ)، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ط: الأولى 1420هـ -2000م، (ص437).

4- التكريم بإمداد الإنسان بالخيرات والجنان .

ومن تكريم الله تعالى للإنسان إمداده بكثير من الخيرات والنعم، من بساتين و زروع، وثمار بمذاقات متعددة، والنخيل بأنواعه وثماره المتعددة، ثم يمتن على الإنسان ويظهر له قدرته بأن هذه الأنواع كلها تسقى بماء واحد، ومع ذلك فإن طعومها متعددة، وفي اختلاف ذلك اعتبار يدل ذوي العقول على عظيم قدرته[148]، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وكذلك من النعم التي أكرمهم بها الأشربة المختلفة المذاقات والفوائد، مما يخرج من الثمار والأنعام ، والنحل ،قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٦ – ٦٩].

وأستطيع أن أقول: لقد سخّر الله عزّ وجلّ للإنسان – تكريماً له وإعلاء لشأنه وإشعاراً برئاسته لهذا العالم المحسوس– ملكوت السّموات والأرض وما بينهما من نجوم وشموس وأقمار وملائكة تحوطهم وتجرّ إليهم منافعهم ، وهواء وسحاب وجاذبية وبحار وأنهار وجبال ونبات وحيوان...وجعل في نظامها البديع ما ينفع الإنسان من تعاقب اللّيل والنّهار واختلاف في الفصول وتبدل في درجات الحرارة، وكذلك استخدام الإنسان لضياء الشّمس ودفئها، ومعرفته السّنين والحساب بدوران هذه الأفلاك حول نفسها من ناحية وحول بعضها من ناحية أخرى، وبمنازل القمر قدّر سبحانه وتعالى الأيّام والشّهور الّتي يحسب بها عمر الإنسان على الأرض، وخلق الله عزّ وجلّ النّجوم والكواكب وأشار إلى عظمتها ،فكانت مواقع النّجوم هي وسيلة الإنسان الّتي يهتدي بها إلى الاتّجاهات المختلفة وبها يحدّد جهة مقاصده، وجعل له الأرض فراشاً يستقر عليها، وينتفع بالأبنية، والزراعة، والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها وكأن هذا الكون إنما خلق لخدمة الإنسان، وأنه تبع له، ومن هنا نال ما نال من تكريم وتقدير .

3.2.2 المطلب الثاني: إهانة الله تعالى للكافرين بما جعله في الأصل منفعة لهم في حياتهم:

علمنا أن تكريم الله تعالى مرتبط بمدى استجابة الإنسان لأوامره تعالى، فإذا خولفت أوامره تعالى وانتشر الظلم والعدوان،

[148] ينظر: الماوردي، ***النكت والعيون***، (3/ 94).

حول الله الكرامة إلى إهانة، والنعمة إلى نقمة وعذاب، وسأذكر بعض هذه الإهانات لتكون تهديداً للكافرين، وموعظة للمؤمنين وتحذيراً لهم من الوقوع في المخالفات التي وقع بها من كان قبلهم من الأمم، وهذه الإهانات التي سأذكر شيئا منها سيلاحظ القارئ أن بينها وبين ما سخره الله من التكريم ترابطاً له معان متعددة، فالسماء والأرض وما فيهما وما بينهما في الأصل كما مر معنا من أعظم النعم التي أكرم الله تعالى بها الإنسان فكيف إذا أصبحت هذه المكرمة هي أداة الإهانة من عذاب أو ذل أو خزي لمن خالف أوامر الله تعالى فهذه من أشد الإهانات .

وقد ذكر بعض العلماء أيضا تناسباً بين عمل الأقوام وبين نوع الإهانة التي اختارها الله لهم، وقد نقل في ذلك ابن كثير كلاماً نفيساً ففي قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠]

قال رحمه الله تعالى: « إن الله تعالى يخبرنا عن الأمم المكذبة كيف كان إهلاكهم والانتقام منهم ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، أي كانت عقوبته بما يناسبه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [العنكبوت: ٤٠]

وهم عاد وذلك أنهم قالوا: من أشد منا قوة؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية الهبوب جداً، تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقيها عليهم، وتقتلعهم من الأرض، فترفع الرجل منهم من الأرض إلى عنان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه، فيبقى بدناً بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وهم ثمود...﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وهو قارون.. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما.... »[149].

وكذلك جاء في السنة النبوية ما يماثل ويشابه ذلك، فمثلاً إذا منع العباد زكاة أموالهم؛ منعوا القطر من السماء، وإذا تركوا التحاكم إلى كتاب الله؛ جعل الله بأسهم بينهم، وإذا طلب كثرة المال من طريق الربا، محق الله أمواله[150]، وقد قال

---

[149] ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (6/ 252).

[150] ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، عن عبد الله بن عمر، قال: «أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: " يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا

ابن القيم رحمه الله: «فعقوبات الشارع جاءت على أتم الوجوه، وأوفقها للعقل، وأقومها بالمصلحة»[151]، فهكذا دوماً الجزاء من جنس العمل، وإذا رجعت إلى ما ورد في الكتاب والسنة عن أنواع العذاب في البرزخ والآخرة لوجدت تحقيقاً لهذه القاعدة.

أولا: الإهانة بزوال تسخير السماء:

1- الإهانة بزوال تسخير السماء نفسها.

مر معنا أن الله تعالى أكرم الإنسان بتسخير السماء وما فيها لخدمته، وجعلها كالسقف للأرض، وحفظها من الوقوع عليها، وهذا هو الأصل فيها، لذلك نرى الكافرين من قوم شعيب عليه الصلاة والسلام يتحدون نبيهم بأن يغير هذا الأصل التكريمي، و أن يحوله إلى عذاب مهين ينزل عليهم، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، قال المفسرون: «طلبوا أن يسقط عليهم جانباً من السماء أو قطعاً من السماء أو عذاباً من السماء، وهكذا قالت قريش لرسول الله ﷺ فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى:﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]،وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فأجابهم شعيب عليه الصلاة والسلام: الله أعلم بكم، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم، فوقع بهم كما سألوا، عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم، حيث أصابهم حر شديد جداً مدة أسبوع أو ما يقاربه، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شرراً من نار، ولهباً ووهجاً عظيماً، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم، وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواضع كل موضع بصفة تناسب ذلك السياق، ففي الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وذلك لأنهم ، أرجفوا بنبي الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة. وفي سورة هود أخذتهم الصيحة وذلك لأنهم استهزأوا بنبي الله على سبيل التهكم

القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم »أبواب الفتن، باب العقوبات، (رقم 4019)،(5/ 150)، قال المحقق: حسن لغيره.

[151] ابن قيم، ***الجواب الكافي***، (ص111).

والازدراء، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم، وفي سورة الشعراء ذكر أنهم طلبوا إسقاط كسفاً من السماء على وجه التعنت والعناد، فناسب أن يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه وكلام المفسرين يدور حول هذه المعاني»[152].

إذن انقلب تكريم الله للإنسان بحفظ السماء من السقوط على الأرض إلى عذاب بتحول هذه المكرمة إلى إهانة وعذاب وما كان هذا ليكون لولا كفر هؤلاء بالله ونبيه عليه الصلاة والسلام وارتكابهم للظلم والعصيان.

2- الإهانة بزوال تسخير ما في السماء:

مر معنا أنه من تكريم الله للإنسان أن سخر له ما في السماء من أبراج ومجرات لم يعرف الإنسان إلى يومنا إلا اليسير منها، وهذا التسخير يسير ضمن نظام محكم، الهدف منه خدمة الإنسان ليعيش منتفعاً بهذا التسخير فإذا كفر بالله تعالى وكذبت رسله، أرسل الله ألوان إهانته وعذابه ونقمته على المجرمين المعاندين فمثلاً أهلك الله تعالى قوم صالح (ثمود وهم أصحاب الحجر)، و قوم شعيب (مدين –أصحاب الأيكة)، و قوم لوط، و أصحاب القرية (يس) بقلب هذه المكرمة إلى عذاب وإهانة، وذلك بأن أهلكهم بصيحة من السماء مرتفعة شديدة تقطعت قلوبهم منها، ورجفت الأرض التي كانوا عليها لتهلك تلك الأقوام منها[153].

ففي حق ثمود قوم صالح، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝٦٦ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٦٦ - ٦٧]

وفي حق مدين قوم شعيب، يقول الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود:٩٤]، وفي حق قوم لوط قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]، ومن القرى التي أخذ أهلها بالصيحة، القرية الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]، قال المفسرون: « فإذا انتهكت محارم الله، وعصيت أوامره، واستعلن بالفواحش؛ حلّ العذاب، ونزل النكال، وحاق بالمفسدين سوء أعمالهم، أرسل الله تعالى على هؤلاء الأقوام صيحة عظيمة من السماء (وقيل: إن

---

[152] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(17/636-639)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (8/ 84)- الماوردي، ***النكت والعيون***، (4/ 186)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (24/ 529)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (13/ 135)- البيضاوي، عبد الله بن عمر، (ت 685هـ)، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط الأولى 1418هـ، (4/ 149)- النسفي، عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠هـ)، ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل***، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (2/ 581)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (6/ 160-162).

[153] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (12/ 464)،(12/ 559)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (9/ 92).

جبريل عليه السلام، صاح بهم) فيها صوت كل صاعقة ؛ وصوت كل شيء في الأرض ، فأصبحوا في ديارهم هامدين لا حراك لهم فتقطعت قلوبهم وماتوا وجعلهم الله صرعى هلكى كغثاء السيل، الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١، وخمدوا وهمدوا كما يهمد ويبس الزرع والنبات قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١»[154].

وأي إهانة أعظم من هذه الإهانة أن يحول أمان السماء إلى خوف، وجمال السماء إلى عذاب، إذن الصوت كان سببا في تدمير هؤلاء الطغاة، وهذا ما يقوله العلم اليوم، حيث يؤكد الباحثون في هذا المجال أن الترددات الصوتية عند قوة معينة تكون مدمرة وتفتت أي شيء تصادفه حتى الصخور[155].

3- الإهانة بزوال تسخير ما بين السماء والأرض.

مر معنا أن الله تعالى سخر للإنسان تكريما له ما بين السماء والأرض، من رياح وسحاب وغلاف جوي وغيرها، وهذا هو الأصل فيها فإذا كفر بالله تعالى وبما أنزل قلب التكريم إلى إهانة، كما أهلك الله بالريح قوم عاد، إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا، وتوعد الله سبحانه وتعالى بها كل كافر ظالم خائن لله تعالى[156]، فقال جل ثناؤه في حق عاد: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١ -٤٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤، وبين سبحانه وتعالى أن هذا العذاب الذي يصيب به أعداءه، إنما هو عذاب

---

(154) ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(465/12)،(12/ 559)،(14/ 94)،(19/ 428)،(17/ 46)- الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (6/ 152)،(6/ 177)،(6/ 455)- الماوردي، ***النكت والعيون***، (2/ 480)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(2/ 455)،(2/ 463)،(4/ 12)،(3/ 365)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (18/ 371) (18/ 392)،(19/ 156)،(23/ 275)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (9/ 61)،(9/ 92)،(12/ 124)- البيضاوي، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، (4/ 149)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (4/ 298)،(4/ 467)،(5/ 413)،(6/ 508)،(7/ 444).

(155) ينظر: ***المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة*** الذي أقيم في الكويت في شهر ذي القعدة من عام 1427هـ. الإعجاز العلمي في الإهلاك بالصيحة د. محمود محمد الشورى (إن الأصوات القوية (أكثر من 200 ديسبل) تؤدي إلى تمزق الجلد وانفجار الأذن والرئتين، ثم إذا زادت شدة الصوت فإنه يمزق أنسجة الجسم ويفتتها إلى قطع صغيرة محروقة تشبه الهشيم الذي تخلفه حرائق الغابات، وكذلك فإن الصوت القوي جدا يحول الأشياء إلى ما يشبه الغثاء وهو بقايا السيل.

(156) ينظر: البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (4/ 286)- طنطاوي، محمد سيد (ت1431هـ)، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم*** دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى 1418هـ، (14/ 25).

خزي لهم في الحياة الدنيا، وهو عذاب هوان لهم، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]،

وكذلك أهلك الذين تحزبوا على رسول الله محمد ﷺ، فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم»[157] ، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، وتوعد بها المخالفين الذين إذا أحاطت بهم الشدائد دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا ذهب الخوف وحل الأمن؛ كفروا بربهم، فأرسل عليهم الريح الشديدة التي تقصف كل شيء، فتدقه وتحطمه[158] قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩]، وأخبر الحق سبحانه وتعالى أن هذا العذاب المهين مستمر لكل من كفر و استكبر وطغى، وجعل هذا العذاب المهين مثلا لما ينفقه الكفار في هذه الدار فيمحقه الله بسبب كفرهم وطغيانهم، وقد أكد سبحانه عدم إغناء أموالهم ولا أولادهم عنهم شيئا، في وقت هم في أشد الحاجة إلى من يعينهم ويدافع عنهم[159] ، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقد بينت السيدة عائشة رضي الله عنها، أن الأصل في الغيم أو الريح أن يكون مكرمة من الله يفرح الناس بها، ولكن رسول الله ﷺ كان يخاف من ذلك فسألته عن سبب الخوف، فبين لها أن المكرمات تنقلب إلى إهانات في حال الكفر والمعاصي والطغيان[160].

---

[157] ينظر: البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (3/ 611)- طنطاوي، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، (11/ 181).

[158] ينظر: .البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (3/ 144) - طنطاوي، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، (8/ 394).

[159] ينظر: البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 497)- طنطاوي، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، (2/ 230).

[160] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]،(فعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، قالت: وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه، فقالت: يا رسول الله! أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا؛ رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية. قالت: فقال: يا عائشة! ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]،(رقم 4829)،(6/ 134).

4- الإهانة بزوال تسخير ما ينزل من السماء.

مر معنا أن الله تعالى أكرم الإنسان بأن سخر له ما في الأرض، من الجبال والبحار والأنهار والنبات والحيوانات والثروات، الهدف منه خدمة الإنسان ليعيش منتفعاً بهذا التسخير، فإذا كفر بالله تعالى، وعبد غيره، وكذبت رسله، ولم تقبل نصيحتهم، أرسل الله ألوان عذابه ونقمته على المجرمين المعاندين، فمثلاً أهلك الله تعالى قوم نوح، وفرعون وقومه، وقوم سبأ، بقلب نعمة الماء المكرمة إلى عذاب وإغراق وإهانة، وذلك بأنه سبحانه أغرقهم بالماء، وأهلكهم به، مع أنه تعالى وصف الماء أنه هو منبع الحياة وأساسها، وأصل كل كائن حي، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠][161]، ففي حق أمة نوح، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧]، فجاءها الماء من فوقها ومن تحتها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، قال المفسرون: «إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء، عصوا الله وخالفوا أمره وكذبوا رسوله، وردوا عليه ما جاءهم به من الحق، فأغرقهم الله بالطوفان وجعل تغريقه لهم وإهلاكه عظة وعبرة للناس يعتبرون به[162].

- وفي حق فرعون وقومه، يخبرنا تعالى أن فرعون موسى كان يفتخر بأنهار النيل التي تجرى من تحت قصوره وبساتينه، حتى أنه عظَّم نفسه بدعوة ملك مصر، وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها، حتى عجب الناس من مدى عظمته[163]، قال الله تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، فكفر بالنعمة التي تحولت عذاباً له فأهين بها هو وقومه ،فحمل له النيل الطوفان ثم كشف عنهم فلم ينتهوا وأخصبت بلادهم، فأرسل الله عليهم الجراد فأكلته إلا قليلا فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم القمل ، فلم يؤمنوا، فأرسل الله تعالى عليهم الضفادع فدخلت عليهم بيوتهم، ووقعت في آنيتهم وفرشهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله

---

(161) ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (16/ 260)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (7/ 340):- ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (17/ 56).

(162) ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (16/ 320)- (17/ 451) - الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (4/ 471)،(6/ 70) – رضا، محمد رشيد، ***تفسير المنار***،(8/ 439)- ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***،(8/ 197).

(163) ينظر: البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(4/ 164)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (4/ 258).

تعالى عليهم الدم فكان إذا أراد أحدهم أن يشرب ماء تحول الماء دما[164]،قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

– وأهل سبأ أنعم الله عليهم من النعم الوفيرة، وأغدق الله عليهم الأشياء العظيمة، فعن يمين بلدتهم بستان عظيم، وعن شمالها بستان عظيم ، هذه البساتين كثيرة الأشجار، متنوعة الثمار، غزيرة العطاء، فبعث الله تعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته ، ووعدهم الله إن شكروه أن يغفر لهم، لكنهم، أعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله، فانتقم الله منهم، فأرسل عليهم سيل العرم وهو الماء الغزير الشديد، والذي كان سببا في هلاكهم[165]، قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]، ولا يزال هذا العذاب يتكرر في كل عصر: فتارة أمواج عاتية، وتارة فيضانات عارمة، سيول وأمطار غزيرة، وبراكين وزلازل مدمرة، فنسأل الله تعالى العفو والعافية، والحفظ والسلامة

ثانيا: الإهانة بزوال تسخير الأرض وما فيها:

1- إهانة الكافرين بتشبيههم بالأنعام .

مر معنا أن الله تعالى جعل الأنعام مسخرة للإنسان، مذللة له، فهو أعلى منها شأناً، وأرفع مكانة، وإن هذا الشأن و هذه المكانة سببهما العقل، وهو مناط التكليف، فإذا كفر بالله تعالى زال ذلك التكريم، وانقلب إلى إهانة وتحقير، ونرى ذلك جلياً في القرآن الكريم، عندما شبه الله الكافرين بأنهم كالأنعام في أوصافهم بل هم أضل، فهم لا يعقلون ما يقال لهم من الخير والهدى، ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم مع أنه سبحانه هيء لهم سبل الهداية على أكمل وجهها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال أيضا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، قال ابن القيّم رحمه الله : «البهيمة يهديها سائقها فتهتدي، وتتبع الطريق، فلا تحيد عنها يميناً ولا شمالاً، والأكثرون يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون، ولا يهتدون ولا

---

[164] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (13/ 58)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (2/ 147)- سلطان العلماء، ***تفسير القرآن***، (1/ 499) - ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (3/ 418).

[165] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (19/ 249-250-251) - الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (8/ 437).

يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم، والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوباً تعقل بها، ولا ألسنة تنطق بها، وأعطى ذلك لهؤلاء، ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار، فهم أضل من البهائم، فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل إليه هو أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه»[166].

كما أنهم في تمتعهم بالدنيا يأكلون كما تأكل الأنعام، ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون غافلون غير مفكرين في العاقبة التي سيصلون إليها، وهي نار جهنم[167]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢].

2- الإهانة بزوال تذليل السهول والجبال للإنسان.

مر معنا أن الله تعالى سهل للإنسان الأرض والسهول والجبال، وجعلها صالحة للحياة، بالإقامة عليها فيسر له البناء فيها، والتنقل عليها، وفتح الطرقات، فإذا تنكب الإنسان عن الصراط، وعاند المرسلين، واستكبر على رب العالمين؛ فحينئذ ينزل به ما كان أنذره إياه، كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، فإن تحوُّل الأرض من طريق مذلل مسخر للخدمة والتكريم إلى أداة للإهلاك والتدمير، فذلك من أشد الإهانة، وقد حصل ذلك لقوم سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام، لما خرجوا عن طاعة الله وأحكامه، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [هود: ٨٢]، قال ابن كثير: «يقول تعالى: فأخذتهم الصيحة وهي ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها»[168]، وكذلك كانت الإهانة والعذاب لكل الأقوام التي كان من عذابها الرجفة كقوم صالح(ثمود)، وقوم شعيب(مدين)، وقوم موسى وغيرهم .

- وقد جاء تهديد وتخويف من الله تعالى للذين يمكرون السيئات وللمشركين والكافرين، بأنهم إذا استمروا على أقوالهم

---

[166] ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، ***تفسير القرآن الكريم***، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال ،بيروت ط: الأولى - 1410هـ، (ص409).

[167] ينظر: البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (4/ 211)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (4/ 320)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (28/ 45) .

[168] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (4/ 466).

وأفعالهم أنه سينزع منهم مكرمة الاستقرار على الأرض، ويحولها إلى ألوان من العذاب[169]، جاء ذلك في عدة مواضع من القرآن ففي حق الذين مكروا السيئات، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٤٥]، قال السعدي: «هذا تخويف من الله لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غرة، وهم لا يشعرون: إما أن يأخذهم بالعذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم توقع العذاب بعقولهم، وإما في حال تخوّفهم من العذاب»[170].

– وفي حق المشركين الذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى، في سراءهم ويعودون إلى الله في ضراءهم، أمر الله نبيه ﷺ أن ينذرهم، و يقول لهم مهددا ومخوفا: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨]، قال الطبري: «أفأمنتم أيها الناس من ربكم، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البر كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره أن يخسف بكم جانب البر»[171].

– وفي حق الكافرين، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، قال البغوي: «أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، قال الحسن: تتحرك بأهلها، وقيل: تهوي بهم، والمعنى: أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيهم إلى أسفل»[172]، ثم يأتي الجواب على كل التساؤلات والتهديدات فيقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال ابن زيد في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، لو خسف بكم الأرض أهلككم، ولم يبق منكم أحدا[173]، وكذلك الإهانة والعذاب بخسف الأرض هو من العقوبات العظيمة الفظيعة التي عاقب الله بها بعض العباد والبلاد، فقال جل وعلا مخبراً عما حلّ بقارون ومن معه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ

---

[169] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (14/ 232)،(14/ 669)،(23/ 130) – البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (5/ 126)– القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***،(10/ 109)،(10/ 292).

[170] السعدي، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، (ص441).

[171] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (14/ 668).

[172] البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (5/ 126).

[173] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (9/ 297).

يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١]، وكذلك أخبر النبي ﷺ عن ذلك الرجل الذي غره ماله ولباسه، فجر ثوبه كبراً وخيلاء؛ فخسف الله به الأرض، فعن أبي هريرة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء؛ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» [174]، وحين أخبر النبي ﷺ قومه بقيام الساعة والبعث بعد الموت كذبوه، واستهزأوا به، واستبعدوا ذلك، فهددهم وخوفهم الله تعالى بعذاب وإهانة من السماء أو الأرض، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [سبأ: ٩]، وهذا الوعيد الذي هدد الله به المشركين والمخالفين، سيكون في آخر هذه الأمة؛ إذا ظهرت فيهم المعاصي والآثام، ولم ينكروها[175]،كما أخبر النبي ﷺ عن وقوع ذلك وتحققه بالجيش الذي يؤم البيت[176].

ولذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الخسف في دعائه حين يصبح وحين يمسي[177].

ومن أنواع الخسف الزلازل، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

---

[174] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (رقم5340)،(9/ 244)- البخاري، ***صحيح البخاري***، ،كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (رقم 3485)،(4/ 177).

[175] الحاكم، ***المستدرك على الصحيحين*** ، كتاب الفتن والملاحم، أما حديث أبي عوانة، حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحون قد مسخوا خنازير، وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها، حتى يصبحوا فيقولوا خسف الليلة ببني فلان خسف الليلة بدار بني فلان، وأرسلت عليهم حصباء حجارة كما أرسلت على قوم لوط، وأرسلت عليهم الريح العقيم فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم بشربهم الخمر، وأكلهم الربا، ولبسهم الحرير، واتخاذهم القينات، وقطيعتهم الرحم» قال: «وذكر خصلة أخرى فنسيتها» هذا حديث صحيح على شرط مسلم لجعفر، فأما فرقد فإنهما لم يخرجاه، قال الذهبي صحيح، (رقم8572)،(4/ 560).

[176] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم»(رقم 2118)،(3/ 65)- مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، عن عبيد الله ابن القبطية، قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما، على أم سلمة أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم» فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارها؟ قال: «يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»(رقم2882)،(4/ 2208).

[177] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» قال: يعني الخسف، (رقم 4785)،(403/8).

أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فقد ذكر عدد من المفسرين أن الزلازل نوع من أنواع العذاب والإهانة، تنزل على من يخالف أوامر الله عز وجل[178]، ،كما جاءت الأحاديث النبوية مصرحة بأن الزلازل تقع في هذه الأمة عقوبة لها على بعدها عن ربها، وتنكبها عن صراطه المستقيم[179]، وهي من رحمة الله بهذه الأمة، لأن تعجيل العقوبة بأن تكون في الدنيا خير من تأجيلها إلى الآخرة[180]، قال الطبري في قوله: ﴿وَمَانُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]، عن قتادة، قوله ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]، وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذكَّرون، أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه»[181].

– مما سبق نلاحظ أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تخبرنا عن تحول التكريم بتذليل الأرض إلى إذلال وإهانة لمن خالف أمر الله واستهان بعقوبته، فتحل في دارهم وتأخذهم على حين غرة، فنسأل الله أن يجنبنا أليم سخطه، وعظيم عقابه.

3- إهانة المخالفين لأوامر الله بإزالة النعم والخيرات.

مر معنا أن من تكريم الله تعالى للإنسان إمداده بكثير من الخيرات والنعم، من بساتين وزروع، وثمار وأشربة مختلفة المذاقات والفوائد، مما يخرج من الثمار والأنعام والنحل، وهذا التكريم مستمر مادام الإنسان مطيعاً لله تعالى ملتزماً بأوامره تاركاً لنواهيه، فإذا كفر بالله تعالى زال ذلك التكريم وانقلب إلى إهانة وتحقير من جوع وعطش وضيق في الأرزاق، ونرى ذلك جليا في القرآن الكريم عندما عاقب الله تعالى بذلك قوم سبأ بسبب كفرهم وشركهم وتكذيبهم، وعدولهم إلى الباطل، حيث أفاض الماء على بساتينهم ذات الفواكه والأعناب، فأغرقها وأبدلهم بثمرة الأراك ذات الطعم المر، فبينما كان شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله إلى شرّ الشجر بأعمالهم وحصل الخراب والدمار في أراضيهم وبيوتهم[182] وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن

---

[178] ينظر: النسفي، ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل***، (2/ 522)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (3/ 260).

[179] البخاري، ***صحيح البخاري***، أبواب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج – وهو القتل القتل – حتى يكثر فيكم المال فيفيض، (رقم 1036)،(2/ 33).

[180] أبو داود، ***سنن أبي داود***، كتاب الفتن، باب ما يرجى في القتل عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن، والزلازل، والقتل، (رقم 4278)،(334/6).

[181] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (17/ 478) – ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (5/ 84).

[182] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (19/ 252)،(19/ 255).

سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٦ - ١٧]

-كذلك العذاب والإهانة بإزالة النعم في قصة المؤمن والكافر في سورة الكهف، الذَين جعل الله للكافر منهما بستانين من أعناب محاطين بنخيل، وفي وسطهما الزروع والأشجار المثمرة، ولم تنقص منه شيئا في كل عام، وشق وسط الجنتين نهراً، تتفرع عنه عدة جداول، لسقي جميع الجوانب، وكان لصاحب البستانين أنواع أخرى، فقال لصاحبه المؤمن الفقير، وهو يحاوره الحديث، ويفتخر عليه بقوله أنا أكثر منك ثروة، و أكثر خدماً وحشماً وولداً، يدافعون عني، ودخل هذا الثري بستانه المتعدد البقاع والجنبات، وهو ظالم لنفسه بكفره بالبعث، فقال تكبراً منه وظلماً وكفراً واغتراراً : ما أظن أن تفنى وتخرب هذه البساتين أبداً، وما أظن الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم ثم أقسم هذا المترف على أنه إذا رجع إلى ربه- على سبيل الافتراض- ليجدن في الآخرة عند ربه خيراً وأحسن من حظ الدنيا مرجعا وعاقبة حسنة، تمنياً على الله، وادعاء لكرامته ومكانته عنده، على الزعم أن من كان حسن الحال في الدنيا، فهو حسن الحال في الآخرة، وهذا القول من هذا العاصي لم يقصد به الحقيقة، بل قصد الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب، ثم أخبر الله تعالى بما حل من العذاب بحال هذا الجاحد الممثّل به، وصفة هذا العذاب، أنه أحاط الهلاك والجوائح والاستئصال بثمار البساتين ونزل الفساد بالأموال فدمّرتها، فأصبح ذلك الرجل المفتون يقلب كفيه ظهراً لبطن، تلهفاً وأسفاً على ذهاب نفقته أنفقها عليها، وود أنه لم يكن قد أشرك بربه أحداً، وصارت جنته خاوية على عروشها، أي سقطت عرائشها على الأرض، ولم يجد أحدا يناصره ويؤازره من عشيرة أو ولد، كما كان يفتخر ويتباهى، ولم يعد ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه»[183]، قال تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴾ [الكهف: ٣٥ - ٤٣].

---

(183) ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (15/ 262)،(15/ 268) – الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت1436هـ)، ***التفسير الوسيط***، دار الفكر، دمشق، ط: الأولى، 1422هـ (2/ 1424).

– وكذلك العذاب والإهانة، الذي أصاب أصحاب الجنة، وهم ناس من الحبشة من أهل الكتاب، كان لأبيهم بستاناً يتصدق على المساكين منه، يمسك قوت سنته، وينفق ويتصدَّق بالفضل وهم ينهونه عن ذلك فلما مات أبوهم، اجتمعوا وتشاوروا وتحاوروا فقالوا والله إن كان أبونا لأحمق حين يُطعم المساكين، ثم قرروا منع الصدقة على الفقراء والمساكين واقسموا على ذلك فيما بينهم، فأرسل الله تعالى عقوبة وإهانة لهم ما يتلف ويخرب هذا البستان فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم، لتزال عنهم تلك النعم التي أنعمها الله عليهم، وهذا جزاء كل من يكون على صفتهم ويعمل بعملهم وينوي بنيتهم[184]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [القلم: ١٧ – ٢٥].

– كذلك ما حصل مع بني إسرائيل عندما، أعطاهم الله النعم (المن والسلوى) يحصلون عليها من غير جهد ولا تعب، فجحدوا نعمة الله تعالى، وملوها وطلبوا استبدال هذه النعم بما هو أخس وأوضع وأصغر قدراً وخطراً منها(البصل والثوم والكراث والعدس) فعوقبوا على ذلك، فأبدلهم بالعز ذلاً وإهانة، وبالغنى فقراً وحاجة، وبالنعمة بؤساً، وبالرضا عنهم غضباً، جزاءً منه لهم على كفرهم بآياته وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداءً وظلماً منهم بغير حق، وعصيانهم له[185]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

– وكذلك ما حصل لمشركي مكة الذين كانوا لا يُغار عليهم، ولا يحاربون في بلدهم، مع أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضاً ويسبي بعضها بعضاً، وكانوا تأتيهم معايشهم واسعة كثيرة، من كل فج وناحية فكفر أهلها بأنعم الله التي أنعم عليها فسلط الله عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله ﷺ، والخوف من سرايا رسول الله ﷺ التي كانت

---

[184] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (23/ 172- 175)- السمرقندي، نصر بن محمد، (ت 373هـ)، ***بحر العلوم***، دون طبعة (3/ 483)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(5/ 138)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (8/ 214).

[185] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (2/ 11-27)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (1/ 480-483)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 123)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (1/ 179).

تطيف بهم، وذلك بكفرهم بأنعم الله، وجحودهم آياته، وبتكذيبهم رسوله الذي يعرفونه ويعرفون نسبه وصدق لهجته، الذي كان يدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله، ليأخذهم لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع، وقتل عظمائهم يوم بدر[186]، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

– وقد حذر رسول الله قال ﷺ من وقوع بعض هذا البلاء، فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: ... ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، .. »[187]، قال ابن القيم رحمه الله:«وتأمل حكمة الله عز وجل في حبس الغيث عن عباده وابتلائهم بالقحط إذا منعوا الزكاة، وحرموا المساكين، كيف جوزوا على منع ما للمساكين قبلهم من القوت بمنع الله مادة القوت والرزق وحبسها عنهم، فقال لهم بلسان الحال منعتم الحق فمنعتم الغيث فهلا استنزلتموه ببذل ما لله قبلكم»[188].

3.2.3 المطلب الثالث: تكريم الله تعالى للإنسان بإرسال الرسل لهدايته.

إنَّ من أعظم وأهم مظاهر التّكريم من الله تعالى للإنسان، أن أرسل له من هذه البرية المكرمة صفوة من الأنبياء والمرسلين، مبشرين ومنذرين ومعلمين ومربين من أجل هدايته إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم، وزودهم بالأدلة والبراهين من معجزات بيّنة، وكتب قيّمة، فيها الأحكام والشرائع الظاهرة التي تحكم بين الناس بالعدل، والتي هي سبب في بقاء عمارة الأرض[189]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، ودعاه لما يحييه من شريعته وقوانينه التي ينبغي أن يلتزم بها ليفوز بمحبة الله ورضاه عنه، وليسعد في دنياه وأخراه، حيث

---

[186] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (14/ 382-387).

[187] ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، أبواب الفتن، باب العقوبات (رقم 4019)،(5/ 150)، قال المحقق: حديث حسن.

[188] ابن القيم، ***مفتاح دار السعادة***، (1/ 253).

[189] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (22/ 424)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (29/ 342)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (17/ 260).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقد بيَّن الله تعالى طريقه الذي ارتضاه لعباده، وهو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا به، ويخرج من اتبع رضوانه من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام وضيائه، وذلك بتحبيبه إياه الإيمان فيرفع طابع الكفر عن قلبه، وخاتم الشرك عنه، وتوفيقه لإبصار سبل السلام[190]،كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦]، وهذا من تكريم ورحمة الله بهذا الإنسان، الذي جعله خليفة له في أرضه، وإذا أمعنا النظر في القرآن الكريم لوجدنا أن هذا التكريم قد تم بأكمل أشكاله لوجود التكامل بين مقدماته وسبله ونتائجه، ويمكن أن أبين ذلك بشكل مختصر ضمن أربعة نقاط :

أولا: إرسال الرسل حاجة بشرية:

الإنسان بالرغم من ما زوده الله به من الملكة العقلية والمعرفية، لا يستطيع أن يحيط بمفرده بمعرفة الغيبيات والحقائق التي فوق قدراته العقلية، ولا يمكنه أن يضع شرائع وقوانين مضبوطة تنظم العلاقات والسلوكيات والمعاملات التي تحفظ حقوق الأفراد والجماعات بلا ظلم، لأن أكثر ما في هذا الكون يدخل في عالم الغيب، إذن هو بحاجة لمصدر عليم بما في هذا الكون يزوده بالمعلومات للوصول للأحكام، قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥]، فالقوانين الوضعية هي اجتهادات بشرية، قد يصيب فيها واضعها أو يخطئ، لوجود شبه متعددة، من جهل أو مصلحة أو ما يشابه ذلك، أما قوانين الرسالات السماوية فهي رحمة للناس كافّة، وبصيرة لمن اتبعها ونظر إليها بعين التعظيم والتبجيل[191]، قال تعالى ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، تلك القوانين الإلهية تعصمهم جميعاً من الخطأ وتبيّن لهم الأحكام

---

[190] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (8/ 265)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (3/ 33)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (1/ 524).

[191] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (1/ 68)،(9/ 678) – الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (9/ 224).

الصحيحة وتساوي بينهم، فلا يفضل أحدهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثانيا: بشرية الرسل:

بما أن الإنسان مكلف بعبادة ربه عز وجل، وجب عليه أن يكون صاحب علم بما يعبد، ولا يمكن أن يحصل هذا العلم بالعقل المجرد، لذلك فهو بحاجة إلى من يوجهه لأداء هذه العبادات وهم رسل الله تعالى وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، الذين أرسلهم سبحانه لئلا يحتج من كفر بالله وعبد غيره، أو ضل عن سبيله، بأن يقول إن الله أراد عقابه لأنه لم يقدم له وسائل الهداية من إرسال رسول أو إنزال كتاب[192] ، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] ، وتكميلا لأداء المهمة على أكمل وجهها جعل الله هؤلاء الرسل من جنس من أرسلهم إليهم من بني آدم، لأن الرسول إذا كان من الملائكة مثلا لاحتج البشر بعجزهم عن التكاليف، وقالوا هي تناسب جنس الملائكة، وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى[193]، لذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤ – ٩٥]، قال الطبري: «وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم»[194]، وكذلك عندما يكون الرسول من جنس من يرسل إليهم فإن عملية التلقي والفهم عنه تكون أوضح وأسهل، فكانت بشرية الرسول ضرورة أكرم الله تعالى الإنسان بها.

ثالثا: اصطفاء الله تعالى للرسل:

من المعلوم أن العلاقة بين الله والإنسان لا تكون مباشرة، بل هي بواسطة الملائكة، وطبيعة الملائكة مختلفة عن طبيعتهم، فقضى الله تعالى بحكمته البالغة أن يصطفي من البشر أفرادا ذوي نفوس قدسية وجوهرة مشرقة علوية، يصلحون لها،

---

[192] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (7/ 693)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (4/ 322)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 723).

[193] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (15/ 92)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (7/ 114)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (3/ 163)- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (ت 542هـ)، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى، 1422هـ، (3/ 486).

[194] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (15/ 92).

ويعدهم إعداداً خاصاً للتكيف مع طبيعة الاتصال بالملائكة، حتى تتنزل هذه الملائكة عليهم بأحكام الله تعالى وشرائعه [195]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى في وصف الرسل جملة: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٧]، قال الطبري: «وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا»[196].

رابعا: عصمة الله تعالى للأنبياء:

قام الرسل عليهم الصلاة والسلام بوظيفتهم التي كلفهم الله بها على أتم وجهها وأكملها، فنراهم قد بلغوا الرسالات التي أمروا بها متصدين لأهواء الأقوام وخاصة لكبرائهم وقادتهم المسيطرين على الناس بالباطل، ثم قاموا بدعوة الناس إلى الدين الحق، ببيان ما يجب عليهم من توحيد الله تعالى وإفراده بالخلق والملك والتدبير والعبادة، لذلك امتدحهم الله وأمر نبيه محمدا ﷺ أن يسير على نهجهم، وطمأنه أنه سبحانه سيمنعه من جميع خلقه[197]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، كما قاموا بتعليم الناس عموم أحكام دينهم وتفصيلاته، من عبادات ومعاملات وغيرها، وكانوا في جميع ما يدعون الناس إليه يمثلون القدوة الحسنة والمثال المحتذى، فهم يلتزمون بكل ما يأمرون الناس به، ويجعلونه سلوكاً عاماً لهم في حياتهم، وفي هذا كله تكريماً لمن أرسلوا إليهم، لذلك قال الله تعالى – بعد أن سرد سيرة كثير من الأنبياء في القرآن الكريم – مخاطباً رسوله الكريم محمد ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩ – ٩٠].

ومن أهم مظاهر هذا التكريم:

أن أرسل لنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمّدا ﷺ برسالته العالميّة لتكريم البشر جميعاً، كما أنزل القرآن الكريم الذي جاء به

---

[195] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (9/ 539). الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (7/ 64)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (2/ 63)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (13/ 136) (18/ 421).

[196] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (20/ 120).

[197] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (19/ 121)- البيضاوي، ، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، (4/ 233)- الطوفي، سليمان بن عبد القوي، (ت 716 ه)، ***الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، تحقيق***: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط الأولى، 1426 ه – 2005م،(509).

خير ولد آدم عليه الصلاة والسلام جاء بلسان عربي مبين، وهي لغة القوم الذين خاطبهم الرسول الأمين ﷺ وهو من صميم القوم وأشرفهم، يعرفون نسبه وأخلاقه وسيرته، لقد أرسله الله بالهدى ودين الحق لقومه وللناس جميعاً في كل زمان ومكان حتى لا يكون للناس حجة عليه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

3.2.4 المطلب الرابع: إهانة الله تعالى للكافرين لرفضهم دعوة المرسلين.

كما مر معنا أن الله تعالى أكرم الإنسان بإرسال الرسل لهدايته، وإيصاله إلى رضوانه، فهم الرحمة المرسلة إلى أقوامهم، فأي إهانة أعظم من أن تكون هذه الرحمة سبباً من أسباب هلاكهم وإذلالهم.

أولا: إهلاك قوم نوح وإهانتهم:

فمثلا كان نوح عليه السلام أول نبي أرسل إلى قومه، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وكانوا هم أهل الأرض، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، يدعوهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، فأعرضوا عنه وكذبوه وأصروا على كفرهم واستكبارهم، وطلبوا العذاب، متحدين بذلك نبي الله، فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وأمره بصنع السفينة في البر، والتي ستكون أداة النجاة للمؤمنين[198]، قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [هود: ٣٦ – ٣٧]، فدعا نوح الله سبحانه وتعالى أن ينجيه ومن معه من المؤمنين، وأن يهلك الكافرين، وهذه هي الإهانة العظمى، لأن الأنبياء هم في الأصل بعثوا لدعوة الخلق إلى الله تعالى، وهم الرحمة المهداة من الله تعالى إلى الناس، وهنا أصبح النبي سبباً من أسباب هلاك الكافرين بدعائه عليهم، بعد أن كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده، وكذبوا نبيه فيما أتاهم به من الحق من عند ربه[199]،قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ – ٢٧]، فاستجاب الله تعالى لنبيه، فأمر السماء أن تمطر ومياه الأرض أن تخرج ليكون

---

[198] ينظر: ***الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (12/ 392)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (2/ 447).

[199] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (16/ 319)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (10/ 236).

طوفاناً يغرق أهل الأرض إلا من كان مع نوح في السفينة[200]، قال الله مخبرا عن ذلك : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤].

ثانيا: إهلاك عاد قوم هود وإهانتهم:

وبعث الله هوداً عليه السلام إلى عاد، يدعوهم إلى التوحيد، وأنكر عليهم تمسكهم بالدنيا وزخارفها، ونصحهم فكذبوه واتهموه بالجنون، فحذرهم من سخط الله وعقابه، ولما أيس من إيمان قومه بالله ومن تصديقهم إياه، استغاث بربه من أذاهم إياه، وتكذيبهم له، وهذه الاستغاثة من قبيل الدعاء عليهم، فقال الله له مجيباً في مسألته: عما قليل ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين، وتحداهم جميعاً بآية معجزة وهي أن يكيدوه أو يلحقوا به الضر مع كل قوتهم لأن الله سيحفظه، وهو أشد منهم قوة فلما أصروا على تكذيبه دعا هود عليه السلام عليهم[201]، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۝٤٠ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤١ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٩ – ٤٢]، فنجى الله هوداً والذين آمنوا معه، وحل العذاب بقومه المكذبين، نعم لقد هلكوا وأهينوا بمعاصيهم ودعاء نبيهم عليهم، وهذه من أشد الإهانات .

ثالثا: إهلاك ثمود قوم صالح وإهانتهم:

بعث الله صالحاً عليه السلام إلى ثمود، الذين آتاهم الله رزقاً كثيراً ولكنهم عصوا ربهم وعبدوا الأصنام وتفاخروا بينهم بقوتهم، فدعاهم إلى الله تعالى وجاءهم بالناقة آية على صدقه، فعقروا الناقة، وتحدوه بقولهم إن كنت لله رسولاً إلينا، فإن الله ينصر رسله على أعدائه، وتحدوه بأن يدعو ربه فينزل عليهم العذاب الذي هددهم به[202]، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧٧ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٧٨ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧ – ٧٩]، قال الطبري: «فعجل ذلك لهم كما استعجلوه»[203].

---

[200] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (10/ 263)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (4/ 471) – البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (5/ 159).

[201] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (17/ 45)- السمرقندي، ***بحر العلوم***، (2/ 480)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (5/ 474)- ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (18/ 58).

[202] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (10/ 302)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (14/ 307).

[203] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (10/ 302).

رابعا: إهلاك قوم لوط وإهانتهم:

وبعث الله لوطاً إلى مدينة سدوم من أرض غور زغر، وما حولها من القرى، وفيها أهل من أفجر الناس، فدعاهم إلى توحيد الله وطاعته، والإخلاص له وشكر نعمه، وأنكر عليهم فعل الفاحشة وحذرهم بأنهم متجاوزون لحدود الله بخروجهم عن الفطرة الكريمة، فأصروا على كفرهم وعصيانهم وفاحشتهم، وقالوا معرضين عن الحق: أخرجوا لوطا وأهله من قريتكم؛ إنهم أناس يتنزهون، وتحداه قومه بأن يأتي بعذاب الله إن كان نبياً حقاً، فعند ذلك دعا نبي الله لوط على قومه، ودعا الله أن ينصره عليهم، قال رب انصرني بإنزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم، وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩ – ٣٠]، وجاء أمر الله بإهلاك قوم لوط فأخذهم صوت شديد مهلك، ورفعت قراهم ثم قلبت فصار عالي قراهم سافلها، وأمطر الله عليهم مطراً عظيماً بحجارة من طين متصلب معلمة عند الله بعلامة خاصة، ونجى الله لوطاً ومن آمن معه برحمته[204].

خامسا: إهلاك فرعون وقومه وإهانتهم:

بعد أن دعى موسى فرعون وقومه فلم يستجيبوا له وأرادوا قتله وقتل المؤمنين معه، دعا موسى على فرعون ومن معه، لتكبره عن اتباع الحق وصده عن سبيل الله، ومعاندته، وعتوه، وتمرده، واستمراره على الباطل، بأن يغير أموالهم عن هيئتها، ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها، كما أخبرنا الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]

فاستجاب الله تعالى لنبيه موسى، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩][205].

---

[204] ينظر: ***الماتريدي، تأويلات أهل السنة***، (8/ 224)- السمرقندي، ***بحر العلوم***، (2/ 631)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (3/ 556)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (25/ 50)- الشوكاني، ***فتح القدير***، (4/ 232).

[205] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (12/ 263)- ***الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (2/ 365)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (17/ 292)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (4/ 252).

سادسا: إهلاك المشركين المعاندين للنبي محمد ﷺ وإهانتهم:

وأما نبينا محمد ﷺ فكان الغالب الأعم، من هديه ﷺ هو الدعاء للناس بالخير والهداية، وتغليب العفو والصفح والمسامحة، رجاء أن يكتب الله عز وجل للمخطئ المغفرة، وللضال الهداية، وللمبتلى العفو والعافية؛ ولهذا لا يحفظ عن النبي ﷺ قط أنه دعا على مسلم في حياته، إلا أشياء يسيرة معدودة، في مقامات خاصة، ومن وجوه الجمع التي تقال في هذا المقام أن الدعاء على الكفار أو الدعاء لهم له أحوال؛ فحين يشتد عداؤهم ومحاربتهم للإسلام يدعو عليهم بكف شرهم وهزيمتهم، كما فعل النبي ﷺ يوم الخندق ويوم بدر، وحين يرجى إسلامهم يدعو لهم بالهداية، كما فعل النبي ﷺ مع غفار وأسلم وغيرهما، قال الحافظ ابن حجر: «وأنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم، وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولى حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم كما تقدم في الأحاديث التي قبل هذا بباب والحالة الثانية حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم كما في قصة دوس»[206].

فلم يكن ﷺ لعاناً ولا سباباً لأحد، رغم المواقف الشديدة التي واجهها في حياته بسبب بعض المعاندين والمستكبرين، والقليل الذي خرج عن ذلك الأصل العام؛ إنما كان في حق الأعداء الذين أثخنوا في المسلمين الجراح، واستطالوا في ظلمهم وطغيانهم، واستبدوا على الضعفاء لردعهم عن توحيدهم وإيمانهم، ففي هذه الحالة استعمل النبي ﷺ سلاح المؤمنين، الذي هو الدعاء، وتوجه إلى الله تعالى أن يكفي المسلمين المستضعفين شر هؤلاء الظالمين المعتدين، الذين أسرفوا في الطغيان[207]، فمثلاً في دعائه ﷺ«... اللهمّ اشدد وطأتك على مضر، اللهمّ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[208]، يقول أهل التفسير بعد دعاء رسول الله ﷺ نزلت على رسول الله ﷺ « ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، حين أخذ الله هؤلاء المشركين بالعذاب، وأنزل بهم بأسه وسخطه، وضيق عليهم معايشهم، وأجدب بلادهم، وقتل صناديدهم وأسرهم يوم بدر فما خضعوا لأوامر ونهي ربهم، وما أنابوا إلى طاعته وما تذللوا له، وقد جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ، فقال: «يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز، يعني

---

[206] ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، (773 - 852 هـ)، ***فتح الباري بشرح البخاري، صحيح البخاري***، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، (6/ 108).

[207] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (12/ 263)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (2/ 365)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (17/ 292)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (4/ 252).

[208] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، (رقم 804)،(1/ 160).

الوبر والدم»[209]، وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: «دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: اللّهمّ منزل الكتاب، سريع الحساب، اللّهمّ اهزم الأحزاب، اللّهمّ اهزمهم وزلزلهم»[210]، وهذه المواقف المحدودة – كما ترى – إنما كانت نصرة للمستضعفين من المؤمنين، والتجاء إلى الله تعالى أن يكف عنهم شر الأشرار وكيد الفجار من المشركين. وبين النبي ﷺ أن الله إذا أراد رحمة أمه قبض نبيها قبلها؛ ليكون لها فرطاً وسلفاً، وإذا أراد هلاك أمة عذبها ونبيها حي؛ لتقر عينه بهلكتها[211].

3.2.5 المطلب الخامس: تكريم الله تعالى للإنسان بعنايته به.

أولا: تكريم الله تعالى للإنسان بحبه:

محبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه، وهي من أميز أنواع التكريم التي كرّم بها الله سبحانه وتعالى الإنسان، أن جعله أهلاً لحبّه ورضاه، وصرح له في القرآن الكريم ما يجعله أهلاً لهذا الحبّ، وهذا التصريح كان مطلقا في أمر عظيم وهو اتباع النبي محمد ﷺ اتباعاً مطلقاً قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال التستري: «فجعل المحبة في اتباعه، وجعل جزاء اتباعه محبته لعباده، وهي أعلى الكرامة»[212]، وكان مقيداً عند بعض الصفات التي إذا اتصف بها المؤمن كان ضمن الدائرة التي خصها الله لنفسه بالحب والقرب ،وهذه الصفات هي:

1- الإحسان: وقد جاء في القرآن في عدة مواضع يحمل عدة معان، يجمعها أداء الفرائض، وتجنب المعاصي، وفعل

---

[209] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (17/ 92)،(17/ 93)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(3/ 371)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (3/ 197)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (5/ 424).

[210] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (رقم 2933)،(4/ 44).

[211] مسلم، ***صحيح مسلم***، فعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة، عذبها ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر:، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»، كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها (رقم2288)،(4/ 1791).

[212]، سهل بن عبد الله، (ت 283هـ)، ***تفسير التستري، تحقيق***: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ،بيروت ط: الأولى 1423هـ، (ص79).

النوافل ، وحسن الظن بالله تعالى، مع الثبات على ذلك كله[213]، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] [214].

2- التوبة، وهي الإنابة إلى الله، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته، وتكون التوبة بالقول والعمل والاعتراف بالذنب، متنصلا إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من مخالفة أمره[215]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

3- التطهير: وهي حسية ومعنوية، فالطهارة الحسية تكون من الجنابة والحيض، والنفاس، والأحداث، والتنزه عن الأقذار والأذى، وأداتها الماء والتراب وغيرهما من المطهرات، والطهارة المعنوية من الكفر والشرك والظلم والمعاصي وخاصة ما نهى الله عنه من إتيان الحائض أو في غير المأتى يتنزه المؤمنون عن ذلك، فإن فعلوا شيئا منها بادروا إلى التطهير بالتوبة الصادقة، والإنابة الخالصة[216]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

4- التقوى: والتقي من فعل ما أمرالله ورسوله به، وترك ما نهى الله ورسوله عنه، قاصداً مرضاة الله عز وجل[217]. قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦][218]، قال الطبري: «واتقوا الله أيها المؤمنون في حرماته، وحدوده أن تعتدوا فيها فتتجاوزوا فيها ما بينه وحده لكم، واعلموا أن الله يحب المتقين الذين يتقونه بأداء فرائضه وتجنب محارمه»[219].

---

[213] ينظر: مقاتل، ***تفسير مقاتل بن سليمان***،(1/ 170)- الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق، (ت 161هـ)، ***تفسير الثوري***، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط: الأولى 1403 هـ 1983م، (ص59)- ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (8/ 665) (3/ 326) – السمرقندي، ***بحر العلوم***، (1/ 255).

[214] (آل عمران/ 134، 148)،(المائدة/ 13، 93).

[215] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(1/ 587).

[216] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (3/ 743)،(3/ 744)– الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (3/ 180)،(8/ 575)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (1/ 266)،(3/ 295)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (1/ 441).

[217] ينظر: مقاتل ،***تفسير مقاتل بن سليمان***(1/ 285)،(2/ 157)- الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(3/ 312)،(5/ 514)،(5/ 515)،(11/ 354).

[218] (التوبة/ 4، 7).

[219] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (3/ 312).

5- الصبر المطلق، وهو صبر المؤمن بالمداومة على تنفيذ أوامر الله ورسوله وطاعتهما، والصبر عن المعاصي بكف النفس عنها، والصبر على شكر المنعم سبحانه، والصبر على كل مصيبة تصيبه حتى الوصول لهدفه في طلب الآخرة مع ترك الاعتراض ظاهراً، وترك الكراهة باطناً، والرضا بالقضاء، مع سرور النفس بفعل الله لأن ما يفعل المحبوب محبوب[220]، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ولبيان أهمية الصبر نجد أن الله تعالى ذكره في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن الكريم، يبين فيه سبحانه كرامات الصبر وهي:

أ- محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ب- معية الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ج- صلاة الله تعالى، ورحمته، وهدايته، وبشارته للصابرين، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

د- فوزهم بغرفات الجنة، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

هـ- الأجر المضاعف، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، قال الخازن في تفسيره: « قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصبر فإنه لا يحصر أجره »[221].

---

[220] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(6/ 117) - الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (2/ 502)- القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ) ***لطائف الإشارات***، تحقيق: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط: الثالثة، (1/ 283) - البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 521)- الخازن، علي بن محمد، (ت 741هـ)، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ، (1/ 306).

[221] الخازن، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، (1/ 306).

6- التوكل على الله تعالى، وهو رضا المؤمن بقضاء الله، والثقة به والاستسلام لحكمه، والاعتماد عليه مع إظهار العجز، ليفوز بمحبة الله ونصره وإرشاده،[222].قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

، قال ابن عاشور :«إن الله يحب المتوكلين لأن التوكل علامة صدق الإيمان، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاد الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه وهذا، أدب عظيم مع الخالق يدل على محبة العبد ربه فلذلك أحبه الله»[223].

7- القسط، وهو العدل والانصاف على النفس والأهل والناس جميعا، من غير ميل إلى الحظ، وإعطاؤهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم[224].

قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢][225]، ويعطى المقسطون كرامة فوق كرامة الحب يوم القيامة[226].

8- الجهاد في سبيل الله بصفوف وقلوب متحدة متماسكة، لا يكون فيها خلل، وتكون ذا نظام وترتيب تحصل به المساواة بين المجاهدين والتعاضد ،وإرهاب العدو، وتنشيط بعضهم بعضا ،وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليهم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ فإذا كانت آراؤهم متفقة، وكلمتهم واحدة، وشوكتهم واحدة، فذلك قوة في القتال وزيادة نصرة به، وإن تركوه تفرقوا واختلفت آراؤهم، فيخشى عليهم الهزيمة والإدبار[227].

وقد فهم ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، أن لمعاصي العباد أثراً ، أي أثر في تسليط عدوهم عليهم، ونيلهم منهم ؛ وأن

---

[222] ينظر: مقاتل، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، (1/ 310) - الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(6/ 191)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (4/ 253)- الخازن، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، (1/ 312).

[223] ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (4/ 152).

[224] ينظر: مقاتل، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، (1/ 478)،(4/ 94)- الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (8/ 447)،(22/ 574)- القشيري، ***لطائف الإشارات***،(1/ 425)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (2/ 239).

[225] (الحجرات/ 9)، (الممتحنة/ 8).

[226] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، يبلغ به النبي ﷺ: إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا (رقم6485)،(11/ 24) - مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم (رقم1827)،(3/ 1458).

[227] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(22/610 -611)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (9/ 628)- السمرقندي، ***بحر العلوم***، (3/ 442) - ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (8/ 135) - السعدي، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، (ص858) - الخازن، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، (1/ 238).

أعظم ما ينصر به المؤمنون على عدوهم، صلاتهم، ودعاؤهم ، وإخلاصهم لله جل جلاله، قال أبو الدرداء: « إنما تقاتلون بأعمالكم »[228].

وقد بين رسول الله ﷺ الكرامات التي يحصل عليها من أحبه الله تعالى حينما أخبرنا أن الله تعالى بعظمته يذكر اسم هذا المحبوب لسيد الملائكة جبريل فيأمره أن يحبه، ثم يأمره أن يبلغ أهل السماء بحب الله تعالى لعبده ليحبه أهل السماء بحب الله له، ثم يجعل محبته سارية في أهل الأرض،[229].

قال السمعاني: «واعلم أن محبّة الله العبد، ومحبة العبد الله لا يكون بلذة شهوة، ولكن محبّة العبد في حق الله: هو إتيان طاعته، وابتغاء مرضاته، واتّباع أمره، ومحبة الله في حق العبد: هو العفو عنه، والمغفرة، والثناء الحسن»[230].

ثانيا: تكريم الله تعالى للإنسان بذكره له وتقربه منه:

ويظهر التكريم منه سبحانه للإنسان حال ذكره له، بأن يذكره بحال أعلى شأناً وأعلى مقاماً فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي بالرحمة والمغفرة والرضا والإكرام وقيل: اذكروني في الرخاء والسعة، أذكركم في الضيق والشدة، وقيل: اذكروني في الخلوات، أذكركم في ملأ الناس وأذكركم في ملأ من الملائكة[231]، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، قال الرازي: «أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين، وراجين خائفين ويخلصوا الذكر له عن الشركاء، فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة » [232]، كما يتجلى التكريم منه سبحانه للإنسان بقربه و بتقربه منه، عندما أمر النبي ﷺ أن يبلغ عباده أنه قريب منهم، يسمع دعاءهم، ويجيب دعوة الداعي منهم إذا

---

[228] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الجهاد والسير، باب: عمل صالح قبل القتال، (4/ 20).

[229] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ ، قال: إنّ الله ، عزّ وجلّ ، إذا أحبّ عبدا دعى جبريل عليه السلام، فقال : يا جبريل، إنّي أحبّ فلانا فأحبّه ، قال : فيحبّه جبريل ، عليه السّلام ، قال : ثمّ ينادي في أهل السّماء : إنّ الله يحبّ فلانا ، قال : فيحبّه أهل السّماء ، ثمّ يوضع له القبول في الأرض (رقم 9352)،(15/ 205)- مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده (رقم 2637)،(4/ 2030).

[230] السمعاني، ***تفسير القرآن***، (1/ 311).

[231] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (2/ 696-695)،(18/ 412) - الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (1/ 595) - ينظر: السمرقندي، ***بحر العلوم***، (1/ 104)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (4/ 124).

[232] الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (4/ 124).

هم استجابوا له بالطاعة، وأن لهم من وراء طاعتهم له الثواب عليها وإجزاله الكرامة لهم عليها، [233]،قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، قال الزمخشري: «فإنّي قريب تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه، فإذا دعا أسرعت تلبيته»[234]، وفي الآية أسرار عظيمة تملؤها الكرامة والشرف لمن تحقق بالعبودية الحقيقية لله تعالى، فلم يقل الله تعالى فقل لهم، بل قال الجواب بنفسه فلا حاجة للواسطة في هذا المقام، ولغرابة الخبر وهو أن يكون تعالى قريبا مع كونهم لا يرونه أكد لهم ذلك (بإن) المؤكدة، فمن كان هذا مقامه عند سيده فإنه لا يطرد و لا يبعد عن فضله ورحمته [235].

وقد جاء ذلك مفصلاً ومبيناً في الحديث القدسيّ الّذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[236].

ثالثا: تكريم الله تعالى للإنسان بحفظه ورعايته:

ومن مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان، أن يحظى برعاية الله عزّ وجلّ وحفظه، وحفظ الله لعبده يتضمن أن يحفظ له دينه ودنياه، فيحفظ عليه دينه وإيمانه؛ في حياته من الشبهات المردية، والبدع المضلة، والفتن المزلة ،والشهوات المحرمة، وذلك بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ، الذي ثبت في قلبه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإسلام، ويحفظه في القبر بتثبيته عند السؤال، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال البغوي: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله في الحياة الدنيا، يعني قبل الموت، وفي الآخرة، يعني في القبر هذا قول أكثر

---

[233] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (3/ 226)- الماوردي، ***النكت والعيون***، (1/ 243)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (1/ 228)

[234] الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (1/ 228)

[235] ينظر: الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (1/ 94)،(5/ 264) - السعدي، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، (ص87)- ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، (2/ 179).

[236] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (رقم 2675)،(2061/4).

المفسرين»[237]، ويحفظ عليه دنياه بأن يحفظ له جسده، وأهل بيته، وأحبابه، وماله ،وذلك بأن يقوم بحقوق الله مع الإخلاص، و ترك كل شيء يكرهه الله تعالى، فمن فعل ذلك، حفظه الله ورعاه، وتكفل مصالحه في دنياه وأخراه، وخلصه من السوء والمعاصي والفحشاء، وسخر له الملائكة لحفظه، قال تعالى: ﴿إِنكُلُّنَفۡسٖلَّمَّاعَلَيۡهَاحَافِظٞ﴾ [الطارق: ٤]، وحفظه من وساوس وإغواء، وكيد الشّيطان بتعليمه الاستعانة برب العباد، يقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّايَنزَغَنَّكَمِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِنَزۡغٞفَٱسۡتَعِذۡبِٱللَّهِۖإِنَّهُۥهُوَٱلسَّمِيعُٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وعلّمنا ربّنا كيف نستعيذ به من الشّيطان ومن كلّ شرّ في المعوّذتين: قل أعوذ بربّ الفلق وقل أعوذ بربّ النّاس .

ويعلمنا رسول الله ﷺ كيفية الوصول إلى حفظ الله تعالى ورعايته لنا، وذلك يكون بأن نحفظ نحن أوامر الله وأحكامه بتطبيقها، بكل أنواعها عقيدة وأحكاماً وآداباً، وذلك في الحديث الذي يرويه عنه عبد الله بن عباس أنه حدث أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال له رسول الله ﷺ : "يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضيّروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصّحف »[238].

3.2.6 المطلب السادس: إهانة الله تعالى للإنسان بترك العناية به.

وبالمقابل فإنه يوجد أصناف أخرى من الناس لا يحبهم الله تعالى، و لا يتقرب منهم ولا يذكرهم ولا يرعاهم ولا يحفظهم، وأي اهانة أعظم من أن يفقد الإنسان مكرمات من الله تعالى نالها منه غيره.

أولا: إهانة الله تعالى للذين لا يحبهم:

ذكرهم الله في القرآن الكريم وهم:

---

[237] البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(3/ 38).

[238] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن العباس بن عبد الطلب، (رقم 2669)،(4/ 409)- الترمذي، ***سنن الترمذي***، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط: الثانية، 1395 هـ - 1975 م ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (رقم2516)،(4/ 667).

1- المعتدون، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عدة[239]، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، قال المفسرون: «وهم الذين يجاوزون حدوده الله تعالى، فيعتدون بتحريم ما أحل الله تعالى، من طعام أو نكاح أو نوم أو يستحلون ما حرمه الله عليهم، كأن يدعوا بما لا يحل أو يدعوا على أحد باللعن والخزي أو كقتل الذين حرم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم، أو قتل من أعطى الجزية من أهل الكتابين والمجوس»[240].

2- الظالمون، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عدة[241]، منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، قال المفسرون: «الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن أخذ ما ليس له أخذه فهو ظالم، والظالمون هم الذين يظلمون أنفسهم ظلما أكبر كالشرك والكفر والنفاق، أو ظلما دون الأكبر وهي ما بقي من المعاصي والآثام بمختلف أنواعها، والذين يظلمون غيرهم من مخلوقات الله عز وجل بأي نوع من أنواع الظلم فهؤلاء لا يرحمهم الله عز وجل، ويبغضهم ويعذبهم ولا يقربهم ولا يثني عليهم خيرا»[242].

3- الخائنون، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عدة[243]، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، قال المفسرون: «الخائن هو الذي يخون عهده(عقده) أو ينقضه، وكل خيانة مذمومة عند الله تعالى بجميع صورها ومظاهرها، وأعظم الخيانات، خيانة العقيدة والإيمان، فهي فعل المنافقين، فإذا حصلت الخيانة زال سمت الأمانة، وخيانة كلّ أحد على ما يليق بحاله، ومن ضنّ بميسور له فقد خان في عهده، وزاغ عن جده، وعقوبته معجّلة، فهو لا يحبّه الله، وتكون عقوبته بإذلاله وإهانته، ولله تعالى أمانة في سمعك وبصرك ولسانك وفرجك، وظاهرك وباطنك، عرضها عليك، فإن لم تحفظها خنت الله»[244].

---

[239] (البقرة 190)،(لأعراف55).

[240] ينظر: مقاتل، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، (1/ 499)- الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (3/ 291) (8/ 614)- السمرقندي، ***بحر العلوم***، (1/ 522).

[241] (آل عمران140)،(الشورى 40).

[242] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (20/ 526) - الخازن، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، (1/ 253)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (7/ 194).

[243] (البقرة: 177)،(آل عمران: 76) (النساء 107)،(المائدة: 1)،(الإسراء: 34)،(الحج 38) (المؤمنون: 8)،(الصف: 2)

[244] ينظر: التستري، ***تفسير التستري***، (ص56)- الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(11/ 238)- الزجاج، ، إبراهيم بن السري، (ت 311هـ)، ***معاني القرآن وإعرابه***، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ط: الأولى 1408 هـ - 1988م

قال أبو زهرة: «والله تعالى لا يحب الخيانة وقد أكد نفي محبة الله تعالى للخيانة بالجملة الاسمية، وبـ " إن "، ونفي المحبة أبلغ في النهي؛ لأن محبة الله مطلوبة فإذا كانت الخيانة لا تؤدي إليها فهي منهي عنها نهيا شديدا مؤكدا»[245].

وعدّ رسول الله ﷺ الخيانة، من خصال النفاق[246]، وقد كان رسول الله ﷺ والصحابة الكرام، المثال المحتذى في الإيفاء بالعقود والعهود، واستفاضة ذلك مما يعلم، كعهوده مع اليهود والمشركين وغيرهم، ومن درس صلح الحديبية، تعجب من شدة الإيفاء وتعلم أن الصدق هو طريق الفتح والنصر.

4- المختال والفرح الفخور، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عدة[247]، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، قال المفسرون: «وهو كل متكبر بطر خداع غدار متبختر في مشيته بما أوتي من الدنيا، يفرح فرحاً مطغياً إذا رزق مالاً وحظاً من الدنيا يفتخر على الناس به تكبراً، و لا يشكر الله عليه ويبخل بإخراج حق الله الذي أوجبه عليه، ويشح به، وهو مع شحه به أيضا يحمل الناس على البخل ويرغبهم في التمسك به» [248]، وقال القشيري: «ومن علم أنّ مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا يتطاول بل يتخاضع ويتضاءل»[249]، وفي القرآن الكريم كانت الإهانة والعذاب والخزي على من اتصف بهذه الصفة، وقصة قارون واضحة بينة فيه، قال تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]، ويأتي التأكيد مرة ثانية من رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم حينما أخبرنا عن الرجل الذي كان يتبختر في لباسه حينما خسف

(2/ 420)- السمرقندي، ***بحر العلوم***، (2/ 28)- القشيري، ***لطائف الإشارات***،(1/ 634)- رضا محمد رشيد، ***تفسير المنار***،(10/ 45).

[245] أبو زهرة، ***زهرة التفاسير***، (6/ 3172).

[246] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (رقم 34)،(1/ 16) مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (رقم 106)،(1/ 78) عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع، من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر».

[247] (النساء 36)،(الحديد 23)،(القصص76).

[248] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (22/ 422-423)- الزجاج، ***معاني القرآن وإعرابه***، (5/ 128) - الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (8/ 309-311)- السمرقندي، ***بحر العلوم***، (3/ 26)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (4/ 480)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (25/ 122).

[249] القشيري، ***لطائف الإشارات***، (3/ 132).

الله به الأرض[250].

5- المفسدون، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في موضعين[251]، منهما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، وهم الذين يمارسون الفساد بنوعيه المادي والمعنوي، بتعاملهم مع الله تعالى أو مع المخلوقات، منهم المشركون والكافرون من أهل الكتاب وغيرهم، وأهل المعاصي عموماً الذين يسعون في الأرض من قتل وتخريب وسرقة وأكل حقوق الناس، وإن الله تعالى لا يحب هذا العمل ولا يرضاه ويمقت صاحبه فلا يصلح عمله، ولا ينجح سعيه؛ لأنه مضاد لحكمته في صلاح الناس وعمران البلاد، لا يكرم صاحبه بل يهينه ويبعده من حظيرة قربه، ونيل مودته ورحمته حتى إذا طغوا وبغوا أرسل الله عليهم شدائد الجزاء وأفضل أمثلة الفساد القديم والمعاصر فساد اليهود قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، قال أبو زهرة: «فالله تعالى لا يحبهم كما يزعمون ويتوهمون إذ يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه؛ لأنه سبحانه وتعالى يحب من يعمر الأرض، ولا يفسدها، وأولئك تجار الحروب يفسدون ولا يصلحون، ألم تر أنهم يمنعون كل صلح بين الناس ليتمكنوا من الكسب في صناعة أدوات الحرب، وليستعيدوا مهمتهم في إفساد ما بين الناس»[252].

6- الكافرون[253]، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، قال المفسرون: «وهم الذين أعرضوا عن الإيمان بالله تعالى وطاعته، وكذبوا بأسمائه وصفاته، وجحدوا بالحق الذي جاء به رسلهم وأنبيائهم، وأنكروه بعد علمهم، وعلى رأسهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين بدلوا وحرفوا ما أنزل إليهم، وكفروا بآخر رسل الله محمد عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، فأولئك لا يرضى الله تعالى فعلهم، لا يحبهم، ولا يثني عليهم ولا يغفر لهم و لا ينعم عليهم برحمته، لأنه تعالى إنما أوجب

---

[250] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: بينما رجل يتبختر في بردين – وقد أعجبته نفسه – خسفت به الأرض، فهو يتجلجل فيها حتى يوم القيامة (رقم 8177)،(13/ 509)- مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (رقم 2088)،(3/ 1654).

[251] (المائدة 64).

[252] أبو زهرة، ***زهرة التفاسير*** (5/ 2283).

[253] (الروم45).

الثناء والمدح لمن أطاعه، ومن كفر استوجب الذلة والإهانة، وذلك ضد المحبة» [254].قال الراغب الأصفهاني: «من تولى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبب إليه بتولّيه عنه، فمحال أن يحبه، فصار تقديره: إنكم إذا كفرتم بالإعراض عنه وعن رسوله، فإنه لا يحبكم. وفي ذلك إبطال دعواهم، حيث قالوا: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨] [255].

7- المسرفون، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في موضعين[256]، منهما قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال المفسرون: «الاسراف: هو الخروج عن حد الاستواء وأواسط الأمور، إفراطا أو تفريطا، أو هو الإخطاء بإصابة الحق في العطية، إما بتجاوز حده في الزيادة وإما بتقصير عن حده الواجب، والمسرفون صنفان :

صنف يسرف بأكل الحرام، كمن منع الصدقة والحق الذي أمر الله رب المال بإيتائه أهله، أو أن يأخذ السلطان من رب المال فوق الذي ألزمه الله به، أو أن يسرف بارتكاب المعاصي كالمشركين الذين خالفوا أمر الله في طوافهم عراة يصفقون ويصفرون، وكالذين ينفقون أموالهم من المؤمنين في غير ما أباحه الله تعالى لهم، قال مقاتل: الإسراف الإشراك، وقال ابن زيد: الإسراف أكل الحرام، وهذا الصنف اتفق العلماء على تأثيمه.

والصنف الثاني: يسرف في الحلال أخذاً أو منعاً، كالإسراف في الأكل من الحلال فوق الحاجة أو التضييق في أكل الحلال لدرجة التحريم أو مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف برب المال، وهذا الصنف للعلماء في حكمهم قولين الأول على تأثيمهم، وذلك لأن اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١ الآية، وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]،تقتضي النهي عن السرف مطلقاً قاله ابن عطية.

---

[254] ينظر: مقاتل، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، (1/ 271)،(3/ 418)- الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (5/ 327)- الزجاج، ***معاني القرآن وإعرابه للزجاج*** (1/ 398)- ينظر: السمرقندي، ***بحر العلوم***، (1/ 206)- الثعلبي، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، (8/ 243) - الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (8/ 198).

[255] الراغب، ***تفسير الراغب الأصفهاني*** (2/ 520).

[256] (الأعراف31).

الثاني: على عدم تأثيمهم قال ابن عباس: ليس في الحلال سرف إنما السرف في ارتكاب المعاصي، وقال مجاهد: لو كان أبو قبيس لرجل ذهباً فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان مسرفاً، وقال إياس بن معاوية: كل ما جاوزت فيه أمر الله فهو سرف »[257]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، قال الطبري: «يقول: إن الله لا يحب المتعدين حده في حلال أو حرام، الغالين فيما أحل الله أو حرم بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به»[258].

8- المستكبرون، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، قال الطبري: «إن الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه، ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد»[259]، إذن هم الذين يستكبرون عن عبادة الله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادة، ومن يتأمل ما لا يحبه الله يجد أنه في معظمه خروج الفرد عن المجتمع الذى يعيش فيه سواء بالظلم أو الاعتداء أو الإفساد.

ثانيا: إهانة الله تعالى للإنسان بترك ذكره ونسيانه:

ومن الإهانة أيضا أن لا يذكر اللهُ بعضَ الناس، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦]، ونسيانه سبحانه للعبد، إهماله وتركه، وتخلّيه عنه، وإضاعته، ونسيانه، وهو أمر مهلك له.

وأما إنساؤه نفسه: فهو إنساؤه لكل أمر ينفعها، ولكل أمر يهينها ويدنيها، وهذا من أعظم العقوبة العامة والخاصة، فأي عقوبة أعظم من عقوبة من أهمل نفسه وضيعها[260]، والقرآن يبين في غير موضع أن الله لا يهلك قوما إلا بالمعاصي، ولا يوجد قرية أو قبيلة أو بلدة صالحة وجاءتها عقوبة عامة، قال الله عن سبأ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

---

[257] ينظر: مقاتل، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، (2/ 34)- الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (9/ 614)،(9/ 616)،(10/ 156)- الزجاج، ***معاني القرآن وإعرابه للزجاج***، (2/ 333)- - الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (4/ 280)،(4/ 286)- السمعاني، ***تفسير القرآن***، (2/ 178)- ابن حيان، ***البحر المحيط في التفسير*** (4/ 670)،(5/ 41) -ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (3/ 155).

[258] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (10/ 156)

[259] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (198/14).

[260] ينظر: ابن قيم، ***الجواب الكافي***، (ص104).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، ومن إهانة الله للعبد في الدنيا أن تكتب له البغضاء في الأرض حتى ليبغضه الخلق والمخلوقات ، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « ..... وإن الله عز وجل إذا أبغض عبدا دعى جبريل، فقال: يا جبريل، إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، قال: ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض»[261].

وعن أبي قتادة بن ربعيّ ، أنّه كان يحدّث؛ أنّ رسول الله ﷺ مرّ عليه بجنازة ، فقال : مستريح ومستراح منه ، قالوا : يا رسول الله ، ما المستريح والمستراح منه ؟ قال : العبد المؤمن يستريح من نصب الدّنيا وأذاها إلى رحمة الله ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشّجر والدّوابّ[262].

وأستطيع أن أقول: أن الله تعالى أكرم الإنسان بتسخير ما في الكون لخدمته من بداية خلقه، ومن أجل أن يستمر في إكرامه هيء له سبل الهداية، من العناية به و إرسال الرسل إليه، فإذا أطاع ربه، وامتثل لأوامره، استمر هذا التكريم، وإن عصى ربه انقلب هذا التكريم عليه عذاباً وعقاباً وإهانة، وتخلى الله تعالى عن العناية به، وما ذلك إلا بسوء عمله، وبعده عن ربه، وما ربك بظلام للعبيد.

---

[261] مر تخريجه صفحة 87.

[262] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، حديث أبي قتادة الأنصاري (رقم 22517)،(37/ 269)- البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (رقم 6512)،(8/ 107)- مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه (رقم 61)،(2/ 656).

4. الفصل الثالث: الإنسان (المسلم) بين التكريم والإهانة الدنيوية بعلاقاته مع نفسه وغيره ويتضمن مبحثين.

وجه الله سبحانه وتعالى الإنسان أن يسعى جاهداً لإكرام نفسه ويبعدها عن الذل والمهانة، وبين له طرق هذا التكريم من خلال كتابه الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، ومن هذه الطرق، أن يكرم عقله بالعلم والمعرفة، والتأمل والتدبر، والابتعاد عن الخرافات والأوهام، وأن يكرم جوارحه بالعبادة والطاعة، والابتعاد عن المعاصي والشهوات، ويحفظ نفسه ويزكيها عن الغفلات ويحليها بمكارم الأخلاق، ويرفع ذل الحاجة عن نفسه بالأخذ بالأسباب، وأن يكرم الإنسان قلبه بالإيمان والتوكّل على الله تعالى ومحبته وغير ذلك من أنواع التكريم، وبين له أيضا أن ترك هذه المكرمات وارتكاب ما يخالفها من المعاصي والآثام سوف يسبب له المهانة والإذلال وذلك ما سأبين شيئاً منه في هذا الفصل والله تعالى المستعان.

4.1 المبحث الأول: تكريم وإهانة الإنسان لنفسه.

4.1.1 المطلب الأول: تكريم الإنسان لنفسه بالعلم والمعرفة.

مر معنا أن الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان عند خلقه بأن زوده بأدوات العلم والمعرفة من عقل وحواس كوسيلة لتحقيق أهداف متعددة منها، تحصيل العلم الذي هو أساس القيام بكل ما أمر به من عمل، قال سبحانه : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد: ١٩]، قال الحسين بن الفضل:« فازدد علما على علمك»[263]، وقال عبد القاهر الجرجاني: «الأمر بالاستقامة على العلم»[264]، قال السمعاني: «الخطاب مع الرّسول، والمراد منه الأمة»[265]، ومن شدة أهمية العلم، ومحبة الله له، ورفعة مكانة أهله عنده، نجد أن الله تعالى يعطف أهل العلم في الإقرار بشهادة الحق، على نفسه الكريمة وعلى ملائكته المكرمين، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً وتكريماً، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ

---

[263] الثعلبي، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، (24/ 188)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (4/ 215).

[264] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت 471 هـ)، ***درج الدّرر في تفسير الآي والسّور***، تحقيق: ، (الفاتحة والبقرة)، وليد بن أحمد بن صالح الحسين ، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008م (4/ 1543).- الكرماني، ***لباب التفاسير*** ، (ص2880)

[265] السمعاني، ***تفسير القرآن***، (5/ 177)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(4/ 215)- الكرماني، ***لباب التفاسير***،(ص2880).

ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]،كما أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ في القرآن الكريم أن يطلب منه سبحانه الاستزادة من العلم، ولم يأمره بطلب الاستزادة من شيء آخر، مما يدل على شرف العلم ومكانته، فقال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، قال الطبري: «وقل يا محمد: رب زدني علماً إلى ما علمتني، أمره بمسألته من فوائده العلم ما لا يعلم»[266]،وقال السمرقندي: «وقل رب زدني علماً، يعني: زدني علما بالقرآن، معناه: زدني فهما في معناه»[267]، إذن يرشدنا الله تعالى إذا أردنا الكرامة لأنفسنا والرفعة عنده أن نتجه إلى العلم فنحصله ونعمل به، وذلك بأن نتفكر ونتأمل ونتدبر في ملكوت الله عزّ وجلّ ونعمه الّتي لا تعدّ ولا تحصى، وفي آية أخرى يمتن الله تعالى على نبيه ﷺ أنه أنزل عليه الكتاب، ووهبه الحكمة في تفصيل أحكامه، وعلمه من أنواع العلم مالم يكن يعلمه من ما كان وسوف يكون، وكل ذلك هو كرم وفضل من الله عليه ﷺ[268]، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣]، إذن العلم من فضل الله تعالى، لذلك فهو إكرام وشرف ورفعه لكل من يحمله ويعمل به، وقال أيضا سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١ – ٢]، فجعل هذه النعمة مقدمة على جميع النعم التي ذكرها بعد ذلك في تكملة السورة، فدل على أنه أفضل من غيره من نعم الله تعالى التي لاتعد ولا تحصى، قال قتادة: « العلم نعمة من الله، لولا العلم لم يقم دين ولم يصلح عيش»[269]، وكذلك ذكر الله تعالى عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم ما يبين تميزهم بالعلم، فقال سبحانه وتعالى عن لوط عليه السلام في مقام المدح والامتنان : ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وكذلك عن يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، وكذلك عن داود وسليمان عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، ليفتخر سليمان عليه السلام بتكريم الله له بالعلم، ويقدمه بالتفاخر على ملك الأرض الذي أعطاه الله إياه، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، وكذلك عن

---

[266] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (16/ 181).

[267] السمرقندي، ***بحر العلوم***، (2/ 414).

[268] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (7/ 480)- ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (2/ 363).

[269] الثعلبي، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، (10/ 245).

موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]، ومع ذلك لم يكتف موسى عليه السلام بما أعطي من هذه المكرمة، بل طلب الاستزادة منها، عندما طلب من الخضر أن يعلمه، مما علمه الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فإذا علمنا ما طلبه الأنبياء من علم ومعرفة، وما افتخروا به منهما، يقصدون بذلك الرفعة والشرف والكرامة، فيستحسن بالمؤمن أن يطلب العلم لنفسه، وأن يفتخر بمعرفة ربه، ليصبح بذلك من ورثة أهل الرفعة والشرف والكرامة، وإن استفتاح رسالة الإسلام بآية العلم ممزوجة بصفة الله تعالى الأكرم، دلالة على أن هذا العلم هو أشرف من غيره، لأنه نتيجة صفة الله المكرم، وهذا تكريم من الله تعالى للإنسان، كما أن أمر الله نبيه بالقراءة، وامتنانه على الإنسان بالعلم، ليعطي للعلم رفعة ومكانة وكرامة، وذلك لأنه سبحانه لا يأمر بفعل أمر إلا وفيه رفعة، ولا يأمر بترك شيء إلا وفيه خسة ووضاعة، ولا يمن إلا بالمكرمات، قال تعالى : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ – ٥]، «فمتى ما تعلّم المرء كيف يقرأ باسم ربّه الكريم كرّم عقله وروحه بمعرفة الله عزّ وجلّ في كلّ شيء يراه »[270]، وأثبت سبحانه هذا التكريم عندما أثنى على أهل العلم بمعرفتهم لخالقهم، ومعرفتهم لآياته ومخلوقاته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، المعنى: «أن أشد الناس لله عز وجل خيفة أعلمهم بالله تعالى لأنه يتقي عقاب الله تعالى بطاعته، وهم يعلمون أن الله على كل شيء قدير، ومن المعروف في الآثار: رأس العلم خشية الله»[271].

وقد بين الله تعالى أيضا أن أهل العلم المخلصين، هم أهل السيادة والكرامة في الأرض وأهل المراتب في الجنة، عندما قرن خشيته بالعلم، وربط صفة أهل الجنة بالخشية فقال في الأولى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال في الثانية: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]، ثم يربط سبحانه وتعالى بين الرفعة بالدرجات يوم القيامة في الجنة مع الرفعة بالعلم ليتمايز العلماء على غيرهم، بما نالوه من كرامة علمية، ويتمايزوا أيضا فيما بينهم بعلو الدرجة لمن تمايز عن غيره بالدرجة العلمية بشرط وجود العمل والخشية التي هي نتيجة الإخلاص وحسن النية، قال تعالى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ

---

[270] ***نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم***، (4/ 1142).

[271] ينظر: مقاتل، ***تفسير بن سليمان***، (3/ 557)- الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (19/ 364)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (8/ 485)- السمعاني، ***تفسير القرآن***، (4/ 357).

أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، قال الطبري: «ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به»[272]، والآيات في بيان كرامة العلم وشرفه ورفعته كثيرة أكتفي منها بما ذكرت والله ولي التوفيق.

والناظر في سنة رسول الله ﷺ، ليجد الأمر والحض على طلب العلم والعمل به مستفيضا، «كطلب العلم فريضة على كل مسلم»[273]، و« من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدّين »[274]، و«فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، و أن العلماء ورثة الأنبياء، وطلب العلم طريق إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في الماء»[275]، وغيرها من النصوص المستفيضة والتي تطلب من أبوابها، كما ويفرض الإسلام إلى تعلم سائر العلوم التي تحتاجها الأمة فرضا كفائياً، والعلوم الضرورية الشرعية لكافة المؤمنين فرضا عينياً، فمن علم وفقه ذلك، جعل هدفه الأسمى أن يكون ضمن هذه الزمرة المزكاة من الله تعالى ورسوله ﷺ، محققاً لشروط هذه التزكية، من نية حسنة وإخلاص وغيرها، ليصبح أهلا لتكريم الله تعالى له، وساحات العمل واسعة في كل المجالات العلمية والعملية التي تحتاجها أمتنا، فأسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل العلم والعمل الحقيقيين لننال الكرامة والتشريف في الدنيا والآخرة.

---

[272] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (22/ 480).

[273] ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (رقم224)،(1/ 151) قال المحقق: حديث حسن بطرقه وشواهده.

[274] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، (رقم71)،(1/ 25)- مسلم، ***صحيح مسلم***، ، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، (رقم 1037)،(2/ 718).

[275] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (14/ 66)، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط البخاري- ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (رقم 223)،(1/ 150)قال المحقق: حسن بشواهده- الترمذي، ***سنن الترمذي***، أبواب العلم، باب فضل طلب العلم، (رقم2646)،(5/ 28)، قال الألباني: صحيح.

4.1.2 المطلب الثاني: إهانة الإنسان لنفسه بترك العلم والمعرفة:

مر معنا أن الله تعالى وجه الإنسان أن يكرم نفسه بالعلم والمعرفة، فهي أعلى المنازل وأكرمها، وبين سبحانه أن هذه المكرمة لها شروط إذا اختل أحد منها انقلبت الكرامة إلى إهانة وذم، وقد ذكر لنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم آيات ذم فيها الجهل والجاهلين، وبين إذلال أهله وإهانتهم، كما ضرب لنا سبحانه في القرآن الكريم أمثلة على من ترك العمل بالعلم كيف سيناله الذل والتوبيخ والإهانة، وجعل من هذه الأمثال عبرة وعظة للعالمين، قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، قال الزمخشري: «في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني»[276]، وترك العلم والمعرفة في القرآن ثلاثة أضرب:

الأول: ترك العلم ليكون الإنسان في مصاف الجهلاء، فيصبح عرضة للفساد والإفساد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف أصله قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

الثالث: ترك العمل بالعلم، عالماً كان به أو جاهلا[277]، وهذا أخطر الأقسام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وهذا باب عظيم كتب فيه العلماء الشيء الوافر، أنقل طرفا منه وبالله التوفيق والسداد.

ذم الله سبحانه وتعالى الجهل والجاهلين في القرآن الكريم، وأهانهم بأن وصفهم بأوصاف الذل والخسة والإهانة، فوصفهم بأنهم جاهلون[278]، وكاذبون[279]، ولا يعلمون[280]، ولا يفقهون[281]، وظالمون[282]، وعذابهم مهين[283]، وقد ثبت

---

[276] الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (2/ 553).

[277] ينظر: الراغب الأصفهاني، ***المفردات في غريب القرآن***، (ص209)

[278] (هود/29)،(هود/46)،(النمل/54,55)،(القصص/55)،(الأحزاب/72)،(الزمر/46)،(الأحقاف/21، 23)

[279] ينظر: الراغب الأصفهاني، ***المفردات في غريب القرآن***، (ص209).

[280] (يوسف/40)،(النحل/74,75)،(الروم/6,7)،(الروم/29، 30)،(الروم/58، 59)،(لقمان/25)

(سبأ/28)،(سبأ/36)،(الزمر/29)،(غافر/57)،(الدخان/38، 39)،(الجاثية/26)،(الطور/47)،(المنافقون/7، 8)

[281] (الفتح/15).

[282] ينظر: الراغب الأصفهاني، ***المفردات في غريب القرآن***، (ص209).

هذا الوصف المهين للأقوام الهالكين، مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وبني إسرائيل وكفار قريش، وارتبط الجهل مع ما فعلوه من خصال ذميمة، فقوم نوح طلبوا من نوح أن يطرد المؤمنين من قومه ويتخلى عنهم، لأنهم فقراء لا يملكون مالا ولا جاهاً، فنظروا إلى من آمن منهم نظرة ازدراء واحتقار وذلك لجهلهم[284]، وقوم هود بجهلهم استعجلوا عقاب الله تعالى فأهلكوا[285]، وقوم لوط بسبب جهلهم شذوا عن الفطرة [286]، وقوم موسى بجهلهم جعلوا الهزء في موضع الجد في قصة البقرة، وطلبوا من رسولهم أن يجعل لهم صنما يعبدونه ويعكفون عليه[287]، وكفار قريش بجهلهم طالبوا رسول الله ﷺ بالمعجزات المادية مع أنه أتاهم بأعظم معجزة وهي القرآن العظيم[288]، فبذلك يتوضح لنا وجود العلاقة المتلازمة بين الجهل والذل والإهانة، فحيثما وجد أحدهما وجدنا الآخر، فنعوذ بالله تعالى منهما.

ومن الأمثلة القرآنية التي تظهر إهانة الله لمن ترك أوامره ولم يعمل بما علمه:

1- قوله تعالى : ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]

قال المفسرون: « اختلف أهل التفسير في تعيين الشخص الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، على أقوال متعددة، لعدم وجود سند مقبول يعتمد عليه في تعيينه، والله أعلم به، والمهم هو مغزى قصته لا شخصه، لأن شخصه لا يتعلق بتعيينه غرض، فلذا غفل القرآن ذكر اسمه، ولكنهم اتفقوا على أنه رجل آتاه الله العلم والدلائل والبراهين فصار عالماً كبيراً، لكنه ترك العمل بما علم كلياً ونبذه وراء ظهره ولم يعره التفاتاً وتفكراً، فتسلط عليه الشيطان بالوسوسة والغواية، وصار قريناً وملازماً له، فصار من الراسخين في الغواية والضلال بإعراضه عن الآيات البينات التي آتاه الله إياها بعد أن كان من الراشدين المرشدين، وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه فمال إلى الهبوط بسوء اختياره، وذلك بالإعراض عن تلك الدلائل الواضحة، فانحط أبلغ انحطاط وارتدّ أسفل سافلين، وحرم بذلك من مشيئة الله هدايته، بالتزامه بالعمل بآياته، فصفة وحال هذا العالم في الخسة والدناءة كصفة وحال أخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله، وهي اللهث دائماً في حالتي الراحة والتعب، إن تطارده بالضرب والإهانة يخرج لسانه من آثار الإرهاق والمطاردة وإن تتركه

---

[283] (لقمان/6).

[284] (هود/27، 28).

[285] (الأحقاف/22، 23).

[286] (النمل/54، 55)

[287] (البقرة/67)،(الأعراف/138).

[288] (الأنعام:111).

دون مطاردة وإيذاء يخرج لسانه كذلك، فشأنه واحد في الحالين، كذلك شأن ذلك العالم الذي آتاه الله علم آياته ولم يعمل بعلمه، فإنه لم ينتفع بما علمه سواء وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال، فهو في الحالين باق في ظلمات الجهل، وهذه صفة وحال كل الذين كذبوا بآيات الله بعد أن ساقها الله إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوائهم على الله، واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من الله، فلحقهم الذم لهذا الوصف القبيح، قبحاً مثل حال المكذبين لآياتنا التاركين لها عناداً واستكباراً مع وضوحها، وقد ظلموا أنفسهم دون غيرهم حيث عرضوها للعذاب والعقاب بسبب ما اختاروا من التكذيب والعصيان »[289].

2- قوله تعالى : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، قال المفسرون: «يقول تعالى ذاماً لليهود والنصارى، الذين أعطوا التوراة فقرؤها وفهموها وحفظوا أحكامها، ولكنهم لم يؤدوا حقها ولم يعملوا بما فيها ولم ينتفعوا بها، أن مثلهم في ذلك كمثل الحمار إذا حمل كتباً كباراً من كتب العلم، لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً وفهموه ولم يعملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، ومعلوم أن في كتبهم كانت الآيات الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ، والبشارة بمقدمه، والدخول في دينه فهم أسوأ حالاً من الحمير، لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، وإن هذا التمثل لإظهار الجهل والبلادة التي اتصفوا بها، وذلك في الحمار أظهر، ومنها: أن في الحمار من الذل والحقارة مالا يكون في الغير، والغرض من الكلام في هذا المقام تعيير القوم بذلك وتحقيرهم، فيكون تعيين الحمار أليق وأولى، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ [المدثر: ٥٠]، شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة والهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم، بحمر جدت في نفارها مما أفزعها وجدّ في إهلاكها وعقرها، وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم، وقال أيضا سبحانه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال تعالى هاهنا: ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]»[290]، قال الطبري: «بئس هذا المثل، مثل القوم الذين كذبوا بآيات

---

[289] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (10/ 566)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(2/ 252)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (2/ 178)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (7/ 319).

[290] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (22/ 633)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (4/ 530-656)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (30/ 540-539)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (8/ 143).

الله، يعني بأدلته وحججه. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، يقول تعالى ذكره: والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بآيات ربهم»[291].

وأستطيع القول: أن العلم والإيمان هما طريقا الإنسان لأن يكون طائعاً لله تعالى ولرسوله ﷺ، ليصل بذلك إلى حالة الطمأنينة والسكينة، والخضوع والاستسلام، للمولى عز وجل، فيكرمه الله تعالى ويرفعه ويشرفه، وإن الجهل وترك العمل بالعلم، هما طريقا الإنسان، لأن يكون عاصياً لله تعالى ولرسوله ﷺ، ليصل بذلك إلى حالة الاضطراب والتخبط، والتكبر، وعدم الانقياد والتسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ، وهذه إهانة لاشك فيها، قال ابن كثير: «قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل، وقرأ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٩] »[292].

4.1.3 المطلب الثالث: تكريم الإنسان لنفسه بالعبادة والطاعة:

المتدبر لآيات الله تعالى في القرآن الكريم، والفاهم لسنة رسول الله ﷺ، والناظر لما نقلته في هذا الدراسة، يعلم دون شك أن للإنسان عند الله تعالى مكانة عظيمة، وتكريمه وتفضيله للإنسان واضح جليٌّ، وقد بين لنا الله تعالى ورسوله ﷺ السبيل للمحافظة على هذا التكريم والتشريف، وذلك بتحقيق الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتحقيق طاعته سبحانه وتعالى إنما تكون بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، قال ابن كثير : «مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر»[293]، وكذلك تكون بالتمسك بالأخلاق الفاضلة وبمعالي الأمور، والتسامي عن كل فحش ومكر وسوء، والحض على الخير والفضيلة بين الناس؛ التي أعطي بها نبينا محمدا ﷺ أعلى أوسمة الفخار والثناء، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤]، وبين ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق»[294]، ومن المعلوم أن

---

[291] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (22/ 635).

[292] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (4/ 350).

[293] ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (8/ 97).

[294] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (رقم 8952)،(14/ 513)، قال المحقق: صحيح – الحاكم، ***المستدرك على الصحيحين***، كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة، (رقم 4221)،(2/ 670).

رسول الله ﷺ لم ينتقل من هذه الدنيا إلا بعد أن كَمل به هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده حتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، قال الطبري: «اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بينت لكم منه بوحيي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم»[295]، إذن الطريق واضح للمحافظة على التكريم، وقواعد الطريق إيمان سليم دون تطرّف أو غلوّ، وإسلام متكامل بلا إفراط ولا تفريط، وإحسان عقلي وقلبي[296]، واجتناب للشبهات وترك للمحرمات ،يصبح المؤمن بتطبيق هذه القواعد أهلا لمعية الله تعالى وحبه وحفظه وتأييده ونصره، فإذا تحققت المعية تيقن أنّ الله عزّ وجلّ رقيب عليه، مطّلع عليه في كل لحظة، فكان عمله بغاية الإخلاص والحياء والخوف والخشية عابداً لله بأقواله وأفعاله كأنّه يراه، وهذه من أعلى درجات الكرامة، وتحت كل قاعدة من هذه القواعد تظهر لنا فروع تتكامل مع بعضها لتحقيق القاعدة بشكل متكامل، فمن أراد أن يكرم نفسه بأعلى درجات الكرامة سعى جاهداً بتطبيق أعلى درجات فروع الطاعة، بحيث لا يقتصر في طاعته على الأصول فقط، وذلك في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب، مثالها أن لا يقتصر على فرائض الصلاة والصيام والحج والزكاة، بل يسعى جاهدا إلى النوافل والمستحبات ،من نوافل الصلاة كصلاة السنن الرواتب والمستحبة كالضحى وقيام الليل والتهجد، وصيام السنن كصيام الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام يوم عرفة والعاشر من محرم، وأن يكثر من صدقات النفل، وحج النفل والعمرة، مع كثرة الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء، وكثرة الذكر، وفعل الخير وهذا باب عظيم واسع غزير الحسنات، فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله قال:... وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني

---

[295] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (8/ 80).

[296] ينظر: حديث جبريل المشهور في شرح الإيمان والإسلام والإحسان في: ابن حنبل، ***مسند أحمد***،مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه (رقم 184)،(1/ 315).

لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[297]، وقال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، وقال ابن المعتز رحمه الله تعالى:

خلّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى

واصنع كماش فوق ... أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرنّ صغيرة ... إن الجبال من الحصى»[298].

4.1.4 المطلب الرابع: إهانة الإنسان لنفسه بترك العبادة والطاعة وفعل المعصية.

علمنا أن من تكريم الإنسان لنفسه أن يطيع الله تعالى بأعلى أنواع الطاعة، وبالمقابل فإن الذم والإهانة يكون بترك طاعة الله سبحانه وتعالى ، وفعل المحظورات من المعاصي والآثام، والمعصية هي ترك ما أمر الله به أو أمر به رسوله ﷺ ،أو فعل ما نهى الله عنه، أو نهى عنه رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال، وقد توعد الله تعالى في القرآن بالمعاقبة لمن ضيعها وأهملها بالعذاب المهين[299]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤]، المعنى: «من يترك طاعة الله وأوامره من الفرائض وتفصيلاتها له عذاب مذل من عذب به مخز له لا يعرف له تفصيل »[300]، والذي يظهر كون المعاصي سبباً للذل والإهانة أمور كثيرة، أذكر منها:

أولا: المعاصي تتوالد فيما بينها فتؤدي إلى توالد الإهانات كذلك:

المعصية تتضاعف كلما مر عليها الزمن، فمن فعل معصية ولم يتب تتحول المعصية إلى معصيتين:

1- أصل المعصية.

---

[297] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الرقاق، باب التواضع، (رقم 6502)،(8/ 105)- البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت 458 هـ)، ***السنن الكبرى***، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط: الثالثة، 1424 هـ - 2003م جماع أبواب من تجوز شهادته، باب ينبغي للمرء أن لا يبلغ منه ولا من غيره من تلاوة القرآن، ولا صلاة نافلة ، ولا نظر في علم ما يشغله عن الصلاة حتى يخرج وقتها(رقم 20980)،(10/ 370).

[298] ابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدين، (ت795 هـ)، ***جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم***، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس : مؤسسة الرسالة، بيروت ط: السابعة، 1417 هـ - 1997م (1/400-4001).

[299] ذكر الله تعالى العذاب المهين في القرآن في ثمانية مواضع، لمن كفر به أو أشرك أو ارتكب المعاصي والمخالفات وهي(البقرة/90)،(آل عمران/178)،(النساء/14)،(الحج/57)،(لقمان/6)،(الجاثية/9)،(المجادلة/5)،(المجلدلة/16).

[300] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (6/ 491) - الماوردي، ***النكت والعيون***، (1/ 461) – صديق خان بن حسن، (ت 1307هـ)، ***فتح البيان في مقاصد القرآن***، عني بطبعه وقدّم له وراجعه: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا ،بيروت 1412 هـ - 1992 م (3/ 49)

2- عدم التوبة معصية ثانية، ثم اذا تكلم بها، كانت معصية ثالثة وهكذا كلما مر وقت آخر، تضاعف الذنب لسبب جديد، فالمعاصي تتضاعف وهي تنمو وتكبر، وقد تصل إلى مئات أو آلاف، حتى تألفها النفس وتطالب بها مرة ثانية وهكذا، حتى يرسل الله إليه الشياطين، فتؤزه إليها أزا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، وكذلك الإهانة التي هي نتيجة المعصية، تتوالد أيضا وتتضاعف وتنمو وتكبر، وقد تصل إلى مئات أو آلاف الإهانات.

ثانيا: المعاصي تخرج العاصي من المقام الأعلى إلى المقام الأدنى وهذا من جملة الإهانة:

فهذا إبليس طرده الله سبحانه وتعالى بعد معصيته من ملكوت السماء المعظم إلى الدنيا المذللة، قال تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]، ومن قرب الله تعالى وموالاته إلى البعد منه ومجافاته، ومن رحمة الله تعالى إلى غضبه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، ومن الإيمان إلى الكفر والفسوق والعصيان، ومن جمال الظاهر والباطن إلى قبحهما، وهكذا حتى تصل إلى النتيجة العظمى بتبديل الجنة المنعمة إلى النار المعذبة، وذلك لأنه هان على الله غاية الهوان، قال تعالى: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤ - ٨٥]، وكذلك فإن ملائكة السماء المقربين، وعباد الله الصالحين يبتعدون عن أهل المعاصي في مجالستهم وقربهم، حتى أن العاصي لله تعالى يصل إلى درجة ينفر منه امرأته وولده وأرحامه وأقاربه، ليستوحش بنفسه، وكفى بذلك ذلاً وإهانة.

ثالثا: المعاصي سبب في الحرمان من العلم:

من المتفق عليه عند أهل العلم أن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، قال الرازي: «جرت عادة القرآن بالتعبير عن العلم والإيمان بالنور، وعن الجهل والكفر بالظلمات»[301]، وقد علمنا أنه كلما ازداد الإنسان بالعلم والمعرفة، ازداد تكريمه لنفسه، والعكس صحيح، كلما نقص علم الإنسان قرب إلى المذلة والإهانة والتحقير، ورحم الله الإمام الشافعي حينما قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي.

---

[301] الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (17/ 214).

وأخبرني بأن العلم نور ..... ونور الله لا يهدى لعاصي[302].

كما يفهم من كلام الرازي رحمه الله تعالى أن إهانة العاصي لا تقتصر على حرمانه من النور بترك العلم، بل إنه يجد ظلمة في قلبه سببها الجهل، كلما قويت هذه الظلمة ازدادت حيرته، حتى يقع في البدع، والضلالات، والأمور المهلكات.

رابعا: المعاصي سبب في الهلاك والذل في الدنيا، والعذاب والإهانة في الآخرة:

ونجد ذلك واضحاً جلياً في الأقوام التي عصت الله ورسله، عندما استهانوا بالمعصية وأصروا عليها، فأهانهم الله تعالى في الدنيا بتبديل أحوالهم من الأمن والنعيم والاستقرار إلى الخوف والجحيم والدمار، وقد مر معنا ذلك مشروحاً وموضحاً في بابه[303]، وستكون الإهانة العظمى يوم القيامة بالحجب عن الله تعالى، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، قال الطبري: «إنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون، فلا يرونه، ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم»[304].

وقال إبراهيم بن الأدهم رحمه الله تعالى:

«رأيت الذنوب تميت القلوب ... ويتبعها الذل إدمانها.

وترك الذنوب حياة القلوب ..... والخير للنفس عصيانها »[305].

وأستطيع القول: أن من أراد أن يبعد نفسه عن الإهانة والذل والخزي، سعى جاهدا للحذر من المعاصي في العقائد، قال تعالى: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا﴾ [النساء: ١٣١]، فيحمي نفسه من الوقوع في الكفر والشرك بالله وبدينه، ولقائه، وبصفات كماله، وكذلك الحذر من المعاصي في العبادات والمعاملات والآداب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فيحمي نفسه من الوقوع في الفسق والإثم والضلال، وكذلك الحذر من معصية البدعة، التي هي فعل خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله ﷺ ،أو بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأمور المحدثة في الدين التي

---

(302) ينظر: الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (1/ 275)- ابن قيم، ***الجواب الكافي***، (ص52).

(303) في هذه الدراسة ص67.

(304) الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (17/ 214).

(305) الدينوري، أحمد بن مروان، (ت 333 هـ)، ***المجالسة وجواهر العلم***، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، أم الحصم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998م، (2/ 30).

لا يقبل الله منها شيئا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فيحمي نفسه من السير في سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، فإن حصل شيء من ذلك فليبادر بالتوبة مباشرة، فالإصرار على الذنب أقبح منه، فلا كبيرة ولا صغيرة مع التوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء: ٣١]، وإن طريق العز والشرف والكرامة، هو طاعة الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم ، ولن يوجد إلا في ذلك، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠، وقال أيضا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وكما قال رسول الله ﷺ: «.وجعل الذل والصغار على من خالف أمري» [306]، وكتب الفقه والأحكام والآداب مليئة غزيرة فياضة بأبواب الخير والإحسان والأخلاق الفاضلة، التي تسمو بالإنسانية، وتعلي شأنها، وتحمي العلاقات بين أفرادها، وتوجيهها إلى الرفعة والكمال، لتصوّر الحياة البشرية في أجمل صورها، وتلبسها أجمل وأبهى حللها.

4.2 المبحث الثاني: تكريم وإهانة الإنسان (المسلم) لغيره:

المتدبر في القرآن الكريم والسنة المطهرة يتبين له أن الله تعالى كرم الإنسان بشكل عام، وأمر الإنسان بتكريم نفسه وبتكريم غيره، وبين لنا طرق تكريم النفس وتكريم الغير، وهو باب واسع شامل، ومن هذا الباب تكريم الإنسان لأخيه الإنسان بوجه عامّ، فشمل ذلك التّكريم الرّجل والمرأة، الصّغير والكبير، القريب والبعيد، الحيّ والميّت، وغير ذلك ممّا يدخل تحت لفظ إنسان، إلّا أنّنا نلاحظ التأكيد في التكريم لأنواع خاصّة من النّاس، اهتماماً بها وتذكيراً بما لها من مكانة عند الله تعالى، وعند الناس، فنلاحظ مثلا الاهتمام بتكريم الوالدين والأرحام، والزوجة والأولاد، وذوي القربى والجيران، والمساكين والفقراء والأيتام، والأجير والخادم، حتى غير المسلمين من أهل الذمة والمعاهدين، كما حذرنا من إهانة هؤلاء وتوعد من يفعل ذلك بالإهانة والذل والعذاب، ولكثرة الأنواع اخترت أنموذجا لهذا المبحث على أربعة مطالب:

---

[306] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (رقم 5667)،(9/ 478)- الهيثمي، ***مجمع الزوائد ومنبع الفوائد***، كتاب الجهاد، باب ما جاء في القسي والرماح والسيوف، (رقم 9379)،(5/ 267) وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثقه ابن المديني، وغيره، وضعفه أحمد، وغيره، وبقية رجاله ثقات.

4.2.1 المطلب الأول: تكريم الإنسان (المسلم) بتكريم والديه:

المتدبر لآيات الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ، يجد وبوضوح الأمر بتكريم الوالدين بأنواع متعددة من الكرامات، مما يدل على عظيم شأن تكريمهما، وسأبين بعض هذه المكرمات، مستعينا بالله تعالى فمنها :

أولا: إظهار أهمية وعظم هذا التكريم عند الله تعالى، وذلك لأنه قرنه بأهم وأعظم أمر، وهو توحيده وعبادته سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، [307]، وذلك لأن فضل الوالدين على الولد يأتي مباشرة بعد فضل الله سبحانه وتعالى، فهما الأداة الخادمة لتنفيذ كرم الله تعالى عليه، فالله تعالى هو الخالق وهما أداة الخلق، والله تعالى هو الرازق وهما أداة الرزق، والله تعالى هو الحافظ وهما أداة الحفظ، والله تعالى هو الذي يعلِّم وهما أداة التعليم، والله تعالى هو المنعم بلا عوض ولا انقطاع حتى ولو فعل العبد أعظم المخالفات، وهما كذلك لا يطلبان من الولد أجراً على إنعامهما ولا يقطعان عنه كرمهما، وإن ارتكب في حقهما أعظم الإساءات، وهكذا في كل أمر يمتن الله تعالى على عباده، فالوالدان هما الأداة الخادمة في تحقيق هذا الامتنان فنالا بذلك كرامة استخدام الله تعالى لهما في تحقيق كرامته للولد.

ثانيا: قرن الله تعالى بين واجب شكره وواجب شكر الوالدين، تكريماً لهما على ما قدما من نعم واحسان لأولادهما، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، قال الطبري: «يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك»[308]، ونعم الله وفضائله على الإنسان لا تحصى، فكذلك نعم الآباء وفضائلهم على أبنائهم لا تحصى أيضاً، والشكر هو ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسان عبده وعلى قلبه وعلى جوارحه، والمجازة على الإحسان والثناء الجميل على من يقدم الخير والإحسان، ومن المعلوم أنه لا يستطيع أحد أن يشكر الله حق شكره لأنه لا مكافئ له على نعمه أبداً، ولا أقلها، ولا أدنى نعمة من نعمه، فشكره نعمة منه أنعم بها عليه، تحتاج إلى شكر

---

[307] (البقرة: 83)،(النساء: 36)،(الأنعام: 151)،(الإسراء: 23، 24).

[308] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (18/ 551).

آخر، وهلم جراً، لذلك قال سبحانه : ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠][309]، وكذلك لا يستطيع أحد أن يشكر أبويه حق الشكر لأنه لا يستطيع أن يجازيه على ما قدم إليه من نعم، وهذا الذي أخبر به رسول الله ﷺ حينما قال: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»[310]، قال النووي: «قال جماهير العلماء: يحصل العتق في الآباء والأمهات والأجداد والجدات وإن علوا وعلون وفي الأبناء والبنات وأولادهم الذكور والإناث وإن سفلوا بمجرد الملك سواء المسلم والكافر والقريب والبعيد والوارث وغيره »[311]، يعني وإن لم يعتقه ولده، فالحاصل أن المسألة غير مؤداه، فلا يستطيع ولد مكافئة والديه أبداً، وكذلك شاهد ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يمانياً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بعيرها المذلل ... إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها قال: «لا، ولا بزفرة واحدة»[312]، فهذا مقام عال كريم جعل للأبوين ولم يجعل لغيرهما.

ثالثا: أن الله سبحانه وتعالى أمر بالإحسان إليهما وبرهما وطاعتهما بالمعروف، قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]، فثبت بذلك طاعتهما بفعل كل معروف وترك كل منكر، فقد ربط الله تعالى طاعته بطاعتهما، ورضاه بإرضائهما، وهذا ما قاله ﷺ: « رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد »[313]،

---

[309] ينظر: ابن قيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ***مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين***، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، (2/ 234).

[310] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، (رقم 1510)،(2/ 1148).

[311] النووي، ***المنهاج شرح، صحيح مسلم، بن الحجاج***، (10/ 153).

[312] البخاري، محمد بن إسماعيل، (256 هـ)، ***الأدب المفرد***، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدا من تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط: الأولى، 1419 هـ - 1998م، باب جزاء الوالدين (ص8)،(رقم11)، قال المحقق: صحيح الإسناد.

[313] البخاري، ***الأدب المفرد***، (برقم 2)،(ص 4)، قال المحقق: حسن موقوفا، وصح مرفوعا - الترمذي، ***سنن الترمذي***، كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضى الوالدين (برقم 1899)،(4/ 310)، قال الألباني: صحيح - الحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (رقم 7249)،(4/ 168).

حتى أن النبي ﷺ بين أن بر الوالدين مقدم على الجهاد، حينما سئل عن أي الأعمال أفضل وأحب إلى الله تعالى[314]، وألزم الولد بإرضائهما للخروج للجهاد مالم يكن فرضا عينياً، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ، «عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، يقول: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[315]، ولأهمية ذلك بين العلماء أنه لا يجوز للولد الخروج للجهاد إلا بعد إذن الأبوين بشرط أن يكونا مسلمين؛ لأن برهما فرض عين والجهاد فرض كفاية، فإن تعين الجهاد وكان فرض عين فلا إذن لهما؛ ويكون فرضاً عينياً باستنفار الإمام، أو هجوم العدوّ على البلاد، أو حضور الصف[316]، وهذا تكريم من الله لهما، وتكريم من الله تعالى لمن يستجيب له من الأبناء، لما مر معنا بتكريم النفس بطاعة الله تعالى.

رابعا: بين الله تعالى أن تكريم الوالدين بالبر والطاعة بشكل عام، هي صفة من صفات الأنبياء ونحن نعلم أن صفات الأنبياء القولية والفعلية هي أعلى وأفضل وأكرم صفات البشر، لأنهم صفوة الله من خلقه، قال تعالى : ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ [مريم: ١٢ – ١٤]، وقال أيضا: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٠ – ٣٤]، فمن اتبع صفة بر الوالدين التي اتصف بها الأنبياء، فقد أكرم نفسه أولاً بالاتباع، وأكرم والديه ثانياً بالبر والصلة، وكذلك ذكر القرآن الكريم نوعاً من أنواع البر للوالدين بشكل خاص، وهو من أفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيه تكريم لهما، وهو الدعاء، فقد قال تعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾ [نوح: ٢٨]، وقد أمرالله عباده المؤمنين أن يدعوا لهما بالرحمة، أحياءً، وأمواتاً، جزاء على تربيتهم وإحسانهم، فقال عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]، فمن أكرم والديه و دعا لهما، فقد أرضى الله عز وجل وأكرم نفسه،

---

[314] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا} (العنكبوت: 8) (رقم5970) (8/ 2)، – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (رقم 138)،(1/ 89).

[315] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين (رقم3004)،(4/ 59) – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، (رقم2549) (4/ 1975).

[316] ينظر: القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***،(3/ 38).

وتشبه بالأنبياء، وحقق كرامة لوالديه في الآخرة برفع درجتهما كما أخبر ﷺ :«إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»[317]، ومن أعلى أنواع الإكرام بالدعاء للوالدين، ما نقل لنا من فعل أبي هريرة رضي الله عنه حينما طلب من رسول الله ﷺ أن يدعو الله أن يهدي أم أبي هريرة فاستجاب الله تعالى له، ثم طلب منه أن يدعو له ولأمه بمحبة الناس لهما فاستجاب الله له، قال أبو هريرة فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[318].

خامسا: أمر الله سبحانه وتعالى الولد بتكريم والديه بالإحسان العظيم الكامل، عندما أتى بلفظ الإحسان بلفظ التنكير الذي يدل على التعميم بالإحسان والتعظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وهذا من باب الإحسان في رد الجميل، وذلك لأن إحسان الوالدين له قد بلغ الغاية العظمى، وعلى كل حال فلن تحصل المكافأة، لأن البادي بالبر لا يكافأ.

سادسا: خصص الله تعالى في القرآن الكريم حالة كبر الوالدين، بزيادة العناية والتكريم من قبل الولد في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وذلك لشدة حاجتهما إليه؛ ولضعفهما عن القيام بكثير من مصالحهما، فيبادر الولد اغتنام فرصة برهما؛ في هذه الفترة من العمر التي هي مظنة الفوز الكبير ببرهما لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك، وقد وجه لذلك رسول الله ﷺ في حديث الصعود على المنبر وقوله آمين في صعود كل درجة ثم يفسر قوله آمين بدعاء الملك له[319].

كما وقد دعا النبي بالذل والإهانة على الولد الذي يدرك أحد والديه أو كلاهما في هذه الفترة من العمر وهي الكبر ولم ينل المكافأة العظمى بسبب برهما وهي جنة الله سبحانه وتعالى[320].

سابعا: ميز الله سبحانه وتعالى بين تكريمين للآباء في القرآن الكريم وهما: تكريم المصاحبة بالمعروف، وتكريم المودة والمحبة،

---

(317) ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، باب بر الوالدين (رقم 3660)،(4/ 631) قال شعيب أرناؤوط إسناده حسن.

(318) ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (رقم 8259) (14/ 11) – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه (رقم 158)،(4/ 1938).

(319) الحاكم، ***المستدرك على الصحيحين*** كتاب البر والصلة (رقم 7256)،(4/ 170) ، فيقول: «فلما رقيت الثالثة قال: بعدا لمن أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة. قلت: آمين ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(320) ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ: « رغم أنف ، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف.» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة (رقم 8557)،(14/ 231)، قال المحققون: إسناده صحيح على شرط مسلم– مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يدخل الجنة (رقم 9)،(4/ 1978).

أما تكريم المصاحبة فنجده في قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، قال شهاب الدين النفراوي: «(ومن الفرائض) العينية على كل مكلف (بر الوالدين) أي الإحسان إليهما (ولو كانا فاسقين) بغير الشرك بل (وإن كانا مشركين) للآيات الدالة على العموم، والحقوق لا تسقط بالفسق ولا بالمخالفة في الدين»[321]، فيكون المعروف للأبوين المؤمنين، والكافرين، وذلك بالعناية بهما مأكلاً ومشرباً وكسوة، وتقديم كل خدمة مادية وعقلية، لأن المعروف يفعله المؤمن مع من يحب ومن لا يحب، أما تكريم المودة والمحبة فهو خاص بالمؤمنين من الآباء والأمهات ونجده في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وهو عمل قلبي، فلا تكون إلا لمن نحب[322].

4.2.2 المطلب الثاني: إهانة الإنسان (المسلم) بإهانة والديه.

مر معنا أن الله سبحانه وتعالى ونبينا ﷺ أمرا بإكرام الوالدين ،كما حذرا من إهانتهما، وتوعدا من يفعل ذلك بالإهانة والذل والعذاب، جاء في نضرة النعيم: «وقد أجمع العلماء على أن عقوق الوالدين أو أحدهما من الكبائر، بل من أكبر الكبائر»[323] ومما يدل على ذلك:

أولا: إظهار أهمية وعظم هذه الإهانة عند الله تعالى، وذلك لأنه قرنها بأهم وأعظم ذنب، وهو الشرك به وترك عبادته، فقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦] [324]،وذلك لأن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، على أرجح الأقوال، فأصبح المعنى أنهاكم عن عبادة غيري وعن الشرك بي، وأنهاكم عن عدم الإحسان للوالدين وهو العقوق، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ، حيث قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين – وجلس وكان متكئا فقال – ألا وقول الزور، قال: فما زال يكررها

---

[321] النفراوي، أحمد بن غانم، (ت 1126هـ)، ***الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني***، دار الفكر 1415هـ – 1995م (2/ 290).

[322] ينظر: الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد، (ت 1393 هـ)، ***دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب***، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز ،جدة ط: الأولى، 1417 هـ – 1996 م (182).- الشعراوي محمد متولي، (ت 1418هـ)، ***تفسير الشعراوي، الخواطر***، مطابع أخبار اليوم، بدون طبعة، نشر عام 1997م(504/1).

[323] ينظر: ***نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم*** (10/ 5012)

[324] (البقرة: 83)،(النساء: 36)،(الأنعام: 151)،(الإسراء: 23، 24).

حتى قلنا: ليته سكت»[325]، ونحن نجد في كتاب الله تعالى، كيف حاج إبراهيم أبيه وقومه، في عبادة غير الله والشرك به قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢ – ٧٣]، فأهانهم على تفكيرهم الخاطئ، وأهان أصنامهم بأنهم غير قادرين على فعل ذلك، فالإهانة تكون لمن لا يقدم شيئا عند الطلب، ولمن لا يجلب النفع ولا يصرف الضر، والله تعالى والوالدين بخلاف ذلك ، كما بينت في التكريم.

ثانيا: قرن الله تعالى بين واجب شكره وواجب شكر الوالدين، تكريماً لهما على ما قدما من نعم واحسان لأولادهما، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وعلى قاعدة الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، على أرجح الأقوال ، فمن أهان والديه بعدم تقديم الشكر لهما لما قدما له من فضل وإحسان، فإن الله تعالى يهينه فلا يقبل منه شكره له على نعمه وإحسانه، لاتصال أحد الأمرين بالآخر[326]، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ حيث قال «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[327]، وقد حذر الله تعالى من عدم تحقيق شكره بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ثالثا: أن الله سبحانه وتعالى نهى الولد عن إهانة الوالدين المؤمنين أو الكافرين، بالتثاقل من طاعتهما كعدم الاحترام في المخاطبة بالتضجر أو التأفف، أو من رفع الصوت عليهما، أو غلظ الجواب لهما أو السب والشتم، وكل ما يقع تحت ذلك، قال الله تعالى ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، حتى أنه نهاه أن يكون هو سبب في هذه الإهانات، وجعل ذلك من أكبر الكبائر، حيث قال نبينا ﷺ «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل، والديه قالوا: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل أبويه؟ قال: يسب الرجل

---

[325] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (رقم 2654)، (3/ 172) – الترمذي، ***سنن الترمذي***،باب: ومن سورة النساء، (رقم 3020) (5/ 236).

[326] الخطابي، حمد بن محمد، (ت 388هـ)، ***معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود***، المطبعة العلمية، حلب ط: الأولى 1351 هـ – 1932م، (4/ 113).

[327] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (رقم 10377)،(16/ 244) قال الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم – البخاري، ***الأدب المفرد*** باب من لم يشكر الناس (رقم 218)،(ص114) – أبو داود، ***سنن أبي داود***، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (رقم 4811)،(7/ 188)، قال المحقق: إسناده صحيح.

الرجل، فيسب أباه، ويسب الرجل أمه، فيسب أمه»[328]،كما نهى عن عدم الاحترام في معاملتهما، كالعبوس في وجهيهما، ، وعدم صلتهما، والغياب عنهما دون عذر، والسفر دون إذنهما، وعدم الإنفاق عليهما، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فثبت بذلك ترك كل منكر يسخطهما، فقد ربط الله تعالى بين سخطه، واسخاطهما، وهذا ما قاله ﷺ : « ..... وسخط الرب في سخط الوالد »[329].

رابعا: بين الله تعالى أن عدم إهانة الوالدين قولاً وفعلاً هي صفة من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونحن نعلم أن صفات الأنبياء القولية والفعلية هي أعلى وأفضل وأكرم صفات البشر، لأنهم صفوة الله من خلقه، قال تعالى واصفاً حال سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، قال الطبري: «يقول جل ثناؤه: ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعاً متذللاً، يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه، ولا والديه»[330]، وقال أيضاً واصفاً حال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، قال النسفي: ﴿جَبَّارًا﴾ [مريم: ٣٢]، متكبرا ﴿شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]عاقاً»[331]، فمن اتبع صفة عدم العقوق التي اتصف بها الأنبياء، فقد أبعد نفسه عن الإهانة أولاً بالاتباع، وأبعد والديه عن العقوق والإهانة ثانياً.

خامسا: أمر الله سبحانه وتعالى الولد بعدم العقوق بكل أنواعه، قولاً وفعلاً، صغيراً وكبيراً، بشكل مطلق كامل، عندما نهى الولد عن العقوق القولي بأدنى كلمة وهي أف، وعن العقوق العملي بأدنى فعل وهو النهر، كما مر معنا، ولكن الأخطر من النهي عن العقوق، هو ما قصه لنا سبحانه وتعالى في سورة الكهف عن إهلاك الولد الذي كان كافراً، وكان أبواه مؤمنين، فعلم الله تعالى بعلمه الأزلي أنه سيهينهما باستكباره وكفره على الله تعالى »[332]، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا

---

[328] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، (رقم 7029) (11/ 600)، قال المحققون إسناده صحيح على شرط الشيخين – البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه (رقم 5973)،(8/ 3) – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (رقم 146)،(1/ 92).

[329] البخاري، ***الأدب المفرد***، (برقم 2)،(ص 4)، قال المحقق: حسن موقوفا، وصح مرفوعا – الترمذي، ***سنن الترمذي***، كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضى الوالدين (برقم 1899)،(4/ 310)، قال الألباني: صحيح – الحاكم، ***المستدرك على الصحيحين***، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (رقم 7249)،(4/ 168)..

[330] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (15/ 480).

[331] النسفي، ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل***، (2/ 334).

[332] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (15/ 356).

ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]، وهذا من باب رفض الله لإهانة الوالدين الصالحين، وجعل العاقبة لمن يفعل ذلك من الأولاد، الهلاك والإهانة والعذاب، ونجد هذا المعنى أيضا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧]، وهي قصة الولد الذي وصفه الله تعالى بالضلال والكفر، وبعقوق الوالدين، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الإيمان بالله، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم، ومجازاته إياهم بأعمالهم إلا عتواً وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله، فيقول: قذراً لكما ونتناً أتعدانني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حياً، وقد مضت قرون من الأمم قبلي، فهلكوا، فلم يبعث منهم أحدا، ووالداه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله، ويقر بالبعث ويقولان له أي صدق بوعد الله، وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه فيقول عدو الله مجيبا لوالديه، وردا عليهما نصيحتهما، وتكذيبا بوعد الله: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري، إلا ما سطره الأولون من الناس من الأباطيل، فكتبوه، فأصبتماه أنتما فصدقتما، فهذ الولد ومن على شاكلته الذين هذه الصفة صفتهم، هم الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلت بهم عقوبته وسخطه، كالذي حل بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجن والإنس، الذين كذبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب[333].

سادسا: خصص الله تعالى في القرآن الكريم حالة كبر الوالدين بزيادة النهي عن الإهانة والإذلال والتحقير من قبل الولد في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وذلك لأنهما في هذه المرحلة مظنة الإهانة والإهمال، ومظنة التأفف منهما، لكونهما في حالة ضعف وجهل وعجز وحاجة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، بخلاف حالة القوة والفتوة، فهما في هذه الحالة مظنة التقرب من الأولاد لهما، والسعي للوصول لإرضائهما لينالوا من خيرهما، وتقييد صفة الكبر بقوله عندك، أي كبرا في بيتك وكنفك، ليس لهما أحد غيرك يرعاهما، ولا كافل لهما غيرك، فأكرم نفسك بخدمتهما لأنك أولى الناس بهما.

---

[333] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (21/ 144-145).

4.2.3 المطلب الثالث: تكريم الإنسان(المسلم) بتكريمه للمرأة:

مر معنا أن المتدبر لآيات الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، يجد وبوضوح أن الله تعالى أكرم الإنسان بشكل عام، وأمر المسلم بذلك، ونهى عن إهانة الإنسان بشكل عام، ونهى المسلم عن ذلك، وقد حصل ذلك بدءاً من أول الخلق المتمثل بأبينا آدم وأمنا حواء، اللذين شكلا النواة الأولى للبشرية جمعاء، واستمر التكريم بكل أدوار الإنسان، حتى إذا وصل الإنسان إلى عمر التكليف، تعلق ذلك التكريم والإهانة، كما ذكرت سابقا، بمدى خضوع هذا الإنسان لأوامر الله تعالى ونواهيه وحديثنا في هذا الفصل عن تكريم المرأة التي تشاركت في بعض المكرمات مع الرجل، وانفردت ببعضها خاصة، وأحببت أن أخصص مبحثاً لهذا الموضوع، لافتراء أهل الباطل والحاقدين على الإسلام باتهامه أنه أهان المرأة التي هي نصف المجتمع، وطالبوا بمساواتها مع الرجل، ورد بعض شبهاتهم والله تعالى المستعان.

أولا: الاشتراك في التكريم مع الرجل:

طلب أهل الباطل والحاقدون على الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة، طلب حق أريد به الباطل والشر، لأنهم استعملوه لمساواة المرأة بالرجل في كل المجالات، حتى في المجالات التي هي في الأصل من خصائص الرجال، التي فطر الله تعالى الرجال عليها من تكوين خَلقي وخُلقي، وقدرة على تحمل التكليف الشرعي الذي كلف به دون المرأة، وكذلك ما خص به المرأة أيضا من تكوين خَلقي وخُلقي، وقدرة على تحمل التكليف الشرعي الذي كلفت به دون الرجل، قال الله تعالى حاكيا عن أم مريم: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، قال الطبري: «لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس، والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس»[(334)]، وقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، قال الطبري: «يعني بما فضل الله تعالى به الرجال على أزواجهم من سوقهم إليهن مهورهن، وإنفاقهم عليهن أموالهم، وكفايتهم إياهن مؤنهن، وذلك تفضيل الله تعالى تبارك وتعالى إياهم عليهن، ولذلك صاروا قواما عليهن ، نافذي الأمر

---

(334) الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (5/ 337)- الماوردي، ***النكت والعيون***، (1/ 387)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 432).

عليهن فيما جعل الله تعالى إليهم من أمورهن»[335]، وبسبب تلك الفروق التي قدرها الله تعالى، نرى رسول الله ﷺ، لعن المتشبه من الجنسين بالآخر، فقال ﷺ: «لعن الله تعالى المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[336]، فلو كنا نستطيع إزالة الفوارق بين الرجل والمرأة، لما استوجب هذا الفعل لعنة الله تعالى ورسوله له، فأهل الباطل والحاقدون يكونون بذلك قد أهانوا المرأة لتكليفها بما لم يكلفها الله تعالى به، وأما المساواة الحقيقية التي شرعها الله تعالى بين المرأة والرجل، واختارها وارتضاها لهما، فهي التساوي في الحقوق والواجبات، والتكريم والإهانة، والوعد والوعيد في الآخرة بالثواب والعقاب، إلا ما استثناه النص، فجاء خاصا بأحد الجنسين دون الآخر، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩]، وهذا ما سأنقل عنه في هذا المطلب مخصصاً التكريم، والله تعالى المستعان.

1- التكريم المشترك في أصل الخلق:

وذلك ما بينته في بداية الدراسة في تكريم الخلق والايجاد، بالنسبة لآدم وحواء، ثم تكريم الذرية، وذلك أن الله تعالى خلق الناس جميعا – ذكوراً وإناثاً- من نفس واحدة آدم عليه السلام، وجعل من هذه النفس المكرمة عنده زوجة من جنسه يكتمل بها وتكتمل به، ليساق عليها ذلك التكريم الذي جبل عليه أصلها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وليشكلا باجتماعهما النواة الأولى للبشرية، ثم تتابع النسل من هذه النواة الأولى، بطريق التزاوج الذي جعله الله تعالى سبباً لخروج الذرية قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وينتقل التكريم أيضا من الأصول إلى الفروع(الذرية) لنراه متجليا في جميع مراحل خلق الذرية وتكوينها، حتى إذا خرج هذا الإنسان إلى الوجود، أحيطت به مكرمات الله تعالى حتى ينشأ النشأة الصالحة المتكاملة، فوضع له الحقوق التي تضمن له الوصول إلى أعلى درجات التكريم والتشريف، من حالة الرضاع إلى البلوغ، حسب ما ذكرت سابقاً، لا فرق في ذلك بين ذكر أو أنثى، وهذه هي فطرة

---

[335] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (6/ 687)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (10/ 71)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (5/ 168).

[336] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله تعالى بن العباس بن عبد المبحث (5/ 243)،(رقم 3151) قال المحققون: إسناده صحيح على شرط البخاري- البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء، والمتشبهات بالرجال (رقم 5885)،(7/ 159).

الله تعالى العادلة التي فطر الناس عليها، وأمر الله تعالى البشرية أن تسير على هذا النهج الكريم، إلا أن البشرية انحرفت عن أمر الله تعالى، وعطلت أحكامه وحرفتها، وأوصلت البشرية إلى حالة من الانحراف لم تصل إليها من قبل، ليرسل الله تعالى إلى البشرية محمداً عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، ينقل لها عن الله تعالى طريق الحق والصراط المستقيم، وقد نقل لنا هو ﷺ حال الناس عند بعثته، فعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته: « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم،.... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان.. »[337] ،أنزل معه دستوراً عادلاً تضمن بحفظه سبحانه وتعالى إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، أعاد فيه للبشرية كرامتها، وصحح تلك الانحرافات، بأحكام لا يمكن لمخلوق أن يأتي بها، وفي موضوعنا أعاد الله تعالى للمرأة كرامتها وشرفها التي جبلت عليه في أول النشأة، وأمر بذلك المؤمنين، فمن تبع أوامر الله تعالى فأكرم المرأة أكرم نفسه، ومن ترك أوامر الله تعالى فأهان المرأة أهان نفسه.

ثانيا: التكريم المشترك في حق النكاح الشرعي:

جعل الله العلاقة بين الرجل والمرأة أمراً فطرياً، بني على ميل كل منهما إلى الآخر، لكن عندما انحرفت البشرية عن صراط الله جل جلاله، أصبحت بعض الديانات والمذاهب تعتبر المرأة رجسا من عمل الشيطان، يجب الفرار منه، واللجوء إلى حياة التبتل والرهبنة، وبعضها الآخر كان يعتبر الزوجة مجرّد ألة لمتاع الرجل، أو خادم لمنزله، فجاء الإسلام ليعيد الفطرة إلى أصلها، فحث على الزواج، واعتبر الزواج آية من آيات الله في الكون، الدالة على لطفه وحكمته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وقد أشارت الآية إلى ثلاثة فوائد للزواج، وهي السكن بين الزوجين، والمودة بين أقارب المصاهرة، ورحمة منه يتراحم الناس بها فيما بينهم[338]، وجعل هذا الترابط من أقوى العقود وأوثقها، وأحاط به من الحقوق والواجبات ما يحميه من الضعف والانحلال، من قبل أن يعقد ومن بعد العقد، وقد حث النبي ﷺ،

---

[337] مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (رقم 2865)،(4/ 2197).

[338] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (18/ 479).

الشباب على النكاح، بشرط الرغبة والاستطاعة، لكي لا يبدأ هذا العقد ضعيفا، فقال رسول الله ﷺ : «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة، فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[339]، فإذا حصلت الرغبة وتحققت الاستطاعة، بحث الشاب عن المرأة التي رغب بها الشرع، وهي صاحبة الدين أولا، ثم تحصيل ما يستطيع الشاب من ميزات زائدة، كالمال والنسب والجمال وغيرها من مرغبات الزواج وهو حق للشاب، وحق للبنت.

1- المساواة في حق اختيار (الزوج – الزوجة):

وجه الله تعالى ورسوله ﷺ الرجل والمرأة، في كيفية اختيار(الزوج– الزوجة) من أجل قيام حياة سعيدة ، وجعل ذلك وفق ضوابط شرعية، تجب مراعاتها عند الرغبة بالارتباط، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، فيبدأ كل منهما بالاجتهاد في اختيار صاحبه بناء عليها، كالدين والأخلاق، والكفاءة في العلم والنسب والجاه، وغير ذلك من الأمور التي حض التشريع عليها، وعلى كلا الطرفين أن يحذر من التساهل في هذه الضوابط، وإلا ستبدأ الحياة الزوجية على قواعد ضعيفة، لا تستطيع حمل البناء المراد تشيده، وقد منع التشريع أولياء الأمور من إجبار المرأة على التزوج بمن لا ترغب به، فإن فعل الولي ذلك رفعت أمرها للقاضي الشرعي فله الولاية عليها، ولا عيب في ذلك عليها ما دام الأمر في إطار الشرع، والحق المشروع، والله يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

2- المساواة في حق الإحسان بالعشرة:

وقد أمر الله تعالى كلا الزوجين بحسن معاشرة الآخر والقيام بما هو معروف بين الأزواج، يحسن كل منهما تعامله مع

---

[339] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه (رقم 3592)،(6/ 72)- البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح (رقم 5065)،(7/ 3) – مسلم، ***صحيح مسلم***، ،كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (رقم 1400)،(2/ 1018).

الآخر ، من حسن المظهر، وطيب المعشر، ودماثة الخلق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] »[340]

وقد بين رسول الله ﷺ المساواة بينهما في الحقوق فقال: «... ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[341]، وعبّر القرآن الكريم عن مدى القرب والملائمة والاندماج بين الزوجين، فأنزل كلّا منهما من الآخر منزل اللّباس لصاحبه، فقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]

3- المساواة في حكم التزوج من أهل الشرك:

وقد حرم الله تعالى على الرجل المسلم أن يتزوج المشركة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وهذا تكريم للرجل المؤمن، وحفظ لدينه، كما حرم على المرأة المسلمة أن يتزوجها غير المسلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، أي لا تزوجوا الكفار بالمسلمات، وهذا خطاب للأولياء يمنعهم من المبادرة أو الموافقة على زواج الكفار مطلقاً الكتابي وغيره، وهذا تكريم للمرأة المسلمة وحفظ لدينها، لأن الكفر والإيمان لا يجتمعان في أسرة فحرم ذلك على أصل النكاح الذي هو العقد الشرعي، فضلا عن النكاح الذي هو الوطء، وعلل سبحانه وتعالى عدم الجواز، فقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وذلك بأن المشركين لا يدعون إلى خير، ومن كان كذلك فلا خير في الحياة معه ولا معاشرته، فهم يدعون بأعمالهم وأقوالهم إلى النار، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، أما المؤمنون فهم الداعون إلى الخير العاملون به، فالحياة معهم تكون في خير وتؤول إلى خير،

---

[340] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (4/ 120)- الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (2/ 163)- الخازن، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***،(1/ 160)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (1/ 459).

[341] الترمذي، ***سنن الترمذي***، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (رقم 1163)،(3/ 459)قال المحقق حسن – ابن الخراط، عبد الحق بن عبد الرحمن، (ت 581 ه)، ***الأحكام الشرعية الصغرى***، تحقيق: أم محمد بنت أحمد الهليس الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، مكتبة العلم، جدة – المملكة العربية السعودية ط: الأولى، 1413 ه – 1993م، باب القسمة بين النساء وحسن العشرة وحق كل واحد من الزوجين على صاحبه وأحاديث تتعلق بالنكاح، (2/ 632).

لأنهم يدعون بأعمالهم وأقوالهم إلى الجنة، لأنهم ملتزمون بشرع الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ثالثا: التكريم المشترك في الحقوق المالية:

أعاد الإسلام حقوق المرأة المالية التي فرضها الله تعالى، منذ أن خلق الإنسان، والتي شوهتها ومنعتها البشرية الظالمة، في عهود الظلم والطغيان قبل الإسلام، والتي كان عليها كثير من الأمم العربية والعجمية، من حرمان المرأة من التملك والوصية والميراث، وغيرها من الحقوق المالية، أو التضييق عليهنّ في التصرف فيما يملكن، أو استبداد الرجال على مختلف مستوياتهم على أموال النساء، فأعاد لهن تلك الحقوق بأصولها وفروعها، وضمن لها بذلك الحقّ في الحياة الحرّة الكريمة في حياة أهلها أو بعد رحيلهم، أذكر على سبيل المثال:

1- حق التكسب والتصرف في المال:

شرع الإسلام للمرأة والرجل حق طلب الرزق وحثهما عليه، وبين لهما الطرق المشروعة والممنوعة، في تحصيله والتصرف فيه، وربط ذلك بالثواب والعقاب فقال تعالى مبينا ذلك الحق : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٣٢]، كما بين لهما طرق التصرف المشروعة وغير المشروعة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فلهما حق التصرف بالبيع والشراء والإجارة والهبة والإعارة، والوقف والصدقة المفروضة، والمندوب إليها في كل الأوقات، والكفالة والحوالة والرهن وغير ذلك من العقود والأعمال، ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن أموالهما، كالدفاع بالتقاضي وغيره من الأوجه المشروعة، ومتابعة شؤونهما المالية في حدود ما يأمر به الشرع، والبعد عما نهى عنه، فمثلاً أمرَ الشرع المرأة بملازمة الحشمة، والمحافظة على الطهر والعفاف أثناء التصرف في ذلك الحق، وأثنى عليها في تطبيق ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣]، قال أبو منصور: «تستحيان أن تزاحما الرجال وتختلطا بهم، فتنتظران فراغهم صدور الرعاء عنها»[342]، وقال تعالى: أيضا واصفاً قدومها لتبليغ رسالة أبيها: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾

---

[342] الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (8/ 160)- ينظر: الماوردي، ***النكت والعيون***، (4/ 246)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (3/ 400).

[القصص: ٢٥]، قال أبو منصور: «تمشي مشي من لم يخالط الناس على، التستر والتغطية»[343]، كما شرع لها المشاركة في الرأي في كيفية تسيير هذا المال والمحافظة عليه قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، فشاركت وعللت بحكيم الكلام[344]، وقد وضع التشريع الحنيف ضوابط للمرأة في تحصيل هذا الحق، بما يحافظ على المجتمع الإسلامي وعلى أفراده بأدق التفاصيل تنظر في مكانها.

2- الحقوق المالية من الزوج خاصة:

كرم الإسلام المرأة بتقريره لها حقوقاً مالية، تفرض على من يريد أن يتزوجها، وحقوقاً أخرى بعد أن تتم عملية الزواج، وجعل لهذه الحقوق ضوابط لم تستطع البشرية أن تأتي بمثلها مع كل ما وصلت إليه من تقدم وحضارة.

أ- الصداق: وهو المال الذي أوجبه الله تعالى للمرأة على الرجل إشعاراً منه برغبته فيها، وإرادته لها، قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، قال الطبري: «يعني بذلك تعالى ذكره: وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة، وفريضة لازمة»[345]، لأنّ فطرة الله تعالى جعلت المرأة مطلوبة لا طالبة، فلزم من طالبها أن يبذل الغالي والنفيس للحصول عليها، وهذا تكريم لها تستشعر من خلاله مكانتها ورفعة شأنها عند ربها، وعند طالبها.

ب – النفقة: وتنقسم النفقة إلى قسمين:

الأولى: النفقة العامة، فالرجل مكلّف بتوفير المأكل والملبس والمسكن بالمعروف، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ [النساء: ٣٤]، قال الطبري: «وإنفاقهم عليهن أموالهم ، وكفايتهم إياهن مؤنهن»[346]، والمعروف: هو ما يتعارف عليه أهل الدين والفضل من الناس بلا إسراف ولا تقتير، قال أبو منصور:

---

[343] الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (8/ 161)- ينظر: السمرقندي، ***بحر العلوم***، (2/ 604)- الماوردي، ***النكت والعيون***، (4/ 247)- الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (3/ 402).

[344] ينظر: الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (3/ 403).

[345] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (6/ 380)- ينظر: البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، (1/ 565)- الرازي، ***مفاتيح الغيب***، (9/ 492)- القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (5/ 24).

[346] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (6/ 687)- ينظر: الماوردي، ***النكت والعيون***، (1/ 480)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(1/ 611)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (2/ 256).

«وفيه دليل وجوب نفقة المرأة على زوجها، وعلى ذلك إجماع أهل العلم»[347].

الثانية: النفقة الخاصة (المطلقة- المطلقة الحامل المعتدة من طلاق أو وفاة..)، وهذه النفقات على النساء فيها تفصيلات واسعة لأهل العلم تنظر في أماكنها، ولكن المهم في بحثنا أن هذه النفقات الواجبة على الأزواج، هي على سبيل تكريم المرأة، والملاحظ وجوبها في عدة حالات حتى في حال الطلاق أو الوفاة، مما يلفت الانتباه إلى عناية الله تعالى بهذه المخلوقة المكرمة عنده، وأن لا يحملها فوق طاقتها التي جبلها عليها بأصل الخلقة ، بما يتناسب مع علاقاتها الاجتماعية والأسرية، : قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، قال الطبري: «لينفق الذي بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال، وغنى من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير»[348]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، قال الطبري: «وعلى آباء الصبيان للمراضع رزقهن، يعني رزق، والدتهن ويعني بالرزق ما يقوتهن من طعام، وما لا بد لهن من غذاء ومطعم وكسوتهن، بما يجب لمثلها على مثله»[349]، وبهذا التكريم بالنفقة فإن الأمهات المرضعات لن يجدن المشقة والتعب والهم في ارضاع أولادهن، كما لو كانت النفقة عليهن، ولم يقتصر هذا التكريم بنفقة الأولاد فقط بل جعل لها نفقة تكفيها في حال إرضاعها فلا تتكلف الذهاب إلى العمل أو الدراسة عن الأرزاق، بل تعتني بهذا المولود الذي هو بأشد الحاجة إليها، كما أنها هي بأشد الحاجة إليه لأنه من يؤانسها في مرحلة طلاقها الأولى وهي أشد الحالات عليها، ولله الحكمة البالغة، بالإضافة لذلك أمر الله تعالى الأزواج بتأمين المسكن المناسب لمطلقاتهم، وهذا أيضا طرف من التكريم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، قال الطبري: «أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم من سعتكم التي تجدون؛ وإنما أمر الرجال أن يعطوهن مسكنا يسكنه مما يجدونه حتى يقضين عددهن »[350]، والناظر في هذه الأحكام الإلهية في كتب التفريعات الفقهية، فإنه لا يخفى عليه مكرمات الله تعالى للنساء

---

[347] الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (3/ 156).

[348] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(23/ 68)- ينظر: القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، (18/ 170)- ابن جزي، ***التسهيل لعلوم التنزيل*** (2/ 387).

[349] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (4/ 211)- ينظر: الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، (2/ 177)- ***الماوردي، النكت والعيون***، (1/ 300)- البغوي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***،(1/ 313).

[350] الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(23/ 59).

وخاصة في أيام المحن، وذلك لعلمه سبحانه وتعالى بحاجتهن للعناية، ومن أراد الزيادة من ذلك التكريم فلينظر إلى الكتب التي فاضت باستخراج الحكم الإلهية في هذه المسائل.

ج – متعة الطلاق: وتكون هذه المتعة للمرأة المعقود عليها بلا تسمية للمهر، ثم طلقت قبل الدخول عليها، وفي هذا تكريم واضح لهذه المرأة التي ولأمر ما لم يسم لها المهر، فهل تترك هكذا بلا حقوق لها، طبعاً لا و أحكم الحكمين هو من وضع القوانين والأحكام، قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال البهوتي«: والأمر يقتضي الوجوب ولا يعارضه قوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، لأن أداء الواجب من الإحسان»[351]، ومقدارها باعتبار حال الزوج من الإعسار واليسار، والأخذ بالمعروف، أما المسمى لها مهر فلها نصف ما سمي لها من المهر، و لا متعة لها قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ووجه التكريم هنا، أن الله تعالى قد فرض لها حقا، وإن لم يدخل بها، لوجود أسباب يتطلب التعويض لها، فهي قد تكسفت عليه، وخالطته، و تأملت بحياة أسرية، حتى أنها بعد الطلاق ستسمى مطلقة، وحكم الله تعالى أكثر، فتكريمها بإيجاب شيء لها من زوجها تطييب لخاطرها المكلوم.

د – الصلح: ويكون بين الزوجين بحالات متنوعة مفهومة من قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، «وإحدى هذه الحالات، الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة ، فينكح عليها المرأة الشابة ، فيكره أن يفارق أم ولده، فيصالحها على عطية من ماله ونفسه، فيطيب له ذلك الصلح»[352]، وفي هذا أيضا تكريما للزوجة من أوجه متعددة، منها تعويضها بمال عن حق تنازلت عنه، وإبقائها تحت رعاية زوجها ونفقته، وعدم خسران مؤنسها في كبر عمرها، واحتمال حصولها على حصتها من الميراث في حال وفاة زوجها قبلها، وغير ذلك من المكرمات.

---

[351] ***الموسوعة الفقهية الكويتية*** (36/ 95).

[352] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***،(7/ 556).

3- حق التوارث:

كرم الله تعالى المرأة فأعاد لها حق الميراث المسلوب، فقد كان الميراث قبل الإسلام للولد الذكر الأكبر، ولا ترث المرأة بحال؛ بل كانت من جملة متاع البيع في بعض الأحوال، تورث معه.

وأنزل الله تعالى في كتابه الكريم، تفصيلات الأنصبة الميراثية، بما لم يفصله في الأحكام الفقهية الأخرى، يحدد نصيب كل مسلم ذكرا كان أو أنثى في جميع الأحوال الممكنة له، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، قال مقاتل: «وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا، انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون: لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة»[353]، لكن أعداء الله تعالى وأعداء المسلمين، جعلوا من قضية تمييز الذكر على الأنثى في توزيع بعض الأنصبة ظلما للمرأة وإهانة لها، فقالوا لماذا يكون للذكر مثل حظ الأنثيين؟ فأجاب علماء هذا الدين عن هذا الافتراء بأجوبة كثيرة أنقل بعضا منها:

1- إن أحكام الله تعالى على درجة عالية من العدل والحكمة، ولا يمكن لقصّار الأنظار والعقول أن يفكروا بالمصلحة على مساحة واسعة، كما تقوم حكمة الله تعالى، وعلينا أن نميز بين معنيين:

أ- اختلاف الجنسين الذي هو لأجل استمرار الحياة وبقاء الجنس البشري.

ب- اختلاف الحقوق المالية بين الجنسين فهي قائمة على الفرق بين الالتزامات المالية لكل جنس.

- فالله تعالى أوجب على الرجل النفقة على المرأة زوجاً كانت أو بنتاً أو أماً أو أختاً، أو... ضمن دائرة الأسرة الواحدة، مما يعني أنه مكلف باحتياجات المرأة، نضيف لذلك عدم نسيان واجب الانفاق أيضا على الذكور من الأولاد والآباء وبعض الأرحام أحياناً، ولم يوجب على المرأة من ذلك شيئا، فعلم بذلك أن الأفضل والأنفع لها أن لا تكون صاحبة الحظ الأوفر مع التكليف بالنفقات، بل مصلحتها أن يكون الواجب على الرجل الانفاق عليها، ولو كانت حصتها الأقل، ولا ننسى دفع المهر إلى الزوجات وشراء المساكن وتجهيزها ونفقات الزواج الأخرى، وكل ذلك لا يجب على المرأة؛ مما يستلزم وجوب تميز الرجل على المرأة في الميراث، في بعض الحالات تحقيقاً للعدل ليستطيع تأدية الالتزامات المفروضة عليه.

---

[353] مقاتل ، ***تفسير مقاتل بن سليمان*** (5/ 128).

ومختصر الرد على هذه المسألة أن المرأة لها نصف الرجل في حالات خمس فقط، وباقي الحالات تتساوى معه أو تزيد عليه.

الحالات الخمس هي[354]:

1- ميراث الأولاد في حالة وجود الذكور والإناث عند إرثهم من والديهم.

2- ميراث الزوج من الزوجة فإنه يرث ضعف ما ترث الزوجة من الزوج، للآية: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء١٢]، وفي هذه الحالة، لن يجتمع الرجل مع المرأة فيفضل الزوج، وكذلك فإن الالتزامات المالية التي قدمها الرجل فترة حياة زوجته، فقد أعطاها مهرا وأنفق عليها، وبعض مال الزوجة حاصل من عطايا الزوج لها، فهو إنما يعود عليه شيء من ماله، ثم يجب عليه أن ينفق على أولادهما من بعدها بخلاف حالها، إذ نفقة الأولاد ليست بواجب عليها إن توفي زوجها قبلها، وإذا أراد الرجل أن يتزوج بعد وفاة زوجته لزمه دفع المهر للزوجة الجديدة، بينما هي سوف تحصل على مهر جديد في حال إرادتها الزواج من زوج ثان، وتبقى حكمة الله تعالى هي الأصلح بلا شك ولا ريب ولا تحليل.

3- الأب يرث ضعف الأم إذا مات ولدهما ولم يكن له وارث إلا هما.

4- الأب يرث ضعف الأم إذا مات ولدهما، وله ابنة واحدة. وفي هاتين الحالتين سيعود نفع هذا المال للأم، لأن الزوج عليه وجوباً نفقة الزوجة.

5- ميراث الأخوة والأخوات من أخيهما الأشقاء، والأخوة لأب، لا الأخوة لأم، والملاحظ في هذه الحالة، أن العبرة في زيادة الميراث للعصوبة، والرجل العاصب عليه التزامات ومسؤوليات مالية للعائلة في نفقات النساء، وفي قضايا الديات، باعتبار قرب صلته، فالمال مرة أخرى سيعود على نفقة النساء، أما الحالة التي لا يتوجب على الرجل نفقة النساء فيها مثل الأخوات لأم، فحصة المرأة كحصة الرجل، قال تعالى ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢].

---

[354] ينظر البركاتي شعبان محمود عبد القادر، ***تفنيد الشبهات حول ميراث المرأة في الإسلام***، دار الصفا والمروة بالإسكندرية، ط: الأولى، 2010م، (ص50).

ويوجد بالمقابل خمس حالات يتساوى فيها نصيب الذكر والأنثى وهي[355]:

1- للميت أخ وبنتين.

2- للميت أولاد ذكور فقط مع الوالدين.﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١].

3- ميراث الأخوة والأخوات لأم، عند عدم الحاجب.

4- ميراث الأب والأم في حين وجود أولاد إناث أكثر من واحدة .

5- إذا كان الورثة زوجا وأخت شقيقة، أو أخت لأب.

وحالات زيادة نصيب المرأة عن الرجل كثيرة، [356].

رابعا: التكريم الخاص للمرأة في القرآن الكريم(تكريم الأعيان والصفات):

قص الله تعالى، في القرآن الكريم، قصص الكرام من الإنسانية الأنبياء والصالحين والصالحات، كما ذكر قصص الطالحين والطالحات، وقد ذكر قصص الصالحات بأسمائهم ووظائفهم، كل ذلك على سبيل التكريم والتشريف، واظهار القدوة الحسنة لنساء هذه الأمة، فالأعيان منهن مثل السيدة حواء أم البشرية، ومريم العذراء والدة نبي الله تعالى عيسى، وزوجة عمران أم السيدة مريم، ووالدة وأخت سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، والسيدة الصالحة آسيا زوجة فرعون، وأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، كل ذلك تأكيداً منه سبحانه وتعالى، على أن التقوى والصلاح لا علاقة له بذكورة أو أنوثة، و أن المراتب العلية غير مقصورة، على جنس دون جنس، نعم لقد أنزل الله تعالى سورة مريم تتلى إلى يوم القيامة، ومن تدبر القرآن سيجد الأعداد الكبيرة لهذه المعاني، وما قصة إبراء الله تعالى للسيدة المطهرة عائشة بأقل من ذلك شئنا ورفعة ، تقول السيدة عائشة في حديث قصة الإفك: «ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله تعالى، ولكن والله تعالى ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري»[357]. لقد أثبت الله تعالى في القرآن إلى يوم القيامة أنك أنت العزيزة المكرمة، وهذا حال كل المؤمنات الفضليات اللواتي تمسكن بشرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ

---

[355] ينظر المصدر السابق، (ص53).

[356] ينظر المصدر السابق، (ص55).

[357] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا (رقم 2661)،(3/ 176).

وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وأما ما ذكره الله تعالى من تكريم حسب الصفة الوظيفية للمرأة، فقد ذكر الأم والزوجة والأخت والبنت والخالة والعمة... في مواضع تحمل كامل التكريم والتشريف:

– فأوامر تكريم الأمهات لا تعلوا عليها أوامر إلا عبادة الله تعالى، وقد ذكرت ذلك في بر الوالدين.

– وأما الزوجة وتكريمها، فهي صريحة في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]

وقال في آية أخرى: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْ﴾ [البقرة: ٢٣١]

وصريحة في سنة رسول الله تعالى قال صلى الله تعالى عليه وسلم : "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[358]، فهو قدوة المؤمنين في حسن التعامل مع الزوجة، وقد مر معنا مسائل من تكريم الزوجات.

– وأما البنات وتكريمهن فقال تعالى:﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٣٧]

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]

– وقد جاء عن رسول الله تعالى ﷺ الأحاديث الآمرة بالعناية بالأولاد عامة وبالبنات خاصة، بل إن رسول الله تعالى ﷺ بشَّر أن الذي يكرم بالبنات، فيحسن إليهن بالإنفاق والرعاية، والتربية، ويصبر على ذلك فسيكن له حجابا من النار ، وسببا في دخول الجنة، قال رسول الله تعالى ﷺ : «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو»[359]. وضم أصابعه، وقصة عائشة مع المسكينة أم الجاريتين مشهورة[360]،وقصص رسول الله تعالى بالتعامل مع

---

(358) ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، أبواب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، (رقم 1977)،(3/ 148) قال المحقق الحديث صحيح لغيره – الترمذي، ***سنن الترمذي***،باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (رقم 3895) (5/ 709) قال الألباني: صحيح.

(359) مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، (رقم 2631)،(4/ 2027).

(360) مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات ، عن عائشة، أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة، التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: «إن الله تعالى قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار» (رقم 2630)،(4/ 2027).

البنات النسبيات كثيرة، منها حمله لأمامة حفيدته من زينب أثناء صلاته[361]، ومنها إلباس بنت خالد بن سعيد خميصة ولعبها مرة بخاتم النبوة، وأبوها ينهاها، ورسول الله ﷺ يقول له دعها[362]، ولم ينتهر ﷺ الجاريتين اللتين كانتا في أيام منى تدففان، وتضربان في بيت عائشة، وطلب من أبي بكر أن يدعهما، لأن الأيام أيام عيد[363].

4.2.4 المطلب الرابع: إهانة الإنسان (المسلم) بإهانته للمرأة.

ذكرت في مقدمة هذا الدراسة أن الله تعالى نهى عن إهانة الإنسان بشكل عام، ونهى المسلم عن ذلك، ونهى في مواضع عن إهانة المرأة بشكل خاص، ونهى المسلم عن ذلك، وتوعد من يقوم بإهانتها ، الذل والهوان والعذاب، وفي هذا النهي تكريم واضح، وسأذكر في هذا المبحث شيئا منها :

ادعى أهل الباطل والحاقدون على الإسلام أن الإسلام في أحكامه، ميز بين الرجل والمرأة، فأهان المرأة في هذا التمييز، وطالبوا بتغيير الأحكام، بما يتوافق مع عقولهم القاصرة، ولكن الحقيقة الواضحة، أن الإسلام نهى عن إهانة المرأة وتوعد على ذلك، وسأذكر بعض الأمثلة في أربعة نقاط:

أولا: النهي عن إهانة المرأة بجعلها السبب في إخراج الرجل من الجنة:

من خلال التدبر لآيات الله تعالى نجد أن الله تعالى أمر آدم وحواء بتكاليف مشتركة متساوية في الجنة، فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ثم نسب الله تعالى عملية الإغواء إلى الشيطان، ولم ينسبها للمرأة حواء كما ذكرت الكتب المقدسة المحرفة، فقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، والآيات متعددة في ذلك تثبت أن الشيطان هو السبب في ذلك، ثم يذكر الله تعالى أن عملية الأكل كانت مشتركة بين آدم وحواء، ولم تنفرد حواء بالأكل من الشجرة ولا كانت البادئة، بل كان الخطأ منهما معاً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ثم يذكر الله تعالى العقوبة المشتركة ببيان سوءاتهما، قال تعالى: ﴿بَدَتْ لَهُمَا

---

[361] ابن حنبل، ***مسند أحمد***، حديث أبي قتادة الأنصاري (رقم 22519)،(37/ 196) – البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الصلاة ، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة (رقم 516)،(1/ 109).

[362] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازحها، (رقم 5993)،(8/ 7).

[363] البخاري، ***صحيح البخاري***، أبواب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين، وكذلك النساء، ومن كان في البيوت والقرى (رقم 987)،(2/ 24) – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (رقم 892)،(2/ 608).

سَوْءَٰتِهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، ثم ينسب الله تعالى سبب الإخراج للشيطان، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، ثم كان الندم و التوبة مشتركاً بينهما، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فإهانة المرأة بجعلها هي السبب في الإخراج من الجنة اتهام لا دليل صحيح عليه يعتمد، بل في بعض الآيات نجد أن الله تعالى نسب الخطأ إلى آدم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، كما نسب وسوسة الشيطان إليه في آية أخرى قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، كما أن الله تعالى في آية أخرى نسب المعصية له منفرداً، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، ونسب أيضا التوبة إليه وحده قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] ، مما يفهم منه أن آدم هو الأصل وامرأته هي التابع له، ومع ذلك أيضا فقد حاج آدم موسى، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ قال: «حاج موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال: قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله تعالى علي قبل أن يخلقني – أو قدره علي قبل أن يخلقني – " قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى»[(364)]،وعلى كل حال إذا افترضنا أن آدم أو حواء السبب المباشر في عملية الإخراج، فما ذنب الرجال أو النساء أن يهانوا بفعل أمهم، أو أبيهم وخاصة أن الله تعالى، علمنا أن لانحمل أحداً ذنب أحد بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، فعلم بذلك عدم جواز إهانة المرأة أو الرجل بأنهما سبب إخراج الذرية من الجنة.

ثانيا: النهي عن إهانة المرأة بسلب حق الحياة:

حرم الله تعالى أن يهين إنسان إنساناً آخر، بأن يسلب منه حق الحياة التي منحها الله تعالى حقاً لجميع البشرية، وكرم بها الإنسان بشكل عام، لا فرق في ذلك بين المسلم وغيره، ولا بين الذكر والأنثى، ولا بين الصغير والكبير، ولا بين العبد والسيد، قال الله تعالى عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، وتوعد من يخالف أمره فقتل مؤمناً متعمداً باللعنة والغضب والعذاب العظيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿

---

(364) البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى} (طه: 117)،(رقم 4738) (6/ 96)، – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (رقم 2652)،(4/ 2042).

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، كما نفى عن المؤمنين هذه المخالفة العظيمة، فإن وقعت فلا شك في وقوعها عن طريق الخطأ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]، هذا هو أصل حق الحياة عند الله تعالى للناس أجمعين، وكما مر معنا فإن البشرية انحرفت عن منهج الله تعالى وخالفت هذا الأمر، فعند الرومان مثلا: لم يكن الأب ملزماً بقبول ضم من يولد له إلى أسرته، ذكراً كان أم أنثى، بل كان يوضع المولود عند رجليه، فإذا تناوله كان ذلك دليلاً على ضمه له لأسرته، وإن لم يفعل ذلك كان دليلاً على رفضه، فيؤخذ المولود إلى ساحات هياكل العبادة، ويرمى فيها فمن شاء أخذه إذا كان ذكراً، وإلا فإنه سيموت جوعاً أو عطشاً، أو برداً أو من حرارة الشمس، وفي شريعة الهنود فإن البنت الصغيرة، كانت تقدم إلى الآلهة قربانا من أجل أن تأمر بالمطر أو الرزق، وقد تقدم لشجرة، من أجل أن تأكلها، أما عند العرب فلم يكن الحال أفضل فإنهم كانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى، وكانت بعض قبائلهم تئدها خشية العار، أو خشية الفقر، وقد أخبرنا عن ذلك الله تعالى في كتابه الكريم، فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]، فأعاد الله تعالى هذا الحق المسلوب فنهى عن قتل البنات بالوأد وغيره، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال أيضا: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ – ٩]، كما جاء الإسلام فاعتبر البنت كالابن هبة من الله تعالى ونعمة، يهبها لمن يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٥٠]، بل إن الإسلام أوجب لها حق الحياة والعناية وهي في رحم أمها، فألزم الإنفاق على الأم الحامل تكريماً للمولود وللوالدة سواء كان المولود ذكراً أم أنثى قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]

ثالثا: النهي عن إهانة المرأة بسلب حق اختيار الشريك أو الاستمرار معه (العضل):

تعددت كما ذكرت سابقاً أضرار أهل الضلال والحاقدون على الإنسانية، ومن ذلك ما كان عليه أهل الجاهليّة من عضل النّساء، وله صور متعددة منها :

1- كانت المرأة فيهم إذا مات زوجها، ورثها من يرث ماله، وكان أولياؤه أحقّ بامرأته من أهلها، فيتزوجها أحدهم، أو يزوجها لغيره، أو تركت حتى يكبر أحد أبنائهم لتكون زوجة له، أو تركت حتى تموت فيرثها.

2- وكذلك اليتيمة كانت تكون عند الرجل فيحبسها حتّى تموت أو تتزوج بابنه.

3– وكانوا أيضا إذا غضب الرجل على زوجته، طلّقها ثم راجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها، هكذا دون حدّ، أو يتركها معلقة، لا هي بذات زوج ولا هي بمطلقة.

4 – وكانوا يضرون بالمرأة بالضرب والتضييق عليها، أو منعها حقوقها من النفقة والقسم ونحو ذلك لتفتدي نفسها منه بطلب الخلع[365].

فلما أعاد الله تعالى بالرسالة الخاتمة للمرأة حقوقها وكرامتها المسلوبتين أنزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]، وتعددت أسباب نزول الآية، كما نقل في ذلك علماء التفسير وعلى رأسهم الإمام الطبري[366]،وجمع ابن كثير رحمه الله تعالى بين الأقوال فقال تعمّ ما كان يفعله أهل الجاهليّة وما كان في أمر الإسلام، من أن الرجل تكون له امرأة وهو كاره لصحبتها، ولها عليه مهر فيضرها لتفتدي فأنزل الله تعالى الأحكام في ذلك فعرف الناس ما لهم وما عليهم، ففرضت الحقوق، وحددت الواجبات[367].

صور من طرق وأساليب وتعليلات العضل المعاصر:

بالرغم من تحريم الله تعالى إهانة المرأة بكل أنواع العضل إلاّ أنّه ما زالت رواسب الجاهلية تلاحق بعض أبناء الإسلام؛ بحجة العادات والتقاليد، فتسطو التقاليد على الشرع، وهذا أيضا من ما حرمه الله تعالى على المسلمين، قديماً وحديثاً، قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنبياء: ٥٤]، قال الزمخشري: «ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم... أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا، منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة، لاستناد الفريقين إلى غير دليل، بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع، لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا»[368]، وقد عضل المعاصرون المرأة بأشكال تشابه عضل

---

[365] ينظر: السباعي، مصطفى بن حسني، (ت 1348هـ) ***المرأة بين الفقه والقانون***، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط: السابعة، 1420 هـ - 1999م،(ص19-20).

[366] ينظر: الطبري، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، (6/ 521-540)- ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (2/ 230-209).

[367] ينظر: ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، (2/ 210-211)- ***الموسوعة الفقهية الكويتية***، باب عضل (30/ 143).

[368] الزمخشري، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (3/ 121).

القدامى، ولكنهم غيروا التعاليل والحجج حسب عصرهم، فنرى الجاهلية الأولى تعود بصورة جديدة، ونرى الوأد القديم، يتجدد بصورة معاصرة، منها:

1- إذا طلق اليوم الرجل امرأته طلقة أو طلقتين، ثم يريد أن يراجعها، وتريد المرأة ذلك، فيمنعها أولياؤها من ذلك، بدعوى جرح الكرامة أو الإهانة المعاصرة، بقولهم أن عودة المرأة لزوجها هو بشرط موافقتها، وهذا الذي يضمنه لها القوانين الوضعية، ولكن الأصل عدم منعها من الرجوع إليه، وحق الرجعة للرجل لأن الله تعالى هو من أعطى الفرص في عدد الطلاق، فيلجؤوا إلى القوانين الوضعية لإفشال عملية الرجوع الشرعية.

2- أن يضيق الزّوج على زوجته إذا كرهها، فيسيء عشرتها، ويمنعها من حقها في النفقة والقسم، وحسن العشرة، وقد يصاحب ذلك، إيذاء معنوياً بدل الجسدي التقليدي، من اتخاذه لصواحب وعشيقات حسب المتوفر اليوم في أغلب دول العالم، حتى أن الواحد منهم في بعض الدول، يأتي إلى بيته مع من ترافقه، بحجة الصداقة المشروعة، كل ذلك من أجل أن تفتدي زوجته نفسها بمال وتخالعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]، أي: لكي تفتدي المرأة نفسها من الظّلم بما اكتسبته من مال المهر والصّداق، وبهذا العضل اللئيم، والأسلوب الكريه، يسترجع هؤلاء الأزواج ما دفعوه من مهور، وربّما استردّوا أكثر مما دفعوا، وإنه لتمر على المفتين اليوم مسائل فيها العجب والعجاب في مثل ذلك حسب كل دولة وقوانينها، مع العلم أن كل ما أخذوه من هذا الطريق بغير وجه حق، فهو حرام.

3- أن يمتنع الولي عن تزويج المرأة إذا خطبها كفء وقد رضيته، وما منعها الوليّ ألاّ يزوجها إلاّ مِن مَن يوافقه في قوميَّته، أو ينتسب إلى بلده، في نظرة دونيّة لمن سواهم من أهل البلدان الأخرى، تفاخراً بالقوميات المقيتة اليوم وانحرافاً عن التكريم الأصلي الذي جعل الله تعالى معياره التقوى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهذا ما كان من سلوك النبي محمد ﷺ حينما زوّج ابنة عمّته زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وهي قرشية رفيعة النسب من قومها، بالإضافة لقرابتها من رسول الله ﷺ لعبده الذي أعتقه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه، وأشير أنه لامشكلة مع الحرص المحمود في دراسة عملية التوافق بالمعيشة والعادات لكي لا تكون سببا في خلاف وشقاق مستقبلي.

4- أن يمنع زواجها بحجة إكمال الدّراسة وتأمين المستقبل؛ وهذا الحجة من قبيل الحق الذي يراد به الباطل فإن بعض الأولياء هدفهم في هذا التعليل، أن تدرس البنت أو الأخت ثم تقوم بالعمل، فتشاركه في المسؤوليات المالية المتوجبة عليه ، وبعد حصولها على العمل، يقوم بالتعذر أن الخاطب لها، ما جاء إلا طامعاً في مالها ووظيفتها، وإذا كانت الموءودة في الجاهليّة تموت بعد دقيقة أو دقيقتين تحت التّراب؛ فإنّها الآن تظل لسنوات حيّة تعاني ظلم الأهل، فأصبح الوأد بصورته هذه أشدّ قسوة من الوأد القديم، وقد قال الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد وهو الذي عانى ظلم الأقارب:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة.....على المرء من وقع الحسام المهنّد

5- عدم قيام ولي الأمر بمسؤوليته على أتم وجهها، بالتحري الواسع على الخاطب، بذريعة أنه قد استوفاه، ونحن نعلم اليوم مدى صعوبة ذلك، وخصوصا عندما يكون الخاطب من دولة ثانية، وإن كان من نفس قومية وعرق المخطوبة، لأنه يكون قد تأثر على الغالب بأهل الدولة التي يعيش فيها، فبعد قناعة ولي المخطوبة بحسبه ونسبه وماله يزوّجها، دون ترو أو تحرّ عن دينه وخلقه، وهذا ينعكس أثره على تلك المسكينة، التي أصبحت ضحيّة للإفراط أو التفريط، فكم من فتاة تندب حظّها، في الدول البعيدة اليوم وتجني ثمار بؤسها وشقائها، حين وقعت في يد من لا يخاف الله تعالى فيها ولا يرحمها، والمشكلة الكبرى اليوم أنها أصبحت مضطرة للذهاب إلى محاكم هذه الدول لتفك أسر نفسها، من هذا العقد المهترئ، ومن المسائل التي تمر على المفتين اليوم، أن المحاكم في أغلب الدول تقوم بفصل العلاقة الزوجية، لكن الزوج يقول لزوجته محذرا أن عقد الزواج الشرعي مازال قائماً، فأنت معلقة إلى يوم القيامة، أو ستكونين زانية بعقد جديد، لذلك وجب على المفتين ايجاد حلول لهذه النوازل، وتلك نتيجة حتمية للتساهل بأمر رسول الله ﷺ القائل: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[369]، فالواجب التمسك بتوفر الخصلتين دون التنازل عن أحدهما، ليبلغ التحري مبلغ الكمال المطلوب.

رابعا: النهي عن إهانة المرأة بتوصيفها بناقصات العقل والدين:

وذلك لوجود المحظور الشرعي وهو عدم إتمام كلام رسول الله تعالى، أو بعبارة ثانية اجتزاء كلام رسول الله تعالى مما يعطي نقصاً في المعنى المراد، ويظهر هذا في قول رسول الله ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار

---

[369] ابن ماجه، ***سنن ابن ماجه***، أبواب النكاح، باب الأكفاء (رقم 1967)،(3/ 141)قال المحقق: حسن لغيره – الترمذي، ***سنن الترمذي***، أبواب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه (رقم 1084)،(3/ 387) قال المحقق: حسن لغيره.

فقلن: وبم يا رسول الله ؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها»[370]، فبعض الرجال يستشهد على إهانة لمرأة بهذا الحديث مع أن رسول الله ﷺ علل كلامه ووضحه، كذلك فإن الله تعالى علل مسألة شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فقال جل وعلا﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والناظر المدقق في أحكام الشهادة يعلم أن شهادة المرأة لها عدة أحكام لا كما يقوله المشككون والحاقدون على الإسلام أن المرأة بنصف شهادة الرجل وانتهى الأمر وهو إهانة لها، لذلك ومن أجل انصاف هذا الدين علينا أن نوضح شهادة المرأة بشكل عام لا في مسألة بعينها ثم نقول هذا حكم الدين على شهادة المرأة، وللتوضيح والاختصار، فشهادة المرأة تتعلق بمرحلتين:

مرحلة التحمل ومرحلة الأداء، والمرأة تستطيع أن تشاهد الحادثة في أي مجال كانت ولكن عند الأداء يكون الفرق بالشهادة، فمثلا:

1- إذا كانت الشهادة على عقود المعاملات من بيع وشراء وما يشابهما، فلابد من شهادة امرأتين، لأن هذا المجال يقوم على الحسابات، والموازيين، وهي على الغالب من أعمال الرجل وفي مجالسهم ، والمرأة تحضر هذه المجالس استثناء وعند الضرورة، فيحتمل نسيانها، لذلك أمر الله تعالى في هذه الحالة وجود امرأتين سوية تتساعدان على تذكر مثل هذه المسائل، ويشابه هذا أيضا الجنايات والحدود كالقتل والزنا فإن الإسلام قد أبعد المرأة عن هذه المجالات التي تقوم على الهتك وسفك الدماء؛ وذلك صيانة لها، وتكريما.

2- إذا كانت الشهادة على أمر لا يختص بها الرجال فشهادة المرأة الواحدة تتساوى مع شهادة الرجل، ومثل ذلك في شهادة هلال رمضان، وشهادة الملاعنة.

3- إذا كانت الشهادة على أمر خاص بالنساء، ولا يطلع عليه الرجال عادة، قبلت شهادتها ولو انفردت بها، ومثل ذلك في الولادة، والاستهلال، والرضاع، والعيوب التي تحت الثوب كالرتق، والقرن، والبكارة، والثيوبية، والبرص،

---

[370] البخاري، ***صحيح البخاري***، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم (رقم 304)،(1/ 68) – مسلم، ***صحيح مسلم***، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله تعالى، ككفر النعمة والحقوق (رقم 123)،(1/ 86).

وانقضاء العدة، وكذلك شهادات النساء وحدهن في باب الجنايات من بعضهن على بعض في المجتمعات التي لا يحضرها الرجال عادة، مثل الأعراس والحمامات، فيشهدن بما رأين، ولا يهدر القضاء شهادتين، حتى لا تضيع الحقوق . وهذه ميزة في الشهادة، لا يمتاز بها الرجل، فلا تقبل شهادته منفردا ولو كان فيما اختص به من شهادات العقود ، ولا نغفل أن هذه الشهادات التي تميزت بها المرأة ، ستتعلق بها حقوق مالية، من إرث، ووصية، كما تتعلق بها مسائل النسب وهي من أهم وأعظم الضروريات.

4- ومن المهم أن نذكر في هذا الموضوع، شهادة المرأة في المجال العلمي الشرعي، وغيره، فكما نعلم جميعا أن نقل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ هي أهم القضايا وأرفعها، والشهادة فيه هي أعلى أنواع التحمل والأداء، من العصر النبوي المبارك إلى عصرنا، والعلماء مجمعون على قبول رواية المرأة إذا توافرت فيها شروط التحمل والأداء لا فرق بينها وبين الرجال، قال الذهبي: «وما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها»[371].

وأستطيع أن أقول: أن الله تعالى أكرم المرأة كما أكرم الرجل، وذلك في كل المجالات، ووعد من يكرمها بالإكرام، ونهى عن إهانة المرأة، وذلك في كل المجالات، وتوعد بالإهانة والذل والصغار لمن يهينها، فأعطاها حقها في الحياة بكامل تفاصيلها، من حق البقاء، والتملك، والتصرف والاختيار، والتعلم والتعليم، والنفقة، وغيرها، ومنع إهدار دمها، واتهامها بأي تهمة فيها نقص وإهانة ،وكتاب ربنا الكريم مليء فياض بهذه المعاني الكريمة، والباحث بعمق في ذلك ليجد الكثير من ذلك في المجالات المتعددة، ليرى العدل والمساواة والتكريم بأعلى مستوياتها، وأبهى حللها، والله سبحانه وتعالى الموفق والمستعان.

---

[371] الذهبي، محمد بن أحمد، (ت 748هـ)، ***ميزان الاعتدال في نقد الرجال***، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط: الأولى، 1382 هـ - 1963م، (4/ 604)

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبمنه وكرمه تتوالى المكرمات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، شهادة عبد يطلب أن يتجلى عليه ربه بالمكرمات، ويصرف عنه ذل الإهانات، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، ﷺ تسليما كثيراً، ما تعاقب الليل والنهار.

من خلال هذه الدراسة المتواضعة، أرجو أن أكون قد وفقت في بيان شيء من، إكرام الله سبحانه وتعالى للإنسان ، من أول مخلوق بشري هو آدم عليه السلام، إلى آخر مخلوق منهم على مر الأزمان، وكيف كرم الله هذا الإنسان بتسخير ما في الكون لخدمته، كما أرسل لهم الأنبياء تكريماً لهم لهدايتهم، وما ترك أمراً يحفظ للإنسان كرامته إلا وحث عليه بل وأوجبه، وبالمقابل نهى عن كل ما يمس بهذه الكرامة ويحرمه، لتصل البشرية إلى القاعدة الربانية وهي: أن من اتبع هدى الله استمر في تكريمه وهدايته حتى يصل إلى جنة الله تعالى، ومن ابتعد عن أحكام الله بدل الله تكريمه إلى إهانة وعذاب حتى يصل إلى جهنم وبئس المهاد، وقد وقع ذلك كما أخبرنا في القرآن من قصص الأمم السابقة وذلك للعبرة والاعتبار، وقد توصل الباحث في نهاية دراسته لأهم النتائج والتوصيات.

أهم النتائج:

1- إن تكريم الله تعالى للإنسان ملازم له في كل مراحل خلقه وإيجاده، وفي كل طور من أطوار هذا المخلوق التفصيلية الترابية منها، والتناسلية.

2- أكرم الله تعالى الإنسان قبل خلقه بكرامة الإعلان عن إرادته لذلك في الملأ المكرم عنده، ومن بنود هذا الإعلان أن هذا المخلوق سيكون خليفة له في أرضه، فتكريماً له وتشريفاً، أمر ملائكته الكرام بالسجود له سجود تكريم وتشريف .

3- من كرم الله على هذا الإنسان، أن خلقه في أشرف الأمكنة والأزمنة عنده، وأكرمه بعد ذلك بإيداع مفاتيح المعرفة، من عقل وبصر وسمع وادراك وتمييز، فهذه المفاتيح المعرفيّة تسمو بالإنسان إلى الطّاعة والخضوع لله تعالى.

4- تعددت مكرمات الله تعالى لهذا الإنسان في الملأ الأعلى، كتكريم الإقامة والتنعيم، والتلطف بخطاب النصح والتحذير، ولتتوج هذه المكرمات بكرامة المغفرة بعد أن ارتكب هذا الإنسان ما حُذِّر منه وما نُصح به.

5- أكرمت ذرية هذا الإنسان، بتشريعات تملؤها العزة والكرامة، فإذا التزم هذا الإنسان بهذه التشريعات، زاد الله من كرامته له، وإذا حاد وانحرف، أنقص الله هذه المكرمات، لتنقلب في آخر المطاف إلى ذل وإهانة.

6- سخر الله تعالى ما في السماء وما في الأرض وما بينهما، بكرامات جليلة تبدأ بالذرة وتنتهي بالأفلاك، وكل ذلك لخدمته، وخدمة مصالحه، ليستطيع أن يحقق واجب الخلافة التي كلّف بها.

7- إن دوام وبقاء تكريم الله تعالى للإنسان بما سخره له في الأرض والسماء، متعلق بطاعة الله تعالى كما أمر ووجه، وإلا انقلبت هذه المكرمات إلى إهانات وعذاب وعقوبات، وهذا ما أخبرنا الله به في قصص الأقوام السابقة في القرآن الكريم.

8- من أعظم مكرمات الله للإنسان أن أرسل له صفوة خلقه، مرشدين ومعلمين ومحذرين، وأنزل معهم التشريعات ليكرمَ كل من كان متمسكاً بها في الحياة الدنيا وبعد الممات، ويهين ويعذب من تخلى عنها بأشد العذاب.

9- صرح الله في لقرآن الكريم، بصفات من يكرمهم بالحبّ والعناية، ليتمسك الإنسان بهذه الصفات فيكون من المكرمين، كما صرح بصفات من يهينهم ليبتعد عنها الإنسان، ولا يكون من المهانين.

10- علم الله تعالى الإنسان كيف يكون مكرماً بعلاقته مع ربه، ومع نفسه ومع غيره، ووضع لهذه العلاقات ضوابط من حافظ عليه استمرّ التكريم في حقه، ومن تخلى عنها انقلب ذلك التكريم إلى إهانة وتحسير.

11- العلاقات المكرمة للإنسان مع نفسه كثيرة ومعروفة، بينها الله تعالى للإنسان بأدق التفاصيل، وإن مفتاح هذه العلاقات، هي علاقتي العلم والمعرفة، والانقياد والطاعة لله تعالى، فهما النور الذي يكشف بقية العلاقات.

12- العلاقات المكرمة للإنسان مع غيره، كثيرة بينها الله تعالى للإنسان بأدق التفاصيل والأحكام، وإن أهم هذه العلاقات وأكرمها، تكريم الوالدين والأرحام، والزوجة والأولاد، وذوي القربى والجيران، والمساكين والفقراء والأيتام، والأجير والخادم، حتى غير المسلمين من أهل الذمة والمعاهدين، وحذرنا من إهانة هؤلاء وتوعد من يفعل ذلك بالإهانة والذل والعذاب.

13- تكريم الوالدين في التشريع من أولى الأولويات، بعد الإيمان بالله وتطبيق أركان الإسلام، وقد حذر الله تعالى من إهانتهما وجعل ذلك قرينا للشرك به، فهو من أكبر الكبائر كما أجمع عليه العلماء.

14- أعاد الإسلام للمرأة كرامتها المسلوبة، وجعلها شريكة للرجل في كل المكرمات، ووعد من يكرمها بالإكرام، ونهى

عن إهانة المرأة، وذلك في كل المجالات، وتوعد بالإهانة والذل والصغار لمن يهينها، وفي ذلك رد على أهل الباطل والحاقدين على الإسلام.

نصائح وتوصيات:

1- دعوة الأخوة الباحثين في مجال التفسير القرآني وعلوم القرآن خاصة، وبقية الدراسات عامة ، لتكثيف الجهود في الحملات الدراسية ، الدارسة لكرامة ورفعة ومكانة الإنسان، وخصوصاً لما يشهده العالم الحديث من هدرٍ لكرامة الإنسان وسعي لنشر الرذيلة في كل المجالات.

2- تشجيع الأخوة الباحثين، للوقوف على ثغور الجهاد العلمي لصد كل أنواع الغزو التخريبي، لأن الباطل قد جند الجنود، للقضاء على الفطرة الإنسانية السليمة التي جبل الله الناس عليها، ونحن نسمع ونرى كل يوم الدعوات إلى الزواج المثلي، والتحول الجنسي، وما يشابهما من الانحرافات.

3- عقد الندوات والمؤتمرات، التي توضح التكريم الحقيقي للإنسان، وتبين الإهانة الحقيقية له، في ضوء كتاب الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو تنزيل الحكيم الحميد.

4- الاعتناء بالمؤسسات التربوية، لتأخذ دورها الحقيقي، في نقل أصالة التكريم الإنساني، لأبناء هذه الأمة، والتحذير الشديد من كل ما يهين هذا الإنسان، واظهار الانحرافات والآراء التي تخالف هذا التأصيل وإبطالها بالأدلة الشرعية.

5- التذكير المستمر للأخوة الباحثين، أن مواضيع القرآن الكريم، تتجدد بتجدد الواقع الإنساني، فنحن على يقين أن هذا الكتاب هو الكتاب الهادي والمنقذ، للبشرية حتى قيام الساعة، لكن يلزمه التدبر الصحيح، للاستفادة منه في كل حين.

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن تكون هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم سبحانه، نافعة لكاتبها، مفيدة لمن استرشد بها، وأن يجزي الله تعالى خيرا كل من أعان على إظهارها بهذه الصورة التي لا تخلو مما طبع عليه البشر من النقص والضعف والتقصير، وأصلي وأسلم على إمام المتقين، وقدوة الخلق أجمعين، محمد وعلى آله وصحبه ،والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع.

القرآن الكريم.

ابن الأثير، المبارك بن محمد، (ت 606هـ)، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.

أحمد رضا بن إبراهيم، (ت1372هـ)، *معجم متن اللغة*، دار مكتبة الحياة، بيروت، (1377 – 1380 هـ).

الأنباري، محمد بن القاسم، (ت 328هـ)، *الزاهر في معاني كلمات الناس*، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة – بيروت ط: الأولى، 1412 هـ.

البخاري محمد بن إسماعيل ، (256 هـ)، *الأدب المفرد*، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدا من تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط: الأولى، 1419 هـ – 1998م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (256 هـ)، *صحيح البخاري*، تحقيق: جماعة من العلماء، ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311هـ.

البركاتي، شعبان محمود عبد القادر، *تفنيد الشبهات حول ميراث المرأة في الإسلام*، دار الصفا والمروة بالإسكندرية، ط: الأولى، 2010 م.

البغوي، الحسين بن مسعود، (المتوفى : 510هـ)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق* : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط : الأولى ، 1420هـ.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، (ت 685هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط الأولى 1418هـ.

البيهقي أحمد بن الحسين، (ت 458 هـ)، *الأسماء والصفات للبيهقي*، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1413 هـ – 1993م.

البيهقي، أحمد بن الحسين ، (ت 458 هـ)، *السنن الكبرى*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط: الثالثة، 1424 هـ – 2003م.

تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر، (ت نحو 505هـ)، *غرائب التفسير وعجائب التأويل*، دار القبلة للثقافة الإسلامية ،جدة، مؤسسة علوم القرآن، بدون طبعة.

الترمذي، محمد بن عيسى، (ت 279هـ)، *سنن الترمذي*، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ، (جـ 1، 2)،ومحمد فؤاد عبد الباقي، (جـ 3)،وإبراهيم عطوة عوض، (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية، 1395 هـ - 1975م.

التستري، سهل بن عبد الله، (ت 283هـ)، *تفسير التستري، تحقيق*: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ،بيروت ط: الأولى 1423هـ.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، (ت 728هـ)، *التحفة العراقية في الأعمال القلبية*، المطبعة السلفية، القاهرة ط: الثانية.

الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، (ت 427 هـ)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1436 هـ - 2015م.

الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق، (ت 161هـ)، *تفسير الثوري*، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط: الأولى 1403 هـ 1983م.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت 471 هـ)، *درج الدّرر في تفسير الآي والسّور*، تحقيق: ، (الفاتحة والبقرة)، وليد بن أحمد بن صالح الحسين ، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت 393هـ)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ، (1407 هـ - 1987م).

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، (ت 405 هـ)، *المستدرك على الصحيحين* مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت ط: الأولى، 1411هـ ، 1990م.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (773 – 852 هـ)، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

الحميري، نشوان بن سعيد اليمني، (ت 573هـ)، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني ، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط: الأولى، 1420هـ - 1999 م.

ابن حنبل، أحمد بن حنبل، (ت241 هـ)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة ط: الأولى، 1412 هـ - 2001م.

ابن حيان، محمد بن يوسف، (ت 745هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر ،بيروت ط: الأولى، 1420 هـ .

الخازن، علي بن محمد، (ت 741هـ)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ..

ابن الخراط، عبد الحق بن عبد الرحمن، (ت 581 هـ)، *الأحكام الشرعية الصغرى*، تحقيق: أم محمد بنت أحمد الهليس مكتبة ابن تيمية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، مكتبة العلم، جدة – المملكة العربية السعودية ط: الأولى، 1413 هـ - 1993م.

الخطابي، حمد بن محمد، (ت 388هـ)، *معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود*، المطبعة العلمية، حلب ط: الأولى 1351 هـ - 1932م.

الخلوتي، حقي بن مصطفى، (ت 1127هـ)، *روح البيان*، إسماعيل دار الفكر، بيروت، بدون طبعة.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، (275 هـ)، *سنن أبي داود*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي دار الرسالة العالمية ط: الأولى، 1430 هـ - 2009م،

الدراز محمد بن عبد الله، (ت 1377هـ)، *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م.

الدينوري، أحمد بن مروان، (ت 333 ه)، *المجالسة وجواهر العلم*، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، أم الحصم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1419 ه - 1998م.

الذهبي، محمد بن أحمد، (ت 748ه)، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط: الأولى، 1382 ه - 1963م.

الرازي، محمد بن أبي بكر، (ت 666ه)، *مختار الصحاح*، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت ،صيدا ط الخامسة، 1420ه - 1999م.

الرازي، محمد بن عمر، (ت 606ه)، *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة - 1420ه.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت 502ه)، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط الأولى - 1412 ه.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت 502ه)، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، ط: الأولى جزء 2، 3: من أول سورة آل عمران وحتى الآية 113سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشّدي 1420 ه - 1999 م دار الوطن ،الرياض ط الأولى: 1424 ه - 2003م.

ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين، (ت795 ه)، *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس : مؤسسة الرسالة، بيروت ط: السابعة، 1417 ه - 1997م.

رضا محمد رشيد بن علي، (ت 1354ه)، *تفسير القرآن الحكيم، (تفسير المنار)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990م.

الزّبيدي، محمّد بن محمّد، (ت 1205ه)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، دار الهداية بدون طبعة.

الزجاج، إبراهيم بن السري، (ت 311ه)، *معاني القرآن وإعرابه*، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت1436ه)، *التفسير الوسيط*، دار الفكر، دمشق، ط: الأولى، 1422 ه.

الزّرقاني محمد عبد العظيم، (ت 1367هـ)، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط الثالثة.

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، (ت 538هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، دار الكتاب العربي ،بيروت ط: الثالثة، 1407 هـ.

ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله، (ت 399هـ)، *تفسير القرآن العزيز*، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، مطبعة الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط: الأولى، 1423هـ - 2002م.

الزهراني، أحمد بن عبد الله، *التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه*، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط: الأعداد 85 - 100 السنوات 22 - 25 المحرم 1410 - ذو الحجة 1413هـ.

أبو زهرة محمد بن أحمد، (ت 1394هـ)، *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي، بدون طبعة .

السباعي، مصطفى بن حسني (ت 1348هـ) *المرأة بين الفقه والقانون*، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط: السابعة، 1420 هـ - 1999م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت 1376هـ)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ط: الأولى 1420هـ -2000م.

سلطان العلماء، عبد العزيز بن عبد السلام، (ت 660هـ)، *تفسير القرآن*، تحقيق: الدكتور عبد الله الوهبي، دار ابن حزم، بيروت ط: الأولى، 1416هـ- 1996م.

السمرقندي، نصر بن محمد، (ت 373هـ)، *بحر العلوم*، دون طبعة.

السمعاني، منصور بن محمد، (ت 489هـ)، *تفسير القرآن*، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط: الأولى، 1418هـ- 1997م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل، (ت: 458هـ)، *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت 911هـ)، *إتمام الدراية لقراء النقاية*، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1405هـ 1985م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت 911هـ)، *الدر المنثور*، دار الفكر ،بيروت، بدون طبعة.

الشعراوي محمد متولي، (ت 1418هـ)، *تفسير الشعراوي، الخواطر*، مطابع أخبار اليوم، بدون طبعة، نشر عام 1997م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، (ت 1393 هـ)، *دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب*، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز ،جدة ط: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

أبو شهبة محمد بن محمد، (ت 1403هـ)، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، مكتبه السنة ،القاهرة ط: الثانية، 1423 هـ - 2003 م.

الشوكاني، محمد بن علي، (ت 1250هـ)، *فتح القدير*، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى ، 1414 هـ.

صديق خان بن حسن، (ت 1307هـ)، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، عني بطبعه وقدّم له وراجعه: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا ،بيروت 1412 هـ - 1992 م.

الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ)، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق: د. عبد الله التركي ود. عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط الأولى، 1422 هـ - 2001.

الطحاوي، أحمد بن محمد، (ت 321هـ)، *شرح مشكل الآثار*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ،1415 هـ، 1494 م.

طنطاوي محمد سيد (ت1431هـ)، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى 1418هـ،

الطوفي، سليمان بن عبد القوي، (ت 716 هـ)، *الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، تحقيق*: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط الأولى، 1426 هـ - 2005م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت 1393هـ)، *التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، تونس 1984هـ .

العسكري، الحسن بن عبد الله، (ت نحو 395هـ)، *معجم الفروق اللغوية*، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ب «قم» ط: الأولى، 1412هـ.

ابن عطية عبد الحق بن غالب، (ت 542هـ)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى، 1422هـ.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (ت 395هـ)، *معجم مقاييس ابن فارس*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ - 1979م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت 170هـ)، *كتاب العين*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، 1424هـ ،2003م.

فضل حسن عبّاس، (ت1432هـ)، *التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث*، دار النفائس، الأردن، ط: الأولى، 1437 هـ - 2016 م.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت 817هـ)، *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت ١٣٣٢ هـ) *محاسن التأويل*، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٨ هـ

القاضي عياض بن موسى ، (ت 544هـ)، *شرح صحيح مسلم المسمّى إكمال المعلم بفوائد مسلم*، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط: الأولى، 1419 هـ - 1998م.

القرطبي، محمد بن أحمد، (ت 671هـ)، *الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى و صفاته*، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط: الاولى، 1426هـ_2005م.

القرطبي، مكي بن أبي طالب، (ت 437هـ)، *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة ط: الأولى، 1429 هـ - 2008م.

القرطبي، محمد بن أحمد، (ت 671هـ)، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ،القاهرة ط الثانية، 1384 هـ - 1964 م.

القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ) *لطائف الإشارات*، تحقيق: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط: الثالثة.

قوام السنة، إسماعيل بن محمد، (ت 535هـ)، *الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة*، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي دار الراية ، السعودية، الرياض، ط: الثانية، 1419هـ - 1999م .

ابن قيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751 هـ)، *طريق الهجرتين وباب السعادتين*، الدار السلفية، القاهرة، مصر ط: الثانية، 1394هـ.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*، دار المعرفة ،المغرب ط: الأولى، 1418هـ - 1997م.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة*، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، *تفسير القرآن الكريم ، (ابن القيم)*، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال ،بيروت ط: الأولى - 1410 هـ.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، *حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح* مطبعة المدني، القاهرة.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، *زاد المعاد في هدي خير العباد* مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط: السابعة والعشرون ، 1415هـ -1994م.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت ٧٥١هـ)، *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، (ت 751هـ)، *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة* دار الكتب العلمية ،بيروت دون طبعة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت 774 هـ)، *البداية والنهاية*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الأولى، 1418 هـ - 1997 م سنة النشر: 1424 هـ - 2003م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت 774 هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى 1419 هـ.

الماتريدي، محمد بن محمد، (ت 333هـ)، *تأويلات أهل السنة*، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد، (209 - 273 هـ)، *سنن ابن ماجه*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمّد كامل قره بللي، عبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، 1430 هـ - 2009م.

الماوردي، علي بن محمد، (ت 450هـ)، *النكت والعيون*، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، بدون طبعة.

محمد بكر إسماعيل ، (ت 1426هـ)، *دراسات في علوم القرآن*، دار المنار، ط: الثانية 1419هـ-1999م.

محمد حسن حسن جبل، (ت1436هـ)، *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*، مكتبة الآداب، القاهرة ط: الأولى، 2010 م.

محمد خازر المجالي، *الوجيز في علوم الكتاب العزيز*، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الأردن ط: الثانية، 1426هـ-2005م.

مساعد بن سليمان الطيار، *المحرر في علوم القرآن*، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: الثانية، 1429 هـ - 2008 م.

مسلم بن الحجاج، (ت 261 هـ)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374 هـ - 1955 م.

مصطفى مسلم، (ت1443هـ)، *مباحث في التفسير الموضوعي*، دار القلم، ط: الرابعة 1426 هـ - 2005م.

مقاتل بن سليمان، (ت 150هـ)، *تفسير مقاتل بن سليمان*، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ،بيروت ط: الأولى - 1423 هـ.

ابن الملقن، عمر بن علي، (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ)، *التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق*: دار الفلاح، جمعة فتحي دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

ابن المنذر، محمد بن إبراهيم ، (ت 319 هـ)، *كتاب تفسير القرآن*، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد دار المآثر، المدينة النبوية، ط: الأولى 1423 هـ، 2002م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت 711هـ)، *لسان العرب*، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ،بيروت ط: الثالثة - 1414 هـ.

النحاس، أحمد بن محمد، (ت 338 هـ)، *معاني القرآن*، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ط: الأولى.

النسفي، عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠هـ)، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ عدد من المختصين، بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط: الرابعة.

النعماني، عمر بن علي، (ت 775هـ)، *اللباب في علوم الكتاب*، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط: الأولى، 1419 هـ -1998م.

النفراوي، أحمد بن غانم، (ت 1126هـ)، *الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني*، دار الفكر 1415هـ - 1995م.

النفزي، عبد الله بن أبي زيد، (ت 386هـ)، *متن الرسالة*، دار الفكر، دون طبعة.

النووي، يحيى بن شرف، (ت 676هـ)، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، 1392هـ.

الهروي، محمد بن أحمد، (ت 370هـ)، *تهذيب اللغة*، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى،1422هـ- 2001م.

الهيثمي، علي بن أبي بكر، (ت 807هـ)، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة1414 هـ، 1994 م.

الواحدي علي بن أحمد، (ت 468هـ)، *التّفسير البسيط*، أصل تحقيقه في 15، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، 1430 هـ.

الواحدي، علي بن أحمد، (ت 468هـ)، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ.

يحي بن سلام، (ت 200هـ)، *تفسير يحيى بن سلام*، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.

المواقع الإلكترونية:

مقالة غشاء الجنين Fetal membrane موقع الطبي https:--cutt.us-f2uuf

تمت الزيارة بتاريخ 24-10-2022

مقالة في أهمية الغلاف الجوي نادية أبو رميس https:--cutt.us-9Zmkf

تمت الزيارة بتاريخ 24-12-2022

موسوعة المصطلحات الإسلامية موقع إلكتروني https:--cutt.us-yYrJZ

تمت الزيارة بتاريخ 12-09-2022

ÖZGEÇMİŞ

Mhamad lamie Abdulrhim Albni ilkokul,ortaokul ve liseyi Suriye'nin homs şehrinde bir okulda okuduktan sonra lisans eğitimini Mısır'da El-Ezher Üniversitesi İslam hukuku Bölümünde tamamlayarak 2005 'te mezun oldu.

THE BIOGRAPHY (CV)

Mhamad lamie Abdulrhim Albni completed primary, secondary and high school in a school in the city of Homs, Syria, and completed her undergraduate education in the Islamic Law Department of Al-Azhar University in Egypt in 2005.

السيرة الذاتية:

درس محمد لامع عبد الرحيم البني المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في إحدى مدارس مدينة حمص في سوريا، ثم أكمل دراسته الجامعية في قسم الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر في مصر، وتخرج منها عام 2005م.